

كتابي
قلب عذراء
وكتب اخرى
حلمي مراد
٨ كتب
٨ قروش

العدد ٢

قلب عذراء

وكتب أخرى

كتب للمحرر

عندما تحب المرأة (مجموعة قصص مصرية) الناشر **« كتب للجميع »**

أوسكار وايلد (حياته ، وفنه ، ومأساته) الناشر **« البلاغ »**

قلوب تحترق أو (حذار من الشفقة) لستيفان زفايج الناشر **« روايات الهلال »**

أنا كارنينا لتولستوى الناشر **« روايات الهلال »**

رسول القيصر (ميشيل ستروجوف) لجول فيرن الناشر **« روايات الهلال »**

ذات الرداء الأبيض لويلكى كولنز الناشر **« روايات الهلال »**

مصطفى كمال (لم ينشر بعد) الناشر **« كتاب الهلال »**

دافيد كوبرفيلد (لم ينشر بعد) لتشارلس ديكنز الناشر **« روايات الهلال »**

أوجينى جرانديه (لم ينشر بعد) لبلزاك الناشر **« روايات الهلال »**

ابن بورتوس (لم ينشر بعد) لالكسندر ديماس الناشر **« روايات الهلال »**

كاتالينا (لم ينشر بعد) لسومرست موم الناشر **« روايات الهلال »**

قصص وفصول ثقافية للمحرر

مجموعات مجلات وصحف : الهلال ، المصور ، الاثنين ، الكواكب ، مسامرات الجيب ، البلاغ ، الكتلة ، الرسالة ، الثقافة ، الراديو المصرى ، الحديث (دمشق)

كتابي

كتاب شهرى للقصة والثقافة الرفيعة

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

المكاتبات : ١٨ شارع العباسيين ، مصر الجديدة ـ ت ٦٥٦٠٨

الاشتراكات : عن ١٢ عددا : مصر والسودان : ٨٠ قرشا . سوريا ولبنان : ١١ ليرة سورية أو لبنانية . الحجاز والعراق والأردن : ١١٠ قروش صاغ .

الكتاب الثانى : ابريل ١٩٥٢

رمز الكتاب : شعلة الفكر عند الاغريق

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

عزيزى القارىء

عندما قدمت اليك « كتابى » الأول فى الشهر الماضى ، كنت أتوقع كل احتمال .. الا أن يبلغ اقبالك عليه ذلك الحد الذى نفدت معه الكميات الكبيرة المطبوعة منه من أيدى أكثر الباعة فى الساعات الأولى من يوم صدوره ! .. ثم نفدت من أيدى الباقين قبل انقضاء اليوم أو اليومين التاليين .. وهى سرعة « قياسية » فى توزيع الكتب أو المجلات « الشهرية » ، التى تطرح فى الأسواق عادة لمدة أسبوعين أو عشرة أيام على الأقل .. !

وقد كان أول علمى بنفاد الكتاب حين فوجئت ـ عصر يوم صدوره بالذات ـ بسيل من الشكاوى « والاحتجاجات » الطريفة ، من قراء أعزاء عجزوا عن الحصول على نسخة منه ! .. بل ان البعض سألنى عما اذا كان الكتاب قد صدر ونفد حقا ، أم أنه لم يصدر بعد ؟ .. وازدادت دهشتى ، وتأثرى ، حين تلقيت من متعهدى التوزيع فى مختلف الجهات سيلا آخر من الرسائل يطلبون فيها امدادهم بكميات أخرى من نسخ الكتاب .. فلما علموا أن المطبوع منه قد وزع جميعه عليهم ، طالبوا باعادة طبع آلاف أخرى منه لمواجهة بقية الطلبات !

عزيزى القارىء ..

أمام هذا الاقبال الفريد منك على « كتابى » ، لا يسعنى الا أن أنفض عن قلبى بقية ما كان ينطوى عليه من تحفظ ، كى أصارحك ـ فى صدق واخلاص ـ بما لعلك لا تعرفه من دخيلة نفسى ونواياى ..

فالناس أمام النجاح فريقان : فريق يغره بريقه ، وتبطره نعمته ، فلا يكاد يطمئن اليه حتى يركب الغرور رأسه ، فتفتر همته .. ويتراخى جهده .. وتتضاءل عنايته بعمله ، وسخاؤه فى الانفاق عليه : بخلا منه ، أو زهوا ، أو غباء وجهـلا !

وفريق آخر ، هو على النقيض من هذا تماما ، يستمد من نجاحه حماسة دافقة .. وهمة دافعة .. وحافزا جديدا ، ومجددا ، على مضاعفة الجهد ..

والعناية .. والبذل ! .. خطوة بعد خطوة ، ويوما بعد يوم .. وهو كلما قطع من الطريق مرحلة زاده التوفيق تفانيا ، واخلاصا ، وسخاء .. بقدر ما يزيد الفريق الأول بطرا ، وضنا ، واستكبارا ! .. هـذا يزيده نجاحه ضعة على ضعته ، وجحودا وكفرانا .. وذاك يزيده اتضاعا فوق اتضاعه ، وامتنانا وايمانا ..

وأنا من الفريق الأخير ولله الحمد .. وحسبك هذا منى وعدا ، وعهدا ، يرسمان الطريق الذى أعتزم أن اسلكه معك بعون الله فى الأعـداد القادمة من كتابى ..

عزيزى القارىء ..

فى حديثى معك فى الشهر الماضى طالبتك بأن تصارحنى برأيك فى كتابى ، كما صارحتك أنا بكل شىء .. وقد دلتنى الرسائل الكريمة التى تلقيتها منك ـ والتى تجد مقتطفات منها فى مكان آخر من هذا العدد ـ على أن فكرة المشروع وهدفه قد صادفا من نفسك هوى وقبولا كاملين ، وحققا أمنية كنت تصبو اليها منذ بعيد ..

على أن رسائلك جميعها كانت قاصرة على ابداء رأيك « الاجمالى » فى الكتاب .. فى حين انى أبغى معرفة رأيك فيه بقدر أوفى من التفصيل : رأيك فى كل موضوع من موضوعاته ، بترتيب تفضيلك له أو نفورك منه .. ثم رأيك فى الأبواب التى يحويها ، والأبواب التى ترى اضافتها اليه ، أو حذفها منه .. أو الاكثار منها أو الاقلال .. ولتكن على ثقة من انك ستجد صدى أفكارك واقتراحاتك محققة على صفحات الأعداد التالية من كتابى ، ما استطعت الى ذلك سبيلا .. فما « كتابى » الا كتابك .. ولست أبغى منك أن تقرأه لمجرد أنك لا تجد ما هو أقرب منه الى اشباع رغباتك وارضاء ذوقك وميولك .. وانما أنا أطمع فى أن تقرأه وأنت راض عنه كل الرضا ، أو أكبر نصيب منه .. !

ولعلك الآن ، وقد اتسعت لك فرصة مطالعة عددين منه لا عددا واحدا ، تكون أقدر على ابداء هذا الرأى الذى أنشده ، كى نمضى سويا نحو الغاية التى نتطلع اليها من الكمال المرجو ..

والله ولي التوفيق .

حلمى مراد


طيف الماضي
قصة مصرية
للمحرر

ما جدوى المكابرة !؟ ٠٠ ان قدرها يتبعها ٠٠ وشقاءها يأبى الا أن يلاحقها ! ٠٠ كلما ظنت ان قلبها قد نسى وتبلد ، عاودها شجنها وتجدد ! ٠٠ لكم هى شقية ٠٠ لكم هى تعبة من الحياة !!

●

كانت واقفة تلقى درسها على الأطفال ، لكن وعيها لم يكن معها ، كان قد شرد منها وتبعثر فى أودية سحيقة ، كأنه بخار ظل محبوسا فى قمقم ، فلما رفع عنه الغطاء تطاير فجأة وتبدد ٠٠

٠٠ وعبثا حاولت « أمينة » أن تجمعه وترده الى رأسها من جديد ، فأنه قد عصاها ، وانفعالها أضناها ٠٠ فأحست بقواها تخور ، وتجلدها يوشك أن يخونها ٠٠٠ وتهالكت على مقعدها فوق منصة التدريس ٠٠

لكن الراحة التى كانت تبحث عنها لم تسعفها ، فان روحها ـ لا جسمها ـ كانت هى المضناة ٠٠ !

ومرت بحلقها دموع ٠٠

ماذا دهاها ؟

انها تجيل بصرها فى الوجوه التى أمامها ٠٠ وجوه الصغار السمحة البريئة التى تنضح بالبهجة والبشر ، فاذا يد باردة ثقيلة تعصر قلبها : انهم سعداء ٠٠ أما هى ؟

وفر منها بصرها الى النافذة ٠٠

كانت الأشجار فى حديقة (روضة الأطفال) تئن فى مهب العاصفة ، والأغصان الرقيقة تتلوى وترتعش ٠٠٠ لكن روحها هى كانت تئن وترتعش فى مهب رياح أخرى أقسى وأشد ، مقبلة عليها من واد سحيق ، تكتسح كل ما فى طريقها ولا تبقى على شىء ٠٠٠ حتى تبلغها ، فيعلو صدرها ويهبط ٠٠ ان العاصفة قد اجتاحته ، ومضت تزأر فى حناياه ، وكأنها

تعوى فى قبر ... لتوقظ من فيه !

.. وهل فيه الا قلبها ؟

ها هو ينفض عن نفسه الاكفان ، وينهض ، ويمثل أمامها .. فتخفى وجهها بيديها !

ألكى تحجب عن عينيها طيفا أمامها ؟

أم لتحجب عن الأطفال دموعها ؟

●

وأحست وهى تخفى تأثرها بمهانة وانكسار أليم .. خيل اليها أن نظرات الأطفال مليئة بالاشفاق ، وكأنهم قد فهموا ألمها وقدروه ، فرثوا لحالها !.. والا فما علة هذه الرقة البادية فى عيونهم الصغيرة ، وهذا الجو المريب الذى خيم على الحجرة بالتدريج ، جو التوتر والتهامس ، ثم الصمت عن كل حركة أو سؤال أو ضجيج ؟ .. لقد طالما أعفتهم ـ من قبل ـ من مثل هذا الدرس الشفوى ، وأذنت لهم فى أن يلهوا ببعض أشغال الورق المقوى المزخرفة ، فكانوا دائما يعجزون عن مغالبة طفولتهم ولا يكفون عن الهرج !.. فما بالهم هذه المرة قد رضخوا لرجائها وأخلدوا الى السكينة .. الا أن يكونوا قد أحسوا بما تعانى فجبنوا عن الامعان فى العبث ، وفاضت من عيونهم نظرات العطف والرثاء هذه ؟ ..

ويلها من هذا الرثاء ، وما أشقاها به !.. بل ليته اقتصر عليهم ، فانهم أطفال .. لا يدركون ما يفعلون !.. وانما الذى يمضها أكثر ، ما تخاله من أن كل ما حولها ، حتى الجو الذى تتنفس فيه ، يعطف عليها !..

بل لكأن القدر نفسه ، الذى ظلمها ، قد غلبه الندم .. فملأت أشباحه أركان الحجرة وراحت ترمقها بنظرات مماثلة ،

اختلط فيها بالتشفى ٠٠ الرثاء !

نظرات كأنها تقول : « محال يا أمينة ! ٠٠ عبثا تحاولين النسيان !٠٠ أن صورة « رشدى » ما تزال مرسومة على ناظريك ، مثبتة بين بصرك وبين ٠٠ كل شيء !٠٠ ها هو أمامك بوجهه المفعم طفولة ٠٠ وعينيه الضاحكتين ٠٠ وابتسامته ترف على زاوية فمه ٠٠٠ أرأيت ؟ تأمليه جيدا ، وابكى هناءك الذى لم يدم أكثر من عمر أزهار الربيع ٠٠!

ولقد عرفته فى الربيع يا أمينه ٠٠ أتذكرين ؟

●

ربيع سنة ١٩٣٥ ٠٠ والدنيا جميلة فى (جزيرة الشاى) ذات صباح :

– أراك وحيدة ٠٠ أتتعبدين ؟

– بل أقرأ ٠٠ ولكن ، عجبا ٠٠ وما شأنك ؟



– اننا زملاء ٠٠ تقريبا !٠٠ فأنت فى كلية الآداب ، وأنا فى الهندسة ٠٠ فرقت بنط ٠٠ لكنه بنط غير مهم ٠٠ يعوضه توارد خواطرنا على « التزويغ » من الدراسة الآن ٠٠ آه ، لا تكابرى فى هذا ٠٠ وهل هو عيب ؟ كلنا فى الهم طلبة ٠٠ نجباء ! ٠٠ انما العيب أن نغفل عن جمال هذه الطبيعة ونصدع رؤوسنا بجو الورشة

والمحاضرات !٠٠ وأفظع منه أن نجلس هكذا الى مائدتين متباعدتين ، والحديقة خالية الا منك ومنى ٠٠ فهلا وفرت على الساقى عناء التنقل ؟ ٠٠ على فكرة ، اسمى « رشدى » ٠٠ وأنت ؟ »

٠٠ كان يتكلم بسرعة فائقة ، وخفة ومرح ، فوجدت نفسك تجيبينه دون أن تشعرى : « أمينة » !

ولا عجب ٠٠ فان الابتسامة التى كانت ترف على زاوية فمه ٠٠ قد أعجبتك !

●

ومر اسبوعان ، جمعكما الترام خلالهما كثيرا ، وشهدكما شارع الجامعة فى الذهاب أو الاياب مرارا ٠٠

وذات مساء ٠٠ همس لك « رشدى » وهو يراقصك ، وابتسامته على فمه :

ـ ألا تشمين رائحة « شياط » ؟

ـ شياط ؟ ٠٠ أين ؟

ـ هنا ، فى قلبى !٠٠ انه ـ كالاناء الفارغ على النار ـ يحترق على وهج نظراتك ، لأنه خاو ٠٠ فهلا قبلت أن تملئيه ؟

ولحظتها تململت شفتاك على فمك وهما تطلبان اليك فى الحاح أن تأذنى لهما بقبلة ! ٠٠ لكنك زجرتهما بشدة ، وأنت فى قرارتك ٠٠ بالقبلة تحلمين !

٠٠ ثم تلت ذلك أسابيع أخرى ٠٠ وذات يوم :

ـ رشدى ! ٠٠ رشدى !

ـ ماذا يا أمينة ؟

ـ لا شيء ٠٠ لا شيء ، سوى انى سعيدة فوق ما أحتمل !

ـ يا حبيبتى ٠٠!

ومال فمه على فمك ...

ـ أنك جرىء ... جرىء !

وعشتما فى نعيم الهوى ـ وجحيمه ـ شهورا .. !

●

.. حتى كان شهر نوفمبر من خريف ذلك العام :

ـ أمينة .. ما أحلى الدنيا ! يخيل الى أن القدر يحابينا ، أو أنه مغمض العينين .. فما تعود أن يقف مكتوف اليدين وهو يشهد هناء المحبين ! .. انى فى عامى الأخير بالجامعة كما تعلمين ، وسأتخرج بعد شهور ، وعندئذ ..

كان يتكلم وفى عينيه معنى فهمته أنت ، فقلت وصوتك يختلج ، كأنما تحت وطأة هم يثقل على قلبك :

ـ لكم أنا خائفة يا رشدى ، فانى ألمح فى الافق .. خطيبا !.. والأنكى من ذلك أن ليس فيه عيب ظاهر أتعلل به لرفضه ، سوى انى أحبك ! .. فبماذا بربك أعتذر لهم ؟ وكيف أنجو ؟ ان المحنة تقترب .. فقوّنى يا رشدى ! قل انهم لن يأخذونى منك .. وانك ستتخرج وتجد عملا قبل أن ...

●

.. ولكنها كانت أحلاما يا « أمينة » .. !

فلقد جاء شهر ديسمبر ـ سنة ١٩٣٥ ـ ونبض قلب مصر .. وارتفعت نبضاته ثورة عاتية ، ومطالبة باعادة الدستور .. وخرجت الجامعة حشدا واحدا تتقدم الصفوف ، وتزحف نحو قلب العاصمة .. وسقط من سقط من الشهداء ..

..فكان « رشدى » فى مقدمة .. المفصولين ! نجا من الموت ، لكنه وجد نفسه فجأة .. فى الطريق ! بعد أن لم يبق



بينه وبين التخرج غير شهور ..!

وكانت الصدمة قاسية عليه .. لولا أن وجد فى قلبك بعض سلواه .. فمضيت تشجعينه ، وتمدين له فى حبل الصبر ، وأنت ذاتك فى أمس الحاجة الى التشجيع والعزاء..!

ثم خلفت الصدمة وراءها صحوة ، حين مرت أيام وتقدم لخطبتك : « رياض » !

لم يبق فى جعبتك عذر للرفض ! ·· وحتى تعلقك برشدى لم يعد مفهوما فى نظر منطق الاسرة السليم ·· أو السقيم ! ·· وهكذا حاصرك قدرك ، فقبلت الخطبة وأنت تنتحبين !

وبعد أيام ·· صدر قرار بالعفو عن الطلبة المفصولين واعادتهم الى معاهدهم ·· ولكن بعد فوات الأوان ! ·· بعد أن ضرب القدر بينك وبين رشدى بحوائل كثيرة ، تذكرينها !

وحين لمحته مرة فى الطريق ، وكان ذراعك فى ذراع خطيبك ، بدا جليا فى عينيه أنه ·· لم يصفح !

·· كما لم يصفح الآخر حين تحقق بعد الخطبة بأسابيع أن قلبك ليس له ، فقد فاجأك يوما تقبلين صورة رشدى وأنت تبكين !

وكان ذلك آخر العهد بينكما ! .. أفتذكرين ؟

●

·· وهل تملك « أمينة » غير أن تذكر ؟! ·· ان أعواما

طويلة قد انقضت عليها منذ ذلك التاريخ البعيد ، انقضت كشتاء واحد مرير ، لا تتخلله نسمة دافئة أو تنبت فيه زهرة نضرة ! ٠٠ أعواما طويلة وهى تحمل فى حنايا صدرها جثة قلبها ، ساكنا هامدا ، بلا حراك ! الا فيما بين حين وحين ، عند ماكانت تعاوده حرارة الذكرى فيتململ فى مرقده وينفعل ٠٠ واذ ذاك كانت تزوره لتسكب عليه دمعتين ، وتضع طاقة من الزهر ، ثم تمضى ٠٠ تخلفه في رقاده الموحش الطويل ٠٠ !

أعوام طويلة عاشتها بلا قلب ، حياة خالية من المسرات ٠٠ فلقد تخرجت فى كلية الآداب ، وعينت مدرسة فى رياض الأطفال ، ثم طوحت بها الأقدار مرات ٠٠ وها هى الآن فى هذه البلدة الصغيرة ، وحيدة ضائعة ٠٠ !

وليت الدنيا نسيتها ، فتركتها تنسى ٠٠ !

لقد دخلت حجرة الدراسة هذا الصباح ، لتستأنف دروسها للأطفال بعد عطلة نصف السنة ٠٠ ثم فتح الباب ، وأقبلت الناظرة ووراءها طفل غريب ، توصى المعلمة به خيرا :

ـ انه ابن مهندس البلدية الجديد ٠٠٠

وتبسم الطفل وهو يتعثر خجلا واجفالا ٠٠

أمينة ! أمينة ! ٠٠ هذا الوجه المفعم طفولة ، والعينان الضاحكتان ، والابتسامة التى ترف على زاوية الفم ؟ ٠٠ ويلك ياشقية ٠٠٠ اما تذكرين ؟

ـ ما اسمك ؟

ـ سمير رشدى ٠٠٠

أرأيت ياأمينة ؟ ٠٠ انه طفله ٠٠ الذى كان سيكون طفلك ! وانقضى الدرس ووعيها شارد منها !

•

٠٠ حتى دق الجرس وخرج طابور الأطفال فى هرج ٠٠ فاحتجزت « أمينة » الصبى ! ٠٠ وحين خلت الحجرة الا منهما ، ضمته الى صدرها فى انفعال ٠٠ وتساقطت دموعها على شعره وهى تهمس له ، بل لنفسها ، مغمضة العينين :

ـ يا حبيبى ٠٠ !

وأحست كأنها تقولها لأبيه !!

وجاشت نفسها ، فأفلتته من أحضانها ٠٠ وانفلتت الى الطريق ٠٠

كانت الدنيا كئيبة فى الخارج ، والريح الباردة تعصف بأشجار (اللبخ) ٠٠ لكنها مضت ومضت تخوض فى الضباب ، ورذاذ المطر يلسع وجهها ٠٠

ورفعت عينيها الى السماء الداكنة :

ـ رحماك يا رب !

لكن صوتا همس فى ضميرها :

ـ صبرا ياأمينة ٠٠ فان الزمن كفيل بأن يشفى من كل شىء ٠٠ حتى من الحياة !

واختلطت على وجهها ذرات المطر ٠٠ بالدموع !

عندما ترفع الستار..



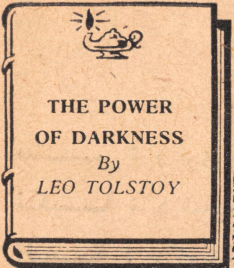
روائع المسرح العالمى
(التمثيلى... والغنائى)

عزيزى القارىء ..

كان المسرح منذ أقدم العصور ، وما يزال ، المدرسة الأولى للشعوب المتحضرة .. وقد قدمت لك فى ((كتابى)) السابق احدى مسرحيات ((اوسكار وايلد)) الخالدة : ((خطايا الحب)) ، أو كما أطلق هو عليها : ((امرأة لا وزن لها !))
(A woman of no Importance)
التى تصور خفايا المجتمع العصرى أجمل وأروع تصوير .

واليوم أنتقل بك من المسرح الانجليزى الى المسرح الروسى ، فأقدم لك أحدى روائع مسرحيات ((تولستوى)) ، وقد اقتبس فكرتها من قضية جنائية عرضت بالفعل على محاكم مدينة ((تولا)) ، احدى مدن روسيا .

وفى الأعداد القادمة ستقرأ فى هذا الباب بمشيئة الله مجموعة منتقاة من أعظم ما كتب هؤلاء السادة الخالدين من أقطاب المسرح ، القدماء والمحدثين : أوسكار وايلد ، ابسن ، شيللر ، موليير ، هوجو ، راسين ، برنارد شو ، شكسبير ، بن جونسون ، جوته ، جوجول ، تشيكوف ، تولستوى ، جوركى ، دانونزيو ، بيرانديللو ، كورنى ، بومارشيه ، ادمون روستان ، بول بورجيه ، مارسيل بريفو ، أوليفر جولدسميث ، شريدان ، جولزورثى ، سومرست موم ، نويل كوارد ، أوجين أونيل .. وحاشا أن ننسى الأساتذة القدماء لكل هؤلاء : سوفوكل ، يوريبيدس ، أرستوفان ، أخيل ، فيرجيل .. الخ .



الحب الآثم

قصة تمثيلية كبرى

لتولستوى



شخصيات الرواية

بيتـــر :	(ثرى متقدم فى السن)	*Peter*
نيكيتــا :	(شاب يعمل فى مزرعة بيتر)	*Nikita*
أنيسـيا :	(زوجة بيتر الشابة)	*Anisya*
ماتريونا :	(والدة نيكيتيا)	*Matryona*
أكيم :	(والد نيكتيا)	*Akim*
مارينــا :	(فتاة أغواها نيكتيا)	*Marina*
أكولينـا :	(ابنة بيتر من زوجته الأولى)	*Akoulina*

زمان الرواية : **أوائل القرن الحالى**

مكان الرواية : **الريف الروسى**

(وقائع الرواية مستوحاة من قضية واقعية عرضت على محاكم مدينـــة تولا)

عزيزى القارىء ...

« الحب الآثم » ـ أو « سلطان الظلام » كما أطلق عليها مؤلفها ـ هى قصة الانسان الخالد ، الانسان الفانى ، حين يسلم قياده الى الشيطان .. !

قصة الأنثى الخاطئة حين تغرى بالاثم وتدفع اليه ! .. الأنثى التى أخرجت آدم من الجنة وما تزال تخرجه منها .. كل يوم !

قصة الصراع الأزلى ، الأبدى ، بين نوازع الشر والخير فى الانسان .. بين قسوة الشهوة حين تعصف ، وتخاذل الضمير حين يضعف .. !

قصة الضعف الانسانى فى أبشع صوره وأحط مراتبه ، والرذيلة العاتية فى عنفوان قوتها وسطوتها ..

بل قصة الحب حين يدفع الى الجريمة ، والجريمة حين تقود الى جرائم .. !

●

لكن القصة لا تتركنا فى هذا « الظلام » طويلا .. فهى ليست قصة بقدر ما هى صرخة فى وجه الفساد ودعوة الى الصراط المستقيم .. ومن ثم فهى لا تكاد ترينا الفضيلة مهيضة الجناح حتى تعود فتنبت لها أجنحة ، فيقوى ساعدها ويشتد ! .. ومن قلب الظلام الحالك تبرق لنا ومضة من النور تظل تقترب وتتسع حتى تشع ضوءها الغامر على ما حولها فتبدد حلكته .. واذا نحن نرى بوضوح امكان وقوع التوبة والتكفير حتى من أدنأ الساقطين ! .. وكما أرانا شكسبير فى مأساة « ماكبث » يرينا تولستوى فى هذه المأساة ـ وبنفس التوفيق ـ كيف تطارد الجريمة مرتكبها وترهق ضميره .. وكيف ان أسوأ عقاب للخطيئة هو أنها تقود الى خطايا وخطايا أخرى متزايدة ، وتغرى الخاطىء بالامعان فيها ، دفاعا أو حرصا منه على ثمار خطيئته الأولى .. !

●

أما أشخاص القصة أو « أبطالها » الرئيسيون فأربعة ، كل منهم نموذج فذ لطراز خاص من البشر يتباين خلقهم وتختلف خليقتهم بقدر ما تختلف الأخلاق والخلائق فى هذه الدنيا :

فهذه ((انيسيا)) الزوجة الشابة لزوج مسن ، ترينا فى نفسها مثلا حيا للمرأة الطائشة التى تنسى فى سبيل ارضاء غرائزها الضارية كل شىء .. فتحب ، وتخون ، وتجرم .. ثم تصحو من سكرتها فاذا هى تحس - كما تحس الفلاحة فى ((ماكبث)) - أنها قد نالت كل ما طمعت فيه ، ولكنها لم تعرف الشقاء الا منذ نالت هذا الذى نالته ! .. فينتهى الأمر بها الى أن تحسد ضحيتها فى غياهب قبره .. !

وهذا ((نيكيتا)) نموذج للفتى العابث الذى يتلهى بالتغرير بالفتيات ، فلا يكاد يوقع بضحيته حتى يتركها لينشد ضحية أخرى ! .. ولكنه ليس ((عريقا)) فى الاثم كصاحبته ، ففى باطنه تربة كانت تصلح لانبات ((بعض)) الخير لو تعهدتها بالزرع أم غير أمه ، أو استؤصلت منها آفتها الكبرى : ضعف الارادة وسرعة الانقياد .. ولولا هذا لما رأيناه يتردد بين الفعل ونقيضه ، ويتأرجح بين ارضاء شهواته وارضاء ضميره .. فهو يقبل الجريمة ، مشمئزا منها ! .. وهو لا يساهم فى ارتكابها ولكنه يشارك فى ثمراتها ! .. ولا يفتأ هكذا فريسة لعواصف النفس والحس حتى النهاية ...

أما أمه ((ماتريونا)) فهى ميدان واسع لدراسة عنصر الشر والأنانية فى الأمومة ، فهى تشجع ابنها على الفسق أملا فى الفوز له بالزوجة الغنية ، ((صفقة)) رابحة ! .. ثم تغريه بقتل طفله ، فى استهتار ((وسهولة)) مفجعة !!

وعلى النقيض منها زوجها الشيخ الطيب ((أكيم)) ، الذى يضيق بآثام ابنه فيهجر البيت ، ويفضل احتمال عناء الفاقة على الاستمتاع بأموال ((ملوثة)) ! .. وهو يمثل فى الدراما عنصر الجمال الخلقى المصفى ، والبصيص الوحيد من النور وسط الظلمة الكئيبة . ولعل من سخرية تولستوى الرائعة أن ينسب هذا الخلق الرفيع الى رجل يسند اليه المجتمع أحط الأعمال .. فان ((أكيم)) حين يعجز عن العثور على عمل آخر شريف ، يقبل أن يعمل فى تنظيف المجارى !

ولنتابع فصول المأساة من البداية :

الفصل الأول

ترفع الستار .. فاذا نحن فى كوخ فلاح روسى يدعى «بيتر» .. وهو ثرى متقدم فى السن ، يملك مزرعة تدر عليه ايرادا دسما ، لكنه مريض يدب الى القبر .. ماتت زوجته الأولى فتزوج من فتاة تفيض شبابا واشراقا ونضارة ، هى انيسيا .. لكن الشابة لا تلبث أن تضيق بزوجها الشيخ ، فتستجيب لحب آثم يزينه لها فتى يعمل فى مزرعة زوجها هو « نيكيتا » . وهو شاب عارم الجسم مكتمل الحيوية ، عابث .. بفطرته ! .. يحب الغوانى وشراب « الفودكا » بقدر ما يمقت عمله ! .. اراده أبوه الطيب القلب « اكيم » أن يتزوج من ضحيته الجديدة « مارينا » ، الفتاة اليتيمة التى كان قد أغواها حديثا ، لكن عشيقته « انيسيا » زوجة صاحب المزرعة المسن تأبى أن تدعه يفلت منها .. فهى تهدده بأن تنتحر اذا هجرها وتزوج ! .. وهو يطمئنها ويؤكد لها أنه لن يتخلى عنها ، وحتى لو أرغموه على الزواج فسيظل يتردد عليها ! ..

لكنها تأبى قبول هذا الحل ، فهى لا تقنع بفضلات حبه ، وانما تريده لها وحدها ، والا فسوف تضع حدا لحياتها ! .. ويفعل التهديد فعله فيتراجع الفتى ، بانتظام ، قائلا ان أهله يريدون حقا تزويجه من الأخرى ، ولكن .. من قال انه يقبل ؟ كلا ، انه لن يفرط فى حبيبته أنيسيا ! .. ويتجه اليها مبتسما ، فيضىء البشر وجهها وتقبل عليه تتعلق برقبته ، وتقبله فى دلال وهى تسأله : « اذن فستبقى لى وحدى ؟ .. وسوف تقيم على حبى ؟ »

وهنا تدخل أمه « ماتريونا » فتفاجئهما فى هذا الوضع ، ولكن لا يبدو أنها أجفلت أو أحست بالخجل أو الارتباك ..

فانها – على العكس من زوجها – نموذج لعنصر الشر فى الأمومة ، أبعد ما تكون عن التعلق بأهداب الشرف أو الفضيلة .. فهى لا ترى بأسا أو غضاضة فى أن يحب ابنها زوجة رجل غنى ، ما دامت فى ذلك منفعته ! ومن ثم نراها تقول له مداعبة : **« آه ، أنت تمزح مع انيسيا الحسناء ؟ ولم لا ؟ .. أنها من أجمل وأنضر الغانيات .. أما زوجها ، فأمره هين ! .. انه مريض مهدم ، ثم أن هناك طرقا تضاعف من وطأة المرض ، وسرعته !.. والناس جميعا لا بد سيموتون يوما ما ، فلم لا نعينهم على ذلك ونسهله لهم أحيانا ؟ »**

ثم ترسل ابنها نيكيتا لاحضار شىء ما ، كى تبعده عن المكان، وتهمس لأنيسيا بخطتها :

ماتريونا : لو نفحتنى ببعض المال فسأدبر أن يعيش نيكيتا معك على الدوام ! اليك مسحوق أحضرته من البلدة ، وهو قوى المفعول ! اعط المريض منه سبع جرعات .. فتصبحين حرة فى الزواج من عزيزك نيكيتا !

انيسيا : أوه ، أوه .. يا لرأسى ! .. وهل يخلط المسحوق بالماء ؟

ماتريونا : بل الأفضل أن تخلطيه بالشاى ، الذى يحبه زوجك !

انيسيا : أوه ، رأسى يكاد يطير !.. ولو رأى أحدهم المسحوق؟

ماتريونا (وهى ترسم على صدرها علامة الصليب) : لن يسمح الله .. لن يسمح الله .. واذا وقع المحظور وتنبه أحد فلتقولى انه مسحوق لابادة الصراصير !

●

وتخرج انيسيا .. ثم يدخل الأب الطيب أكيم ، فيبدأ

مع ابنه نقاشا حادا تشترك فيه الأم : هو يعنف ابنه لرفضه الزواج من اليتيمة التى أغواها .. وهى تدافع عن الابن زاعمة أن الفتاة التى يريدها له « ملوثة » ! .. فيجيب الأب بأن ابنهما هو الذى لوثها ! .. ولكن الابن يتدخل فى المناقشة منكرا فعلته ، فيناشده أبوه : **« يمكنك اخفاء الأمر عن الناس .. أما عن الله ؟! قل الحق ، ألم يصبها منك .. شىء ؟ »** .. فلا يتردد الابن فى الانكار : **« كلا يا أبت .. وأقسم ! »**

وتفاجأ الأم بأكذوبة ابنها ، لكنها تتمالك نفسها فتستدير الى زوجها مهللة : **« أجاءك القول ؟ .. أرأيت ؟ »** .. وتجوز الخدعة على الأب فيتمتم وهو يلوك مقاطع الكلمات بين فكيه فى خجل وتردد كعادته : **« أوه ، حسنا .. فى هذه الحال ، أعنى .. هذا حسن فيما أظن »**

ثم يخرج الوالدان .. ويبقى نيكيتا وحده ، فيؤنبه ضميره ، ويهمس لنفسه : **« انى معبود الفتيات ، هذا حق .. ولكن حين يتورط الرجل معهن ويضطر لأن يقسم بالباطل .. فان الأمر يغدو بغيضا ! »**

الفصل الثانى

.. فاذا كان الفصل التالى فقد مضت أسابيع ، وبات صاحب المزرعة الثرى المريض مشرفا على الموت .. فان الجريمة قد أفرخت ، والسم الذى سقته له زوجته العاشقة ـ على جرعات ـ قد فعل فعله فى أحشاء التعس ، فهو يئن ويتلوى ويعانى آلاما مروعة تسحق قلب الزوجة الآثمة ، لا اشفاقا عليه وانما اشفاقا على نفسها وأعصابها التى أرهقها احتضاره الطويل وعذابه الفظيع ! .. لا سيما وهى محرومة من مشاركة

عشيقها لها فى تحمل عبء الجريمة .. فلقد كتمت سرها حتى عنه ، خضوعا لمشورة أمه التى حذرتها من اطلاعه عليه : ((**فانه فتى رقيق القلب ، ولا يقدم على قتل كتكوت !))**

وتتفاقم آلام الزوج المحتضر وتتصاعد أناته وحشرجته ، حتى لتوشك المرأة أن تخور وتضعف عن اعطائه بقية الجرعات ، لولا أن الأم الشريرة تلاحقها بالحث والتشجيع .. فتسقيه جرعة أخرى وقد تزايد عذابها ، وخاصة لأن جريمتها توشك أن تذهب بلا ثمرة ، فان ثروة التعس ما تزال مخبوءة فى مكان مجهول ، وهى تخشى أن يموت قبل أن تهتدى اليهـا ! .. وتسمعه يرسل فى طلب اخته فيسقط قلبها خوفا من أن يكون المنكود معتزما أن يهب الأخت كل ثروته ! .. فتسمعها تهمس للأم فى انزعاج :

أنيسيا : لقد بحثت فى كل مكان فلم أعثر على كيس النقود !

الأم : وهل أعطيته المسحوق فى الشاى ؟

أنيسيا : صه ! .. نعم ، سقيته منه جرعتين . لماذا بربك جعلتنى أفعل ذلك ؟

الأم : أنا ؟ سأقسم أننى لا أعلم عن الأمر شيئا ! .. واذن فان بيتر المسكين فى النزع ؟ عليك باستدعاء القسيس ليمنحه البركة الأخيرة . انها لازمة لخلاصه ..

انيسيا : لقـد أرسل فعـلا فى طلب الكاهن .. وفى طلب اخته أيضا !

الأم : اخته ؟ ويحك ! .. ولا تستطيعين العثور على المال ؟ .. اذن فلا بد من عمل شىء ..

وفجأة تجمد المرأتان هلعا ، فقد ظهر بيتر على عتبة الباب وهو يغمغم لاهثا : ((**ان أحشائى تحترق .. ما أصعب الموت !))**

.. فلا تكاد ماتريونا تسمعه حتى تقبل عليه هاشة وتتكلف معانقته : **((.. يا عزيزى .. انها ارادة الله .. ثم ، أتعلم .. ان زوجتك امرأة عاقلة وستهيىء لك دفنا لائقا وتقيم على روحك الصلوات !))**

ثم تهمس الأم للزوجة فرحة : **((هذا هو كيس نقوده حول رقبته . لقد لمسته أصابعى عفوا .. عودى به الى فراشه واعطيه بقية المسحوق بسرعة .. قبل وصول أخته !))** .. ثم تستدير للمسكين : **((تعال يا بيتر ايجنافتش ، فلكم أنت منهك . دع أنيسيا تدثرك فى فراشك .. انها جوهرة !))**

وفى الوقت الذى يخرج فيه المحتضر متحاملا على ذراعى زوجته ، يدخل عشيقها نيكيتا عائدا من عمله فى الحقل فتبتدره أمه :

ماتريونا : أحذر يانيكيتا من أن تدع النقود لأنيسيا ، فى حالة حدوث شىء ! .. خذ الكيس فى حوزتك .

نيكيتا : وفيم يعنينى مالها ؟ دعيها تحرسه لنفسها .. !

ماتريونا : ولكن النساء كما تعلم يا عزيزى متلافات ، لا يحسن استثمار الأموال .. !

نيكيتا : أوه ، حسنا .. سآخذه .

.. وفيما هما يتجادلان تندفع أنيسيا من غرفة المريض مولولة : **((أوه ، يا لرأسى .. غدوت أرملة بائسة .. مات زوجى العزيز الجميل المحبوب !))**

أما ما تريونا فأنها تشمر عن ساعديها فى همة ، متسائلة : **((أين الماء ؟ .. ايتونى بالماء .. فعلى أن أدخل للمعاونة فى اعداد الجنازة !))**

الفصل الثالث

فاذا كان الفصل التالى فنحن فى الشتاء .. وقد مرت على الحوادث السالفة تسعة أشهر ، تزوج خلالها العاشقان .. لكنهما أبعد ما يكونان عن السعادة ، فقد علم نيكيتا بقصة السم الذى دسته أنيسيا لزوجها السابق ، فبات ينظر اليها فى ظل اثمها ، ويحس نحوها بالمقت والازدراء .. وبدافع من طبعه الفطرى استدار عنها ينشد السلوى فى مغازلة النساء الأخريات ... واذا هو قد ارتمى هذه المرة فى أحضان « أكولينا » ـ ابنة المتوفى من زوجته الأولى ـ واذا هو يبعثر عليها قدرا كبيرا من مال زوجته .. بينما تقاسى هذه فى صمت مرارة رؤيته يبدد على غريمتها مالها الذى من أجله باعت روحها للشيطان وقتلت زوجها !

ثم لا يقف نيكيتا عند حد اذلالها وانما يمضى فى غيه فيقسو عليها ، بل يضربها أحيانا . وهى صاغرة ، يستعبدها حبها له فلا تقوى على التمرد ! .. ونراها تشكوه لاحدى جاراتها عاجبة من ضعفها الذى يجعلها تنكمش أمامه « كدجاجة غريقة » .. فتسألها الجارة لماذا أعطته مالها ، وما بالها لا تقاضيه ؟ .. وتنسى الزوجة حذرها لحظة فيفلت من لسانها القول انها « لا تجرؤ » على الالتجاء للقضاء ! .. ولكنها تستدرك لتوها : « فما عاد الانسان يجنى ثمرة من الاحتكام للعدالة فى هذه الأيام ! »

ويفتح الباب فيدخل منه أكيم باحثا عن ابنه لكى يأخذ منه مبلغا يشترى به جوادا بدل جواده الذى شاخ .. لكنه لا يجده فى البيت ، وتقول له أنيسيا انه ذهب الى المدينة . ثم يعود الابن بعد قليل « ثملا » ومعه حبيبته « أكولينا » ، فيعطى أباه عشر روبيات ليشترى بها الجواد ، ويعرض عليه وعلى زوجته ـ فى



صفاقة ـ الهدايا التى ابتاعها لحبيبته ، فيشمئز الأب .. وتثور الزوجة .. ثم تشتبك الغريمتان فى شجار وسباب : هذه ترمى الأخرى بأنها ساقطة تسلب النساء أزواجهن .. وتلك تجيب بأنها على الأقل لم تقتل زوجها ! .. وهنا تثور أنيسيا وتهدد الفتاة بالقتل !.. ويثور نيكيتا ويهدد زوجته بالطرد .. ويثور الأب بدوره فيقذف بالعشر روبيات فوق المائدة مخاطبا ابنه : ((**اليك نقودك ((الملوثة)) ! .. أما أنا فذاهب بعيدا .. فلست أطيق البقاء فى مكان كهذا ، مع وحش غرر بيتيمة !... انك تعيش فى حمأة الخطيئة يانيكتيا .. الخطيئة تلازمك كظلك ، وستودى بك الى الضياع .. أواه ، لم أعد أطيق البقاء !))**

ويهم بالخروج .. فيعترضه ابنه مهدئا من ثائرته ، لكنه يصيح به : ((**دعنى أذهب .. اننى أفضل النوم فى العراء على البقاء معك تحت سقف واحد .. انى أحس فى بيتك بشىء يلدغنى !))** .. ثم يفتح الباب ليخرج .. لكنه يستدير لابنه مرة أخيرة قبل أن يذهب : ((**عد الى صوابك يا نيكيتا .. فان الله لا يعبأ بغير الروح !))**

الفصل الرابع

ثم ترفع الستار عن الفصل الرابع فاذا الخريف التالى قد حل ، واذا نحن فى كوخ أكولينا حيث تدور أحاديث نفهم منها أن الفتاة مقبلة على الزواج من شاب يطمع فى مالها « دوطتها » ولا يريدها لذاتها !

ويمتلىء الكوخ بنسوة القرية وعجائزها ، وقد جئن يهنئن العروس .. لكن العروس محتجبة عن الظهور ، الأمر الذى يوقظ فى النسوة فضولهن فيتناقشن فى أمرها ، هامسات غامزات .. فتقول احداهن : **« سمعت أن بها آلاما فى المعدة ! »** ... وتسأل الأخرى فى تخابث : **« أتعرفن معنى هذا ؟ »** .. ثم تهمس بكلمة لا تكاد الثالثة تسمعها حتى تستنكرها ، كغير المصدقة !..

واذا والد العريس المنتظر ينتحى بالأم ماتريونا ركنا كى يفضى اليها بشكوكه التى بدأت تستيقظ ، فيقول فى لهجة المهموم : **«الله وحده يعلم ما هنالك .. هناك ولا ريب أمر جلل!»** .. فتتكلف الأم الدهشة وتمازحه : **« أمر جلل ؟ .. مطلقا ! ان ابنك سيحصل على زوجة حسناء « فاضلة » ، ذات دوطة « محترمة » تبلغ ١٥٠ روبية ! .. فماذا تريد أكثر من هذا ؟ »**

لكن قلق الرجل لا يفارقه ، وانما هو يتحايل على توجيهه وجهة أخرى فيبدى اشفاقه من أن تكون وعكتها عرضا من أعراض صحة معتلة ؟ ! .. وهنا تنبرى له الأم مستنكرة : **« اكولينا صحتها معتلة ؟ انها أصح وأنضر ما تكون . كل ما بها أنها ثقيلة السمع بعض الشىء .. ولكن لا تنس أن للشمس أيضا عيوبها ! .. وما احتجاب الفتاة اليوم الا من تأثير عين حسود اصابتها . هذا كل ما فى الأمر .. »**

ويتبين الأب عقم المناقشة فينهيها . وفيما الكل منشغلون

باتمام معدات الزفاف تدرك اكولينا ساعة الوضع فتلفظ عارها خفية ! .. ويبدأ دور التخلص سرا من الطفل فى أسرع وقت ، قبل أن تفوح رائحة الفضيحة .. فيطلب نيكيتا ــ والد الطفل ــ من زوجته أنيسيا أن تحمله الى المستشفى ، لكنها تأبى .. تجد فى هذا المأزق فرصتها للتشفى ، فتقول له شامتة : **((كلا .. انها قذارتك وعليك أنت أن تنظفها بنفسك ! .. ثم أن المستشفى مكان عام مزدحم بالناس .. أو تريد أن ينفضح الأمر ؟ .. لخير لك أن تأخذ الطفل الى ((البدروم)) وتحفر له حفرة تدفنه فيها !))**

نيكيتيا : يا الهى ! أما من طريق آخر ؟

انيسيا : كان يجب أن تفكر فى هذا منذ تسعة أشهر !

لكن الفتى يتردد فى ازهاق روح طفله ، فتدخل أمه ماتريونا لتضم صوتها الى صوت انيسيا وتناشده بدورها ــ فى استهتار مفجع ــ أن يتشجع : **((فليس من سبيل آخر أمامك . ثم انه لم يصبح بعد انسانا .. ليس هو سوى مخلوق حديث لا أهمية لحياته اطلاقا .. هيا تناول فأسك وأنا سأحمل لك المصباح ! هيا يا عزيزى ، أتم مهمتك كرجل ، فان الأرض الطيبة لا تشى بالسر أبدا ! ولا تنس ان من يبغى امتاع نفسه عليه أن يستر سقطاته ..))**

ويتخاذل الفتى .. وتضنيه الحيرة ! .. أما زوجته فتستيقظ فيها انوثتها الذليلة ومقتها الرهيب لطفل زوجها ، طفل غريمتها ! وتغلبها الشماتة بالزوج المعذب الذى يجنى ثمار خيانته لها .. ولم لا يتعذب ، مثلها ؟ ان وقر جريمتها ما يزال يسحقها ، وتزداد وطأته ثقلا على ضميرها يوما بعد يوم .. انها تحيا فى شبه جحيم ، فلم لا تجر معها الى الجحيم زوجها الذى أثمت من أجله ، فخانها أمام عينيها ؟ .. **((فليصبح هو الآخر**



قاتلا ! عندئذ سيعرف أى عذاب يسببه هذا الاثم ! .. سأجعله يخنق مخلوقه القذر . لقد عانيت طويلا من هواجسى ، وكأن عظام « بيتر » جاثمة فوق صدرى ! .. فليجرب هو وليقاس بدوره فظاعة هذا الاحساس .. »

وتنحاز الزوجة الى رأى الأم ، فتحرضه الاثنتان على قتل الطفل !.. فيضعف نيكيتا وينقاد لرأيهما : **« حسنا يا أماه .. احملى المصباح وتعالى ..! »**

ماتريونا : ولا تنس أن « تعمد » الطفل قبل أن تدفنه !

الفصل الخامس

فاذا كان الفصل الأخير فنحن فى ليلة عرس اكولينا ، وقد أعدت العدة للاحتفال به فى دار أبيها المتوفى « بيتر » .. وبينما الكل فى هرج وصخب ، نرى نيكيتا قد خارت قواه النفسية تماما تحت عبء آثامه ، وراح شبح الماضى يطارده بصورة مفزعة ، تجعله يترك الفرحين فى أفراحهم ويتسلل الى مخزن الحنطة ، حيث يحاول شنق نفسه !

لكن الحبل ينزلق منه فى المحاولة الأولى .. وبينما هو على أهبة القيام بمحاولة أخرى تلحق به أمه ماتريونا ـ بعد أن أعياها البحث عنه ـ فيسرع الى اخفاء الحبل ويضطجع على التبن :

ماتريونا : نيكيتا ! ماذا تفعل هنا والضيوف ينتظرونك ؟

نيكيتيا : أماه ! ماذا فعلت بى ؟ انى ضائع معذب ..!

ماتريونا : هراء ! كل شىء على ما يرام ، ولسوف تزف أكولينا بعد دقائق . وما من أحد قط سيعرف الحقيقة !

نيكيتا : هذا صحيح .. ولكن ماذا بشأن الذى فى البدروم ؟

ماتريونا (ضاحكة) : ما الذى فى البدروم ؟ بطاطس وكرنب و .. لا شىء غير هذا ! .. لماذا تدأب على تذكر الماضى ؟

نيكيتيا : آه لو أستطيع النسيان ! ولكن مستحيل .. حتى الخمر فقدت تأثيرها على .. فان الطفل ماثل دائما أمامى ، أراه وأنا آكل أو أشرب أو أنام ! .. وأسمع صوته يصرخ فى سمعى بصوت مبحوح : « لماذا فعلت بى هكذا ؟ »

ماتريونا : أوه ، دع عنك هذه الهواجس ، فليس لدينا وقت للسخافات . لقد بدأ الضيوف يقلقون ويتساءلون عن رب البيت ، والسبيل الوحيد لاسكات ألسنتهم الثرثارة هو ظهورك .. ومم تخاف ؟ أنك تعرف المثل القديم القائل : « لن يرتاب أحد فى اللص الذى يبدو جريئا معتدا بنفسه ! »

وتدخل عليهما انيسيا موفدة من الضيوف للبحث عنه .. فتجرب معه حظها وحيلتها : « **انظرى اليه كيف يتمرغ فى التبن! هيا بنا ، لا تكن أحمق والحق بالآخرين .. آه لو رأيتهم ، انهم جمع منتقى ، مرح صاخب .. النساء يغنين والرجال سكارى ، وكل شىء رائع بهيج ..** » فيجيبها نيكيتا وكأنما قد استقر عزمه على شىء : « **حسنا ، سألحق بكما ..** »

ويمضى فى أثرهما الى حيث التأم الجمع ، فتبدو على الضيوف الدهشة لرؤيته حافى القدمين! .. لكنه لا يعبأ بنظراتهم بل يمضى حتى يتوسط المكان ، فيلتفت حواليه مخاطبا الحاضرين : « **أبى أكيم ، أنت هنا ؟ وأنتم يا رجال القرية .. كلكم حاضرون ؟**

حسنا ، هأنذا أمثــل أمامكم .. أنا الخــاطىء ! » .. ويجثو على ركبتيه .

أنيسيا : نيكيتا ، يا حبيبى .. ماذا بك ؟ أوه ، يا لرأسى !

ماتريونا : لقد أسرفت فى الشراب يا نيكيتا .. انهض وعد الى صوابك !

نيكيتا : دعينى .. اتركانى كلتاكما ! وأنت يا أبى اصغ الى .. وأنتم يا أهل القرية ، انصتوا الى أنا الخاطىء !

ثم يستدير نحو العروس وينحنى تحت قدميها : « **لقــد أثمت فى حقك يا أكولينا ، فأبوك لم يمت قضاء وقدرا ، بل مات مسموما .. أنا الذى سممته ! »**

فتهتف العروس ـ ضحيته ـ وقد أخذتها الشفقة به : « **أنه يكذب .. انى أعرف من فعلها ! »** لكنه يقاطعها منسحقا : « **بل أنا الذى ســممته يا اكولينــا .. وأنا الذى أغويتك ، فسامحينى ! »** ويستريح الأب لاعتراف ابنه ، فيحثه عــلى الاســتطراد : « **تكلم يا بنى .. أذكر كل شىء . طهر نفســك واعترف لله .. أما الناس فلا تخشاهم ! فالله وحده الجدير بأن نتوجه اليه »** .. فيستطرد نيكيتا كالمحموم الذى يريد أن يفرغ ما فى جوفه : « **يالى من نذل .. أنا الذى سممت الأب ، وحطمت الابنة .. كانت فى قبضتى فحطمتها ، هى وطفلها ! »**

اكولينا : لا تصغوا اليه ، لا تصدقوه ، أنا التى ...

نيكيتا (مقاطعا) : بل لقد فعلتها بمفردى .. سامحينى يا اكولينا **(وهو ينحنى تحت قدمى والده)** وأنت أيضا يا أبت .. سامحنى ! لقد حذرتنى منذ البداية فأبيت الاستماع اليك .. فاغفر لى أنا النذل !

أكيم (وقد أشرق وجهه) : الله هو الذى سيغفر لك .. انك لم ترحم نفسك ولكن الله سيرحمك .. الله .. الله وحده الجدير بأن نتوجه اليه !

اكولينا : سأقول الحقيقة .. اسألونى عن ..

نيكيتا : لا داعى لكل هذا يا اكولينا .. أنا الذى دبرت كل شيء .. انا الذى فعلتها بنفسى .. وهأنذا على استعداد لملاقاة عقابى .. والتكفير عن اثمى !

« ستار »

●

عزيزى القارىء ...

أما وقد قرأت ، وتذوقت ، هذه المأساة التى كتبها « تولستوى » .. فلعلك مشوق الى أن تقرأ شيئا عن الكاتب ، بعد أن قرأت الكتاب .. وأنا لن أحدثك هنا عنه حديثا معادا ، لعلك قرأته فى أكثر من كتاب وأكثر من مناسبة .. وانما حسبى أن ألقى الضوء على بعض الجوانب من حياة تولستوى التى لم تتعرض للضوء من قبل .. وسترى منها أن قصة حياة هذا « الانسان » العظيم تكاد تفوق فى غرابتها قصص ألف ليلة وليلة !

فقصة تولستوى هى قصة «نبى» بشرى مات فى عصرنا الحاضر ـ سنة ١٩١٠ ـ وبلغ من توقير مواطنيه له أنه عاش العشرين عاما الأخيرة من حياته هدفا لسيل متدفق لا ينقطع من المعجبين الذين كانوا « يحجون » الى بيته أملا فى أن يتزودوا بنظرة عابرة الى وجهه ، ويسمعوا نبرات صوته ، ويلمسوا أهداب ثوبه !

٢٣ ألف كتاب .. !

● بل ان عددا من أصدقائه نزلوا فى داره وعاشوا معه تحت سقف واحد « أعواما » كاملة كى يسجلوا ، بالاختزال ، كل كلمة ينطق بها ، فى أى موضوع تافه أو حديث عابر .. ويصفوا بمنتهى الدقة أتفه تفصيلات حياته اليومية .. وقد جمعت هذه السجلات جميعها فيما بعد وطبعت فى مجلدات ضخمة ، صارت مرجعا هاما لكل مؤرخى حياة تولستوى ..

ولعله لم يسبق فى تاريخ البشرية ـ أو يلحق ، حتى الآن ـ أن كتب عن انسان من المؤلفات مثلما كتب عن تولستوى .. فقد بلغ عدد الكتب التى وضعت عن حياته وآرائه ٢٣٠٠٠ (ثلاثة وعشرين ألف كتاب) بجميع اللغات ، عدا ستة وخمسين ألف مقال فى الصحف والمجلات .. أما عدد مؤلفاته هو وقصصه فقد ملأت مائة مجلد !

حياة .. مليئة بالمفارقات !

● وقصة حياة تولستوى حافلة بالصور والألوان الشائقة ، مثل قصصه سواء بسواء .. فقد ولد فى قصر مكون من ٤٢ غرفة ، تحوطه أسباب الترف البالغ والثراء العريض ، المأثورين عن الطبقة الارستقراطية فى روسيا القيصرية .. لكنه فى أواخر حياته تنازل عن جميع أملاكه وضياعه ، ومتاعه الدنيوى ، ايمانا بمثله العليا التى عاش ينادى بها .. ثم مات لا يملك درهما ، فى محطة سكة حديد صغيرة مقفرة ، لا يحيط به غير عدد من الفلاحين !

وفى شبابه كان مزهوا بجاهه ، يمشى متأنقا وكأنه يتخطر ، وينفق فى حوانيت الخياطين فى موسكو ثروات طائلة .. لكنه فى شيخوخته ارتدى الزى الخشن الذى يرتديه الفلاح الروسى ، وصار يصنع أحذيته بيديه ، ويكنس غرفته ويرتب فراشه بنفسه ، ويتناول طعامه البسيط على مائدة عارية من الغطاء ، من آنية خشبية ، بملعقة خشبية !

يزنى .. ويقتل .. ويرتكب كل موبقة !

● وفى شبابه عاش تولستوى معيشة وصفها هو نفسه فى « اعترافاته » ـ التى سوف أقدمها لك مفصلة فى عدد قادم من كتابى باذن الله ـ بأنها « معيشة قذرة شريرة » .. كان يشرب الخمر ، ويقامر ، ويبارز ، ويزنى ، ويرتكب كل موبقة وجريمة .. حتى القتل ! .. لكنه فى مستقبل حياته حاول أن يتبع تعاليم « المسيح » بحذافيرها .. وبات أقرب شخصيات بلاده بل أقرب البشر عموما الى القداسة !

وفى السنوات الباكرة من حياته الزوجية نعم هو وزوجته بسعادة مباركة « مثالية » ... لكنه فيما بعد شقى مع زوجته شقاء مفجعا جعله لا يطيق رؤيتها !..وحين رقد على فراش الموت كان رجاؤه الأول أن لا يؤذن لها بالدخول عليه!

يخجل من أعظم مؤلفاته !

● وفى شبابه كان تلميذا فاشلا يئس مدرسوه الخصوصيون من أن يدخلوا الى ذهنه الصفيق أية معلومات نافعة .. لكنه بعد ثلاثين عاما من ذلك التاريخ كتب اثنين من أعظم الروايات التى عرفها العالم والتى ستخلد على مر العصور : « انا كارنينا » و « الحرب والسلم » .

وتولستوى اليوم أكثر شهرة ، فى خارج روسيا ، من جميع القياصرة الذين حكموا تلك الامبراطورية الدموية .. ولكن ترى هل أسعده أنه كتب هاتين القصتين الخالدتين ؟ فى البداية ، نعم ! .. أما فيما بعد فقد خجل من كونه كتبهما وكرس بقية حياته لكتابة نشرات صغيرة يعظ فيها بالسلام والمحبة ومحو الفقر .. وقد طبعت تلك النشرات طبعات رخيصة وصارت توزع على العربات من باب الى باب .. حتى نفد منها فى أربع سنوات ١٢ مليون نسخة !

ماساته .. زوجته !



• وقد كانت حياة تولستوى فى مجموعها مأساة .. وكان سبب مأساته : زواجه ! .. فقد كانت زوجته تحب الترف ، وهو يحتقره ! .. هى تتحرق شوقا الى المجد والنجاح الاجتماعى ، وهو لا يبالى البتة بهذه التفاهات ! .. هى تسعى الى المال والثراء ، وهو يعتبر اقتناء المال والممتلكات الخاصة خطيئة! .. هى تؤمن بالحكم الذى يستند الى القوة ، وهو يؤمن بالحكم الذى يستند الى المحبة ..

وزاد الشقة بين الزوجين اتساعا ، ما اتصفت به الزوجة من غير نارية مفترسة .. غير دفعتها الى أن تكره أصدقاءه ، وتطرد ابنته ـ وابنتها فى الوقت نفسه ـ من البيت .. ثم تندفع الى غرفة تولستوى فتطلق على صورة الابنة الموضوعة على منضدته طلقة من بندقية صيد !

• وعاشت الزوجة الحمقاء سنوات تثير أعصاب تولستوى بنكدها وصياحها وتأنيبها اياه فى كل مناسبة ، حتى أحالت حياته جحيما .. وفى احدى مشاداتهما أصيبت يوما بشبه نوبات صرع فارتمت على الأرض وفى يدها قارورة « أفيون » قربتها من شفتيها وهى تقسم أن تقتل بها نفسها .. أو تلقى بنفسها فى البئر !

كان قد انقضى على زواجهما وقتئذ نصف قرن .. وكانت الزوجة تركع أحيانا عند قدمى زوجها متوسلة اليه أن يعيد على مسامعها عبارات الحب القوية الملتهبة التى كتبها عنها فى مفكرته قبل ثمان وأربعين سنة ، عندما كانا يتبادلان حبهما الجنونى القديم ! .. فكان كلما قرأ لها ذكريات تلك الأيام السعيدة التى انقضت الى غير رجعة ، ينخرط كلاهما فى البكاء بحرقة ومرارة .. !

نهاية الطريق ..!

• لكن كأس تعاسته فاضت به آخر الأمر ، ولم يعد يحتمل شقاءه البيتى المفجع أكثر مما احتمل .. ففر من بيته وزوجته ليلة ٢١ أكتوبر سنة ١٩١٠ ـ وهو فى الثانية والثمانين ـ فى قلب الليل البارد المظلم ، دون أن يدرى الى أين هو ذاهب ! .. وأصيب من جراء ذلك بالتهاب رئوى حاد ، قضى على حياته بعد أحد عشر يوما ، فلفظ أنفاسه فى « كشك » محطة سكة حـديد صغيرة مقفرة .. وليس حوله غير ابنتـــه ، وأصدقائه الفـلاحين .. ومصورى الصحف العالمية !

شجرة الحرية



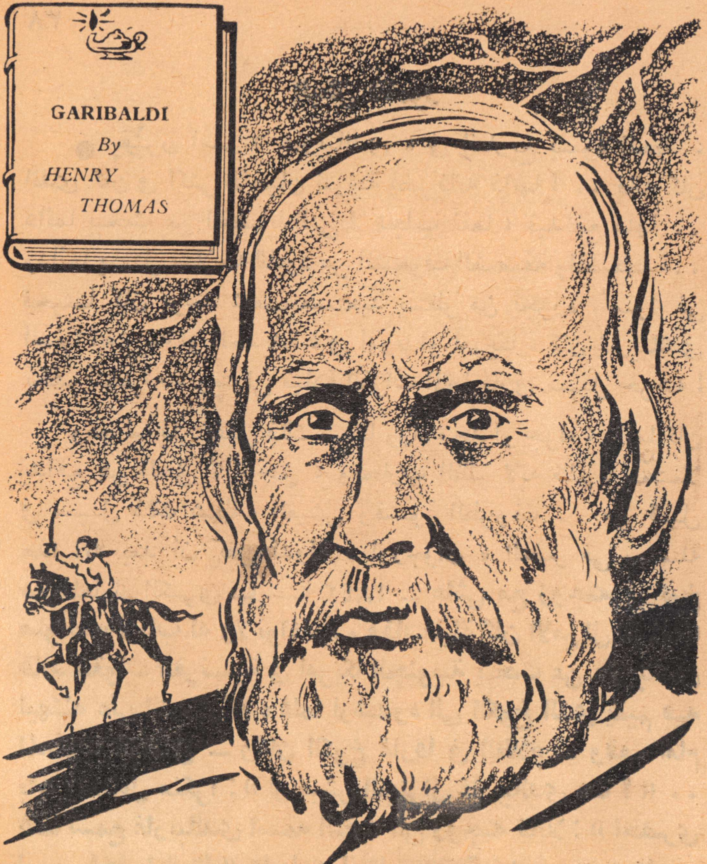
قصص حياة أنبياء الوطنية في الشرق والغرب

عزيزى القارىء ..

فى ((كتابى)) السابق قدمت لك فى هذا الباب قصة حياة الزعيم الايرلندى العظيم ((ديفاليرا)) ، وسيرة كفاحه فى سبيل حرية بلاده ..

واليوم أقدم لك قصة حياة وكفاح بطل آخر من أبطال الحرية والوطنية لا يقل قدرا فى ذاكرة مواطنيه ، ولا يقل خلودا وحياة فى ذاكرة التاريخ ، عن ديفاليرا .. وأعنى به الزعيم الايطالى العظيم غاريبالدى .

ولعل سيرة غاريبالدى تمتاز عن سيرة الكثيرين من أنبياء الوطنية بما تشتمل عليه من تصوير رائع ، لا لبطولة الرجل فحسب ، بل لبطولة زوجته وشريكة حياته ((أنيتا)) ، التى ترينا مثلا مشرفا للمرأة التى تشد من أزر زوجها وتعينه على تأدية رسالته ، أيا كان ميدانها .. فهى تحارب معه جنبا الى جنب .. وتحمى ظهره .. وتقوى عزيمته .. ثم تؤسر معه ، وتفر من الأسر .. وترتدى زى الرجال ، وتمتطى حصانا تركض به بين الأدغال وتسبح فى الأنهار ، أياما متواصلة ، بغير طعام ولا راحة .. برغم الجنين الذى يتحرك فى أحشائها ! .. فما أحرى أن تكون سيرتها نموذجا تحتذيه الفتاة المصرية ، ومنظارا تضعه الزوجة العصرية على عينيها ، كلما تطلعت الى شريك حياتها .. كيما تحفزه على تأدية رسالته ، وتشاركه طموحه !



غاريبالدى

زعيم الوحدة الإيطالية

بطل الحرية فى وطنه .. وفى كل وطن مستعبد

البطل المغمور

● يقترن اسم « غاريبالدى » فى التاريخ بسوء الحظ ، الذى كان فى أكثر الأحيان نتيجة تصرفاته ذاتها ! .. فانه كان دائما يبحث عن القضايا التى لا تجلب نفعا ، فيدافع عنها .. ودائما يستل سلاحه للذود عن الشعوب الضعيفة والمضطهدة .. فحيثما كان يوجد شعب مستعبد ينتظر من يحرره ، سواء فى الدنيا القديمة أو الجديدة ، فى أوربا أو أمريكا ، كان غاريبالدى يخف لنصرته ، ويتولى قيادة القوات المحاربة فى سبيل حريته !

وهو لم يكن يفعل ذلك سعيا وراء مجد أو جزاء ، وانما كان يدافع عن الحق لأنه حق ، ويحارب الظلم لأنه ظلم ، محتملا فى سبيل ذلك شظف العيش وقسوة الظروف .. من قبيل هذا أنه بعد أن كفل لدولة « أورجواى » النصر فى سلسلة من المعارك الكبرى ــ سنة ١٨٤٢ ــ **عاش مع زوجته فى كوخ متواضع لا باب له ولا نوافذ .. وذات ليلة كان الأميرال «لينيه» قائد القوات الفرنسية فى أمريكا الجنوبية يبحث عن غاريبالدى ليهنئه على انتصاراته ، فلما أرشدوه الى الكوخ الذى يقيم فيه المحارب الباسل ــ وكان الكوخ غارقا فى الظلام ــ وقف أمام بابه يتساءل منكرا : « أويعيش الجنرال غاريبالدى هنا ؟ » .. فلما سمع غاريبالدى اسمه التفت الى زوجته قائلا : « أحضرى لى سراجا يا أنيتا » فأجابته أنيتا معتذرة : « آسفة ، فليس عندنا سراجا ! » .. فاستدرك غاريبالدى قائلا فى بساطة : « أوه ، لقد نسيت أن الشموع لم تدرج فى كشف (الجراية) التى تصرف لنا ! »**

وعلى أثر تلك الزيارة كتب الأميرال الفرنسي يقول : « وهكذا

اتيح لى أن أسمع صوت غاريبالدى الذهبى ، لكنى لم أستطع رؤية ابتسامته الذهبية . »

قصة القميص الأحمر

● ولقد ذاع صيت ابتسامة غاريبالدى الذهبية فى كل مناسبة .. فان مظهره كان خليطا من (مارس) اله الحرب و (أبو للو) اله الشعر ، يجمع بين قوة الجسم وجمال الوجه. **كان طويلا مفتول العضلات ، تحيط بوجهه هالة من الشعر الذى اختلط فيه لون الذهب بلون البن ، وتتدلى من ذقنه لحية من نفس اللون ، فكان أشبه بلوحة من رسوم « ميكل انجاو » .. بل أشبه برب من آلهة الأساطير ، يرتدى قميصا أحمر اللون !**

ولاختيار غاريبالدى القميص الأحمر شعارا لجيشه قصة طريفة .. فقد اضطرته أزمة الملابس الى أن يبحث لجنوده عن أرخص قماش ، فعثر على رسالة من القمصان الصوفية الحمراء كان تاجر فى (مونتفديو) يتأهب لارسالها الى « سلخانة » مدينة (بونس ايرس) ، بعد أن اختارها من اللون الأحمر عامدا « كى تخفى بقع الدم التى تتناثر عادة على ثياب القصابين .. فاختارها غاريبالدى لجيشه لنفس الحكمة ، كى تخفى دماء الجنود المتناثرة من جروحهم فى ميدان القتال ..!

طفولته ونشأته

● وقد ولد غاريبالدى يوم ٤ يوليو سنة ١٨٠٧ فى مدينة « نيس » .. ولد وفى دمه تجرى عاطفتان غريزيتان : حبه للفضاء الرحب العريض ، وحبه للحرية ، وكلاهما من العواطف التقليدية عند البحارة ـ ولعله ورثهما عن أبيه ، الذى كان قبطانا بحريا . وفى سنوات طفولته كانت هواية غاريبالدى المفضلة تسلق التلال والسباحة فى البحر .. أو كما عبر هو عنها

فى حديث له مع الروائى الفرنسى (الكسندر دوماس) : « يبدو اننى ولدت من فصيلة الحيوانات (البرمائية) ، التى تعيش فى البحر والبر على السواء ! »

ونشأ الفتى لا يعرف الخوف ، فبينما كان يتجول يوما على شاطىء النهر مر بجماعة من النسوة يغسلن بعض الثمار والأزهار فزلت قدم احداهن وسقطت فى الماء .. ورغم خطورة السباحة فى تلك البقعة من النهر لامتلائها بالدوامات والتيارات المائية ، فان الصبى غاريبالدى لم يتردد فى القفز وراء المرأة وانتشالها من الماء .. مع ان سنه لم تكن تزيد يومئذ عن ثمانى سنوات !!

يهجر المدرسة .. الى البحر !

● وحين بلغ الصبى الخامسة عشرة ، هجر المدرسة ! .. وهو يقول فى ذلك : « ان حرية الفضاء الرحيب اجتذبتنى أكثر من ضيق حجرة الدراسة ! »

ثم أبحر الفتى وحده الى « جنوا » بحثا عن المغامرة والمجهول .. وكانت تلك صدمة عنيفة لآمال أبيه ، الذى كان ينوى اعداده ليكون قسيسا ! .. لكن الأب لم يلبث أن تعزى حين أدرك أن ابنه لم يخلق لحياة السلام والاستكانة ، فرضخ للأمر الواقع وألحق ابنه المتمرد كبحار فى سفينته التى يتولى قيادتها ..

وسرعان ما اندمج الفتى مع البحارة وصار صديقا لهم . ورغم براعته وتفوقه عليهم فى السباحة والغوص لاقتناص المحار والأحياء المائية ، فانه نجح فى تجنب اثارة حفيظتهم وحسدهم ، بفضل دماثة خلقه ، ونظرة الصداقة الدافئة التى كانت تشع من عينيه الزرقاوين ، ورنة العطف والود التى يختلج بها صوته دائما ..

على انه لم يفق اقرانه فى فنون البحر وحدها ، بل فاقهم أيضا فى شتى فنون المعرفة : فى التاريخ ، والفلسفة ، والشعر بصفة خاصة .. فكانت أحب الساعات الى أخوانه البحارة تلك التى يجلسون فيها ينصتون لصوته الذهبى يردد فى سكون الليل أشعار « دانتى » و « فولتير » ، أو ينشد أناشيد الثوار الفرنسيين الحماسية ، التى كانت موسيقاها الناطقة تغنى عن ترجمة ألفاظها ..

يقاتل القراصنة .. ويتصيد المعارك !

● وأمضى غاريبالدى عشر سنوات على هذا النحو ، يمارس أعمال البحارة ، والسباحة ، والغناء .. وفى غضون هذه المدة ارتقى من بحار ناشىء الى قبطان ، لا يهاب المخاطر ولا يعرف الخوف .. **وحانت فرصته للمغامرة حين اشتبك الأتراك واليونانيون فى صراع دموى قرب شواطىء (لبنان) فهرع بسفينته الى حيث أدلى بدلوه فى القتال !**

ولم يكد يفرغ من تلك المعركة حتى راح يجوب البحار ويقاتل القراصنة الذين يهاجمون سفينته بالفؤوس والخناجر ، بحيث باتت حياته سلسلة من المغامرات والمخاطر التى أبدعت فى وصفها أشعار لورد بيرون الحماسية التى تمجد البطولة والأبطال .

التقاؤه بمازينى ..

● وفى تلك الآونة بلغ مسامع غاريبالدى نبأ مصرع ايطالى يدعى (مينوتى) على أيدى النمسويين ، عقابا له على محاولته توحيد بلاده وتحريرها من نير النمسا . لكن مقتل مينوتى أدى الى عكس المقصود منه ، فبدلا من أن يخمد الروح الوطنية فى قلوب الايطاليين زادها اشتعالا .. وذات يوم التقى غاريبالدى

بشاب من اتباع مينوتى قال له : « ان مئات من رجالنا قد أعدموا بأيدى النمسويين ، لكن أعظم رجل فى جماعتنا ما يزال حيا ، واسمه (مازينى) ! »

وعلى أثر ذلك أبحر غاريبالدى من فوره الى مارسيليا حيث قابل مازينى ، الذى كان منفيا هناك دون أن يحجر على حريته الشخصية. وقد كتب غاريبالدى فيما بعد عن هذا اللقاء فقال : **«ان كولمبس لم يسعد باكتشاف أمريكا كماسعدت أنا باكتشاف هذا النبى الموعود الذى ارسل ليقود شعبنا الى أرض الموعد . »**

وكان ذلك اللقاء بين الرجلين بداية تعاون مثمر فى سبيل حرية ايطاليا دام مدى الحياة .. تعاون بين مازينى « الحالم » بحرية بلده ، وغاريبالدى الذى ترجم حلمه الى أفعال أعظم وأقوى أثرا من الأقوال !

نحو الوحدة الايطالية

● لكن تحرير الولايات الايطالية وتوحيدها بدا فى ذلك الحين حلما متعذر التحقيق ! .. فان المحالفة الدولية التى أبرمتها الدول الكبرى سنة ١٨١٥ قضت باستبعاد الولايات الايطالية من نطاقها وعدم الاعتراف بها كدولة موحدة : فبقيت ولايتا (بيدمونت) و (سردينيا) تحت حكم ملوك أسرة سافوى ، بينما ضمت ولايتا (لومبارديا) و (فينيسيا) الى النمسا ، وأخضعت (توسكانيا) و (مودينا) و (بارما) لنير الاشراف النمسويين ، واستكانت (روما) و (امبريا) و (رومانا) لسلطان البابا ، يعاونه جيش احتلال فرنسى .. أما (نابولى) و (صقلية) فوقعتا تحت رحمة أسرة البوربون .. وهكذا استحقت ايطاليا ما قاله عنها « مترنيخ » داهية النمسا وبطل

مؤتمر (فينا) : « ان ايطاليا لم تعد شعبا واحدا ، وانما محض اسم جغرافى ! »

ومن ثم بات غاريبالدى ومازينى يواجهان مهمة قاسية : مهمة تحويل اسم بلا مسمى الى شعب ناهض حى ! .. وقد كرس غاريبالدى قلبه وروحه لهذه المهمة ، بادئا بمحاولة تأليب بحارة أسطول « جنوا » ضد حكامهم .. لكن أحد أولئك البحارة وشى به ، فاضطر الى الهرب فورا الى مرسيليا ، وهناك وجد اسمه مطبوعا فى عدة نشرات وزعتها حكومة (بيد مونت) تعلن فيها عن مكافأة سخية لمن يسلمها رأسه .. بعد أن حكمت عليه بالأعدام !!

هجرته الى أمريكا ..!

● ازاء ذلك يئس غاريبالدى من أن يجد لنشاطه متسعا فى ايطاليا .. وكان قد سمع أن هناك ثورات ناشبة فى الجهة الأخرى من الأطلنطى ، فى بعض ولايات أمريكا الجنوبية التى ضاقت بنير الاستعباد..فأبحر وبصحبته بعض أتباعه المخلصين الى هناك ، حيث بقى أثنى عشر عاما (من ١٨٣٦ الى ١٨٤٨) يقود جنوده ذوى القمصان الحمر مناضلا فى سبيل تحرير ولايتى (اورجواى) و (ريو جراند)

وقصة مغامرات غاريبالدى فى أمريكا الجنوبية تفوق فى غرابتها قصص ألف ليلة وليله !..ففى البداية قصر غاريبالدى حربه على ميدان البحر ، فكان يشن هجماته ضد « أعداء الحرية ومضطهدى اخوانهم البشر » على طريقة قراصنة البحار !

.. لكنه بعد أن قضى عدة شهور فوق ظهر الأمواج ترك سفينته وامتطى صهوة الجواد ، ثم راح يذرع الفيافى والقفار على رأس رجاله الشجعان، وكانت قد انضمت اليهم حفنة من أمهر فرسان

(ريو جراند) وأشدهم بأسا ، فانطلق الجميع عبر الحقول والأحراش وفى أيديهم النبال والرماح .. ولم تمض أشهر حتى فاق غاريبالدى أولئك المحترفين فى مضمارهم ، وصار أمهرهم جميعا فى الفروسية والرماية ! صار يطارد ورجاله العـدو بلا هوادة ، فينقضون عليه حيثما وجد ، وفى سرعة البرق .. **وكانوا يقودون وراءهم قطيعا من الماشية يذبحون منه ويشوون ويأكلون كلما جاعوا ! .. وكانت بطولة أولئك القوم أشبه بالخرافات ، فقد كانوا يعرضون انفسهم لأفظع ألوان التعذيب، فى حالة وقوعهم فى ايدى أعدائهـم .. ويموتون فى الميـدان والابتسامة ترف على شفاههم !**

وقد مات منهم بالفعل عـدد كبير .. لكن الموتى كانوا يستبدلون على الفور بمدد جديد من الأحياء ، تجذبهم دائما نحو قائدهم الباسل قوة أشبه بالمغناطيس !.. أما هو فبداكما لو لم تكن توجد قوة تستطيع ايذاءه أو ايقافه !



وذات مرة وقع غاريبالدى فى قبضة أحد ضباط الأعداء فحاول هذا ارغامه على الافضاء بمعلوماته عن طريق تعذيبه وجلده وتعليقه من ابهاميه لمـدة ساعتين فى زنزانته ، الأمر الذى وصـفه غاريبالدى نفسه فيما بعد بأنه «نوع من النزع لا يمكن وصفه !» .. ورغم ذلك لم تخـرج من شـفتيه كلمة واحدة تفضـح أسراره الحربية ..!

الفارس الباسل .. يذعن للحب !

● لكن غاريبالدى كان انسانا ، ذا قلب كقلوب سائر البشر .. فأذعن للحب كما يذعن للبشر !

كان ذلك فى أحد أيام سنة ١٨٣٩ ، وكان الفارس قد طلق جواده فترة وعاد الى حياة السفن والبحار .. وفيما هو على ظهر سفينته يراقب الشاطىء بمنظاره المكبر ذات يوم : « وقع بصرى بمحض الصدفة على تل عال انتثرت فوقه عدة منازل صغيرة تجمع بين البساطة والجمال .. **فلمحت أمام باب أحدها فتاة حسناء استرعى جمالها نظرى ، فأصدرت الأمر الى البحارة بالعودة بالسفينة نحو الشاطىء .. ثم نزلت الى البر ويممت شطر الجهة التى قدرت أن منزل الفتاة يقع فيها** .. لكن كل محاولاتى فى سبيل العثور عليها ذهبت سدى ! .. وفيما أنا أهم بالعودة يائسا صادفت رجلا من مواطنى كنت أعرفه منذ زمن ، فدعانى الى تناول قدح من القهوة فى بيته .. وكم كانت دهشتى وسرورى لدى دخولى البيت حين وقع بصرى أول ما وقع على فتاتى المنشودة التى اجتذبتنى من البحر الى الشاطىء ! .. ولبثت أحدق فيها زمنا لم أدر ان كان قد طال أم قصر ، حتى أفقت الى نفسى أخيرا فحييتها قائلا : « لسوف تكونين من نصيبى ! »

وقد كان .. وصارت زوجته ! .. كان اسمها «أنيتا ريبيرا» ورغم أنها لم تكن قد جاوزت وقتئذ الثامنة عشرة من عمرها ، فانها جرؤت أن تتحدى اعتراض أبيها ــ الذى كان يرشحها لرجل آخر ! ــ **وأسلمت حياتها ومصيرها لمغناطيسية محرر وطنها ، فهرعت اليه فى نفس الليلة على ظهر السفينة وأبحرا سويا نحو مستقبل حفل بالسعادة القصوى ، والمتاعب الجمة ، والنهاية المفجعة !**

ومضى الاثنان يذرعان البحار ويركضان فى البرارى، ويحاربان جنبا الى جنب، فيحمى كلاهما الآخر من رماح العدو ! .. ثم أسرت الزوجة فى احدى المعارك، وكانت تعتقد أن زوجها سقط قتيلا فى المعركة، فأعطيت تصريحا بالتفتيش عن جثته على أن يتولى حراستها أثناء ذلك اثنان من الجنود الأشداء .. فمضت بينهما تفحص القتلى وتدير وجوههم نحو النــور كى تتبين ملامحهم . وبغتة غافلت حارسيها وقفزت فوق ظهر جــواد انتزعته من أحد الفلاحين، ثم اختفت فى بطن الغابة !

وبعد أربعة أيام من الركض فى الأدغال والسباحة فى الأنهار، بغير طعام ولا راحة، عثرت أخيرا على زوجها غاريبالدى .. حيــا !

وحين أنجب الزوجان طفلا سمياه « مينوتى »، احيــاء لذكرى بطل أول ثورة ايطالية .

غيرة الزوجة .. واخلاص الزوج !

● كان غاريبالدى رجلا فى مضمار الرجال، ورجلا فى مضمار النساء ! .. فهو يجابه أشد الأخطار، ويقاتل أقسى القتال، ثم تحين ظروف تمتحن اخلاصه لزوجته، فيثبت دائما انه نعم الزوج المخلص الأمين !

لكن الزوجة لم تكن تعدم مناسبات تستثير فيها الظروف غيرتها على زوجها .. وفى أمثال هذه المناسبات كان هو يطامن من هذه الغيرة ما وسعه جهده .. حتى لقد كلفه ذلك فى احدى المرات قص شعره الذهبى الجميل حتى جذوره، قائلا لها فى تبرير هذا الاجراء : « وهكذا تستطيعين الآن أن تأمنى مطاردة النساء لى ! »

عودة « شمشون » الى ايطاليا

● وفرغ غاريبالدى من مهمته « الاستقلالية » فى أمريكا الجنوبية ، فخف عائدا دون ابطاء الى وطنه ايطاليا ، حيث استقبل استقبالا حماسيا رائعا ، فان نيران الوطنية بقيت حية فى قلوب مواطنيه فى فترة غيابه ، بحيث لم تكن تحوجه الى أكثر من النفخ فيها كى تزداد توهجا واشتعالا ..

وجمع غاريبالدى ما تبقى من رجاله ـ وكانوا حفنة ضئيلة لا تجاوز الألف ـ وانطلق بهم زاحفا على روما فى وجه ثلاثين ألفا من جنود الاحتلال الفرنسيين !.. حتى لقد قيل فى وصف تلك المغامرة الجنونية : « ان المعجزة وحدها هى الخليقة بانقاذ غاريبالدى ورجاله من أن « يمضغهم » الفرنسيون ويهضموهم ! »

لكن المعجزة وقعت .. فما هى الا بضع مناورات جريئة حتى كان « نمر مونتفديو » ـ كما أطلق على غاريبالدى فى أمريكا الجنوبية ـ قد اكتسح جيش الجنرال « أودينو » الفرنسى

واردف انتصاره باعلان ايطاليا دولة حرة ، أو على حد تعبيره : « حكومة بلا سجون ، ولا محاكمات ، ولا عنف ! » تماما كدولة « يوتوبيا » المثالية التى تصورها فصورها خيال المصلح الانجليزى « سير توماس مور » !

لكن غاريبالدى لم ينعم بنصره طويلا ، ففى تلك الأثناء كانت قوات جديدة تتجمع ضده من جميع الاتجاهات ، مزودة بخطط جديدة ، و « خيانات » جديدة مبتكرة ! .. اذ لم يلبث القائد الفرنسى أن أعلن الهدنة ، ثم استغل سلامة طوية غاريبالدى فشن عليه هجوما مفاجئا قبل أن تنتهى فترة الهدنة !

وأثمرت الخيانة الوضيعة ، فذبحت حامية غاريبالدى عن

بكرة أبيها .. أما غاريبالدى نفسه فقد تمكن من الفرار ، رغم اصابته برصاصة فى جنبه ! .. وفرت معه زوجته ، التى كانت تحمل فى احشائها طفلهما الثانى ..

ورغم فداحة الكارثة فقد أخلصت البقية الباقية من جيش غاريبالدى المحطم لقائدها المنكوب ، فتبعته عن طيب خاطر ، مستجيبة لندائه المؤثر الذى قال فيه : « فليتبعنى كل من يريد أن يواصل الحرب ضد الفرنسيين ، دون أن يطمع منى فى مقابل .. فليس عندى له مال ولا جزاء ولا مؤونة .. ليس عندى له غير الجوع والعطش ، والسير المضنى ، والمعارك ، والموت .. فليتبعنى كل من يحب وطنه من صميم قلبه ، لا من أطراف شفتيه ! »

العرق .. والدم .. والدمع

● وحدث ما توقعه غاريبالدى لاتباعه القلائل . صاروا جماعة من المشردين المطاردين ، بلا مأوى ولا طعام .. لكن الهاما قويا كان يدفعهم دائما الى الأمام ، الهاما يشع من شجاعة قائدهم الجريح وبسالة زوجته المصابة ، التى ناشدها زوجها أن تتخلف عن الركب .. **لكنها أبت الا أن تشاطر زوجها متاعبه ومخاطر حياته ، الى النهاية . فلم يكد الركب يمر بأول بيت على الطريق حتى سألت الزوجة مضيفتها أن تقص لها شعرها كما يفعل الرجال ، ثم ارتدت زى رجل وامتطت جوادها من جديد !**

ومضت الجماعة فى طريقها ، تختبىء خلال النهار ، وتواصل السير فى الليل ، محاولة جهد الطاقة تجنب الوقوع فى قبضة العدو المطارد ، الذى كان عدد أفراده قد تضخم الى خمسة وسبعين ألفا ! .. وخلال تلك المطاردة الرهيبة أوشك غاريبالدى وجماعته أن يطوقوا أكثر من مرة ، لكنهم كانوا يفلتون من كل

فخ فى آخر لحظة ، بفضل دقة حاسة قائدهم الحربية التى كانت تهديه دائما الى المنفذ الوحيد المتروك من الأعداء بلا حراسة !

وفى كل مرة كان القائد الباسل يواصل السير بأمل متجدد، لا يخمد ولا يخبو .. حتى وصلت الجماعة أخيرا الى الشاطىء ، حيث كانت الزوارق تنتظر أفرادها كى تقلهم الى أرض الحرية ..

لكن المرض كان قد اشتد على الزوجة التى تحمل جنينا فى احشائها ، فأشرفت على الخطر .. ولما لم يكن أمام الركب من سبيل غير مواصلة الفرار ، فقد استقلوا القوارب وأبحروا ، بلا طعام ، ولا ماء .. ولا مشجع ينير ظلام حياتهم غير نور الايمان بقضية وطنهم،وغير نور القمر !.. القمر الذى لم يره غاريبالدى فى حياته أبهى مما رآه فى تلك الليلة .. والذى كان نوره يسطع على وجه شاحب ، وجه امرأة ترتعش شفتاها من وطأة الحمى ، فتغتصب منهما ابتسامة واهنة وهى تقول لزوجها : « مهما يحدث لى يا عزيزى فعليك أن تواصل مهمتك ! »

وقبل أن تتم عبارتها انطلق حولهم صفير الرصاص .. ان أسطول العدو يهاجمهم !.. وأسرت جميع قوارب غاريبالدى ، عدا ثلاثة كان هو جالسا فى أحدها وبين ذراعيه زوجته تحتضر ! .. وعند مطلع الفجر بلغ قاربهما ساحلا مهجورا ، فحمل غاريبالدى زوجته الى البر حيث وسدها بين كثبان الرمال .. ثم لم يلبث أن رأى على وجهها طابع الموت .. وتحسس رسغها ، فاذا هو لم يعد ينبض بالحياة !

وحفر غاريبالدى قبرا لأنيتا على الشاطىء ثم مضى الى سبيله ..

بين العزلة والقتال ..

● لكن الصدمة أثرت فى حالة غاريبالدى النفسية ، وجعلته



يعجز عن مواصلة الكفاح ويؤثر الاخلاد لحياة السكينة والراحة .. فهاجر الى الولايات المتحدة ، حيث اشتغل فى مصنع للشمع !.. لكن حنينه الى الحياة التى ألفها ما لبث أن عاوده ، فتولى قيادة سفينة كانت مبحرة الى الشرق ... وحين وصلت به السفينة الى البحر الأبيض أحس بملل من حياة المغامرات وشوق الى قضاء شيخوخته قريبا من وطنه ، فاشترى بيتا خشبيا صغيرا فى جزيرة « كابريرا » القريبة من سردينيا ، وانتوى أن يقضى فيه بقية أيامه ..

لكن صيحات مواطنيه المضطهدين بلغت مسامعه عبر البحار فوجد نفسه مرة أخرى نهب شعور بالقلق وعدم الاستقرار .. وعاودته أحلامه الوطنية حين بلغته انباء نهضة ايطاليا الجديدة بزعامة (كافور) ومحاولتها التخلص من نير النمسا وتوحيد ولاياتها فى دولة واحدة كبرى .. فأحس غاريبالدى بدماء الشباب تجرى فى عروقه من جديد ، ونفض عنه غبار الخمول فغادر الجزيرة كى ينضم الى قوات كافور ..

الحب والحرب !

● وكأنما كانت الحرب مرادفة للحب فى عرف غاريبالدى!.. ففى تلك الأثناء عرف فتاة فى التاسعة عشر تدعى (مارشسينا راكموندي) صادفت هوى من نفسه فضرب على قلبها حصارا

انتهى بقبولها الزواج منه ، رغم فارق السن الكبير بينهما .. وتم زواجهما فعلا فى يناير سنة ١٨٦٠ .

لكن تلك الزيجة لم تدم طويلا ، اذ لم تكد تمضى عليها أيام حتى علم غاريبالدى أن زوجته الصغيرة على صلة بشاب كانت تحبه قبل زواجها ! .. فهجرها من فوره بقلب كسير .. وعاد الى ميدان القتال بنشاط مجدد .. عاد ليغرق شجنه فى سلسلة من المعارك المتصلة والانتصارات المتوالية التى عقد لواؤها له ، والتى بدأت بتحريره صقلية من حكم ملك نابولى .. وانتهت بتحقيق حلمه القديم : توحيد ايطاليا تحت تاج واحد ، تاج الملك (فيكتور عما نويل) من ملوك اسرة سافوى ..

لكن البطل المغوار كوفىء على خدماته الوطنية بالاهمال والاغضاء .. وكان ذلك جزاء غاريبالدى طوال حياته . كان يعطى دائما مركز الصدارة فى القتال ، فاذا ما انتهى القتال وجاء أوان الاستمتاع بثمرة النصر .. أغفل أمره ووضع فى مؤخرة الصفوف !

ورغم ذلك فانه لم يتذمر قط ! كان يقابل انكار جميله بابتسامته الذهبية المشرقة ، ابتسامة البطل الباسل والوطنى الشريف الذى يعرف كيف ينكر ذاته .. فى سبيل خير أمته !

وأخيرا ، فى سنة ١٨٧٥ ، اختير غاريبالدى عضوا فى البرلمان الايطالى ، فنال بذلك بعض حقه على وطنه الذى أخلص له وأفنى فى سبيل حريته زهرة عمره ..

وفى ٢ يونية سنة ١٨٨٢ أسدل الموت الستار على حياته الحافلة .. !

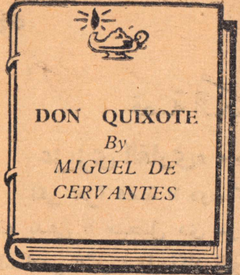
كتب الأولون



كنوز الكتب القديمة

عزيزى القارىء ..

((استخرجت)) لك فى كتابى السابق من كنوز الكتب القديمة كتاب ((ديكاميرون)) أو (ألف ليلة وليلة الايطالية) لبوكاشيو .. واليوم أستخرج لك ((دون كيشوت)) لسرفانتس .. وفى الأعداد القادمة اعتزم أن أقدم لك بعون الله من هذه الكنوز القديمة : الكوميديا الالهية (لدانتى) ، الالياذة والأوديسة(لهوميروس)، العقد الاجتماعى و ((أميل)) (لجان جاك روسو) ، الأمير (لمكيافيللى) ، أصل الأنواع (لداروين) ، السياسة (لأرسطو) ، الجمهورية (لأفلاطون) ، يوتوبيا أو الدولة المثالية (لتوماس مور) ، الفردوس المفقود (لملتون) ، التاريخ (لهيرودوت) رأس المال (لكارل ماركس) انحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية (لجيبون) ، هكذا تكلم زرادشت (لنيتشة) ، الشخصيات (لبلوتارك) ، الأخلاق (لسنيكا) التربية (لهربرت سبنسر) ، كتاب الموتى (من تراث مصر القديمة) ، رباعيات عمر الخيام .. ولن أغفل تراث العرب الخالد ومنه : رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ، الحيوان والبخلاء للجاحظ ، أسطورة حى بن يقظان لابن طفيل ، طوق الحمامة لابن حزم الأندلسى ، تزيين الأسواق لداود بن عمر الانطاكى ، الصادح والباغم لابن الهبارية (على طريقة كلية ودمنة) .. الخ .



مغامرات
دون كيشوت

لزعيم كتاب أسبانيا
سرڤانتس



قصة الكتاب ... ومؤلف الكتاب

عزيزى القارىء ...

لكى تقرأ قصة « دون كيشوت » ، ينبغى أن تقرأ أولا قصة مؤلفها .. انه يدعى « ميجيل دى سرفانتس » ، وهو عميد كتاب الأسبان فى القرن السادس عشر ، بل نكاد نقول : فى جميع العصور ! .. فهو عندهم بمثابة « شكسبير » عند الانجليز ! .. بل انه قد عاش معاصرا لشكسبير (بين عامى ١٥٤٧ و ١٦١٦) ومات قبل وفاة شكسبير بعشرة أيام ! – بعد أن أتم كتابه الخالد هذا بأقل من عام ..

ومنذ ذلك التاريخ والعالم مدين لسرفانتس باثنتين من أمتع القصص فى تاريخ الأدب العالمى : الأولى قصة حياة « دون كيشوت » الحافلة بالغرائب .. والثانية قصة حياة مؤلفها نفسه « سرفانتس » التى تكاد تفوقها فى الغرابة .. !

الزهرة التى عاشت فى الوحل

والملحوظ أن أكثر الذين أرخوا حياة سرفانتس قد اشتركوا فى محاولة تجاهل الناحية البغيضة المرذولة من حياته ، الأمر الذى يأسف له كل محب للحقيقة والصدق ، مهما كانت مرارتهما ! .. فليس ثمة ما يمنع من أن نعجب بالعمل الأدبى لمؤلف ، ونروى فى الوقت نفسه الحقائق بحذافيرها عن حياته .. ولا يغض من جمال الزهرة أن نعترف بأنها نبتت فى الوحل .. وما غذاء الجمال الا خليط من الندى والطين .. !

وقد كان فن سرفانتس نتاجا لآلامه ، فلو لم تكن حياته بالغة المرارة ، لما جاءت قصته « دون كيشوت » بالغة الروعة !

ابن الدجال ..!

• ولد ميجيل دى سرفانتس سنة ١٥٤٧ فى المدينة الجامعية المعروفة باسم « الكالا دى هناريس » ، لكنه لم يستوعب فى شبابه غير نصيب ضئيل من جوها الثقافى ، فقد كان أبوه طبيبا دجالا يتنقل من بلد الى بلد ويرتزق من فصد دماء المرضى المساكين الذين كانت الأقدار تسوقهم الى بابه ! .. وكان ابنه ميجيل يرافقه فى تجواله ، فلم يتعلم شيئا يذكر من الكتب ، لكنه تعلم الشىء الكثير من الحياة .. ومارس المبارزة فى سن مبكرة .. ثم لم يلبث أن تورط

فى مغامرة غرامية شائنة مع وصيفة شرف فى البلاط الأسبانى .. وكأنه كان يجمع بسرعة ، ويدخر ، المادة التى استخدمها فيما بعد فى كتبه ..

يحارب فى ايطاليا .. ويؤسر فى مراكش .. !

● وفى سن الثالثة والعشرين نجده فى روما ، منفيا عن وطنه بسبب مغامرات شبابه الماجنة .. وبعد أن اشتغل هناك نحو عام عاوده الملل من الحياة المستقرة فانخرط فى سلك الجيش ، وحارب فى معركة « ليبانتو » ، حيث كاد يفقد يده اليسرى من ضربة سيف بتار ، ونتيجة لتلك الاصابة ظلت يده شبه عاجزة مدى الحيـــاة .

وأثناء عودته من ميدان القتال الى وطنه وقع أسيرا فى أيدى قراصـنة المغرب ، فباعوه لأحد تجار الرقيق .. ولم يسترد حريته ، بدفع الفدية ، الا بعد خمس سنوات !

يؤلف ٤٠ قصة مسرحية

أما وقد جرب حياة الجندى ، وحياة الأسير ، فقد آن له أن يجرب حظه كشاعر .. وفى هذه المرة نجح فى أن ينظم عددا من أبشع قصائد الشعر الأسبانى وأكثرها ركاكة !

وبتأثير قلقه المألوف ، وعدم استقراره ، استدار من نظم الشعر الى تأليف الروايات المسرحية .. فكتب منها عددا يتراوح بين الثلاثين والأربعين ! .. كان بركانا ثائرا من النشاط ، لكنه بدلا من أن يقذف من جوفه حمما ، قذف رمادا .. فان مسرحياته كانت أسوأ حتى من شعره !

وأخيرا حاول أن يؤلف قصة نثرية ريفية ، فكانت أفشـــل مؤلفاته على الاطلاق ! .. وبدا بوضوح أن سرفانتس لم يخلق ليكون كاتبا ..

يتزوج .. ويسرق .. فيسجن !

● واذ عجز عن أن يظفر بالمجد ، قنع بمحاولة أن يظفر بالسعادة .. فتزوج من فتاة تصغره بثمانية عشر عاما . ورغم شبابها فانها عجزت عن اشباع خياله الضال ، فلم ينقض على زواجـه منها عام حتى كان قد أنجب طفـلا .. من امرأة غيرها !

وقضى فترة من الزمن يحاول الانفاق على أسرتيه ــ الشرعية وغير الشرعية ! ــ من انتاج قلمه .. لكنه لم يلبث أن هجر هذا الميدان سنة ١٥٨٨ ــ وكان فى الحادية والأربعين ــ كى يشتغل موردا للأسطول الأسبانى الذى كان يطلق عليه « الأرمادا » .. لكن سوء الحظ لاحقه مرة أخرى ، فقد أغرق الانجليز

ذلك الأسطول ، ففقد صاحبنا مورد رزقه !

ثم حصل سرفانتس على عمل « كمحصل ضرائب » فى غرناطة .. وذات يوم اكتشف رؤساؤه عجزا فى الايراد نسبوه سواء الى اختلاسه أو اهماله ، فاعتقل وحكم عليه بالسجن !

وحين اطلق سراحه عاد الى محاولة الارتزاق من الكتابة .. كتابة مقدمات منظومة مأجورة فى تقريظ جميع أنواع الكتب ، فى جميع الموضوعات ، من دواوين الحماسة وسير الأبطال ، الى الكتب التى تعالج طرق الولادة وتمريض الحوامل !

وكان سرفانتس قد بلغ الثامنة والخمسين ، وبات كهلا محطما ، محدودب الظهر ، فاشلا فى كل شىء — ولا سيما فى الأدب ! — ذا لحية فضية ، وشارب كث ، وفم صغير لم تبق فيه سوى ستة أسنان ، غير منتظمة ولا متجانسة .. وبالاختصار كانت صورته عنوانا للشخص النكرة المنبوذ الذى مصيره أن ينحدر نحو النسيان الأبدى !

كيف كتب هذه القصة ..

وفجأة ، ودون أية مقدمات ، قفز الى قمة المجد .. كما يتوهج اللهب من الشمس الغاربة ! .. واذا الرجل الذى نظم فى شبابه أسوأ الشعر قد ألهم فى شيخوخته أن يكتب قصة من أعظم قصص العالم القديم . وكان سرفانتس قد عكف على كتابة « دون كيشوت » منذ زمن طويل ، بل لقد وضع بعض فصولها وهو فى زنزانة السجن ! .. وأعد فكرتها ورسم خطوطها جميعا وهو فى حمأة الفقر ووهدة اليأس المرير .. فجاءت أشبه بالحديقة التى تنبت من الوحل ، والحكمة التى تولد من الألم ، أو لعلها رؤيا نفس رقيقة معذبة فى جسد مرهف الاحساس ! .. واذا كان البعض يأخذ على القصة انه ينقصها الصقل والعناية بالحبكة والأسلوب ، فان آخرين ينسبون الى هذه العيوب ذاتها خلودها ومكانتها فى « قلوب » القراء على مر الأجيال .. فلئن كانت بعض الأعمال الفنية أقرب الى الكمال الفنى منها الى « الانسانية » ، فان قصة دون كيشوت أقرب الى الانسانية منها الى الكمال الفنى !

فلسفة القصة ..

• وقصة دون كيشوت هى قصة مخبول ظريف يرويها ساخر ظريف ! .. وهى حافلة بالمزاح الهزلى الذى يصور حماقات البشرية .. وفى الكتاب هجو وقدح وانتقاد ، ولكن ليس فيه مرارة .. ونحن نضحك حين نرى فيه غباءنا



ممثلا فى غباء بطلها دون كيشوت ، وخشونتنا منعكسة فى خشونة تابعه « سانكو بانزا » ! .. ونحن آنا نحس أنفسنا أكثر تعلقا بالأول ، الذى تفوق شجاعته فطنته ، وآونة نحس أنفسنا أكثر تعلقا بالثانى ، الذى تفوق فطنته شجاعته ! .. وفى كل موضع من الكتاب، وكلما رأينا الواحد منهما يقاتل بسيفه والثانى يبارز بلسانه ، لا نملك أنفسنا من أن يقول كل فى سره : « هاك صورة كاملة لنفسى ! » فان لكل منا ـ كما أدرك سرفانتس بحق ـ أوقاتا يعتمد فيها على قوة ذراعيه ، وأوقاتا أخرى يعتمد فيها على قوة لسانه .. وكل مخلوق بشرى منا يكاد يكون خليطا من دون كيشوت وسانكو بانزا ، فنحن أحيانا تغلبنا الحماقة على حكمتنا فنقاتل طواحين الهواء ، كما فعل الأول .. وأحيانا أخرى تغلبنا الحكمة على حماقتنا « فنتجنب المعركة فى النهار كى نبيت « فوق » الأرض ـ لا فى بطن الثرى ـ فى الليل ! » .. لكننا فى الحالين نسعى جميعا على الدوام ، معصوبى العيون ، نحو نفس الهدف : أن نجعل الحياة أكثر احتمالا بالنسبة للانسان حين تنتابه محنة أو ضائقة ..

يرتزق من .. عرض ابنته !

• وقد قدم سرفانتس الى العالم الجزء الأول من قصة « دون كيشوت » الضاحكة فى سنة ١٦٠٥ .. لكن حياته ظلت مع ذلك مريرة كالعهد بها ! .. وبلغ من مطاردة الفاقة له حتى فى هذه الرحلة التالية لبزوغ نجمه الأدبى ، انه اضطر الى أن يعيش وسط حثالة القوم ، واتخذ لنفسه ولابنته وشقيقته مسكنا فى منزل ذى سمعة مريبة .. بل لقد قيل انه شجع ابنته على أن تحترف « أقدم مهنة فى الدنيا » ـ الدعارة ـ وانه عاش على الدخل الذى كانت تدره عليها هذه الحرفة .. !!

وفى يوم ٢٧ يونية سنة ١٦٠٥ أصيب سرفانتس بأتعس كوارثه ، وانحدر الى أحط أغوار سوء الحظ ، حين وجدت فى مسكنه المريب جثة شاب ماجن من النبلاء ! .. فاعتقل هو وجميع أفراد بيته بتهمة القتل ، لكنهم أفلحوا فى اثبات براءتهم آخر الأمر ...

وبعد عشر سنوات من صدور الجزء الأول من « دون كيشوت » ـ أى فى

سنة ١٦١٥ – قدم سرفانتس للعالم الجزء الثانى من قصته ، وهو أقوى وأمتع من الأول بكثير ، كما سترى ..

وبعد عام واحد من ذلك التاريخ انتهت حياة سرفانتس ، بعد أن شارك بطل قصته فلسفته الخاصة ، وجنونه الطريف ، وشخصيته المحبوبة .. وكان من حسن حظ كل منهما أنه عاش أحمق ، ومات حكيما !

● واليوم يحتل سرفانتس فى بلاده ، بل فى الأدب العالمى القديم بصفة عامة ، مكانة شبيهة بمكانة « تشارلس ديكنز » فى الأدب الانجليزى .. بل ان هناك شبها كبيرا بين بعض مخلوقات ديكنز ومخلوقات سرفانتس .. فانت تجد فى دون كيشوت نفس الاريحية الحمقاء المثيرة للضحك ، التى تجدها فى شخصية مستر « بيكويك » بطل قصة ديكنز الشهيرة المعروفة بهذا الاسم .. كما أن سانكو بانزا يشبه الى حد كبير شخصية ديكنز الأخرى « سام ويللر » ..

لوريل .. وهاردى !

● والآن دعنى أقدم لك يا عزيزى القارىء شخصية المخلوق –دون كيشوت– بعد أن قدمت لك شخصية خالقه : انه رجل ذو طبيعة صريحة ، لطيفة ، كريمة .. يحب الصدق والعدالة ، ويتفانى فى سبيل نصرتهما ، الى حد التضحية بحياته ذاتها ! .. وهو مريض – اذا صح أن هذا يمكن أن يسمى مرضا – بالطموح « الجنونى » الى اصلاح اخطاء البشرية .. ومن هنا تنشأ كل متاعبه .. !

. وهو يحتل من ذاكرة الناس فى الشعوب المتحضرة التى تقرأ ، مكانة لا تقل حضورا فى الأذهان عن أية شخصية من شخصيات التاريخ الخالدة المشهورة .. بحيث يعرفه العامة والخاصة على السواء ، بجسمه النحيل ، وشعره الأشيب ، وفكيه الطويلين ، ولحيته الشعثاء ، وعينيه الضاريتين التائهتين .. مثلما يعرفون بطلا من الأبطال كنلسون مثلا أو نابليون !

أما رفيقه وتابعه الظريف « سانكو بانزا » فهو يكاد لا يقل عنه شهرة وخلودا على مر الأجيال ، بقامته القصيرة ، « وكرشه » البدين ، واخلاصه ، وبساطته ، وطريقته الفريدة الفكهة فى التوفيق بين مثل سيده العليا ، وبين الحيل الوضيعة التى يتطلبها الموقف أحيانا للنجاة من مأزق ، جريا على المثل المعروف : الغاية تبرر الواسطة !

وما أشبه الرفيقين الظريفين المتلازمين بممثلى السينما الفكهين العصريين « لوريل وهاردى » : فى مغامراتهما ، وورطاتهما ، وحيلهما ، ودعاباتهما .. بل وفى بلاهة الواحد ونحوله وطوله ، وبساطة الآخر وبدانته وظرفه ! .. ومن يدرى ، لعل هذين الأخيرين قد درسا شخصيتى البطلين القديمين ، ونسجا على منوالهما .. !

مغامرات دون كيشوت

● فى قرية من قرى اقليم « لا مانشا » ، عاش منذ زمن غير بعيد رجل من ذلك الطراز العتيق الذى لم تكن داره تخلو من رمـح على الرف ، وترس قديم ، وجـواد هزيل ، وكلب صيد ! .. وكان طعامه يتألف من لحم البقـر المفروم فى أكثر الليالى ، والعدس فى أيام الجمعة ، والحسرة والتأوهات أيام السبت ! .. أما وليمة الأسبوع الكبرى المؤلفة من حمامة دسمة فكان يدخرها ليوم الأحد .. وبهذه الطريقة كان طعامه يستنفد ثلاثة أرباع دخله ! .. والربع البـاقى كان ينفقه على ثيابه : سترته ذات الوبر الطويل وسرواله الذى من القطيفة ـ وكان يدخرهما ليوم العطلة ـ ثم سترة أيام العمل المصنوعة من أحسن نسيج محلى ...

وكانت أسرته مكونة من ابنة أخت فى العشرين ، وامرأة تدير المنزل ، فى نحو الأربعين ، ورجل يتولى خدمته فى البيت وفى الحقل ، ويسرج له جواده اذا أراد الخروج ، ويتعهد تشذيب الشجر بمنجله عند اللزوم ...

وكان السيد نفسه فى نحو الخمسين ، قوى البنية ، نحيل القوام والوجه ، شغوفا بالصيد وبالنهوض من فراشه مبكرا ..

● وعندما لم يكن صاحبنا يجد ما يفعله ـ الأمر الذى كان يحدث أكثر العام ! ـ كان يقضى وقته فى مطالعة الكتب التى تروى مغامرات الفرسان المتجولين ! .. وكان يفعل ذلك فى شـغف وغبطة زائدين ، بحيث انتهى الأمر به الى أن أهمل سائر ضروب اللهو والرياضة التى ألفها ، بل أهمل العناية بمزرعته .. ثم صار يبيع مساحات منها كل حين كى يشترى بثمنها كتبا من ذلك الطراز !.. حتى تجمع له منها كل المتداول فى الأسواق !

وكم من مرة اشتبك فى شجار ، بسبب هذه الكتب وما فيها ،

آنا مع قسيس القرية ـ وكان رجلا مثقفا ـ وآونة مع حلاقها « السيد نقولا » ، الذى كان فارسا قديما لا يشق له غبار ٠٠ !

وبلغ من ولع صاحبنا بقراءة كتب المغامرات المذكورة أنه كان يسهر مكبا عليها حتى يطلع النهار ، وينفق النهار عاكفا عليها حتى يهبط الظلام ! ٠٠ وبمرور الأيام على هذه النحو من قلة النوم وكثرة القراءة ، تحللت عصارة مخه واستنفدت ، بحيث فقد فى النهاية عقله وادراكه ! ٠٠ وتزاحمت فى رأسه خيالات مختلطة من شتى الكتب التى قرأها ، فلم تعد تتوالى على لوحة ذهنه غير المغامرات ، والمبارزات، والمعارك ، والاصابات، ولواعج الحب ، والشكوى والأنين !

نحو المجهول !

● واذ فقد صوابه وتمييزه على هذه الصورة ، راودته أغرب فكرة يمكن أن تجول بذهن مخبول : اعتزم أن يشد رحاله على ظهر جواده المطهم وينطلق على غير هدى فى طلب المغامرات التى طالما قرأ عنها فى الكتب ، معرضا نفسه لجميع صنوف الأخطار ، سعيا وراء انصاف المظلوم ٠٠ واغاثة الملهوف ٠٠ والأخذ بيد الضعيف ، والاقتصاص للمعتدى عليه من المعتدى ٠٠ الخ ـ حتى يكفل لنفسه الصيت البعيد ويضمن لاسمه المجد الخالد ، اللذين ظفر بهما أولئك المغامرون الذين سبقوه !

وكان أول ما فعله لتحقيق هذا الحلم الجميل أنه أزال الصدأ عن حلة قديمة مدرعة من الفولاذ كانت من مخلفات جد أبيه ، ووضع على رأسه خوذة ثقيلة ، ثم مضى الى حظيرته ليزور جواده القديم الذى التصق جلده بعظامه من فرط الهزال ، وان خيل الى صاحبه مع ذلك أنه أفخر جياد الأرض على الاطلاق !٠٠ وبعد أن أنفق أربعة أيام يقدح زناد فكره بحثا عن اسم لائق

يطلقه على الجواد الذى سوف يشاركه المجد والخلود ، انتهى الى أن اختار له اسم « روزينانت » !

واذ فرغ من هذه المشكلة ، واجهته مشكلة اعقد ، هى اختيار اسم لنفسه ، يليق بالشرف العظيم الذى سوف تسبغه عليه الأيام .. وبعد ثمانية أيام من التفكير المضنى ، وتقليب الأسماء على مختلف وجوهها ، انتقى لنفسه منها اسما وجد وقعه رنانا فى سمعه : « دون كيشوت دى لامانشا » !!!

المرأة .. فارسة الأحلام !

وهكذا لم يبق أمامه غير أن يعثر على امرأة يخلع عليها لقبه العظيم ، وينصبها على « امبراطورية » قلبه ! .. فراح يحدث نفسه : « عندما تقتضينى الظروف أن أشتبك مع عملاق فى مبارزة ، دفاعا عن شرفى ، وأنتهى منها الى الانتصار عليه والقائه أرضا .. أفما يليق أن تكون لى امرأة أرسل اليها غريمى المهزوم كى تتصرف فيه وفق هواها ؟ »

وكانت تقطن على مقربة من داره حسناء قروية رائعة تدعى «ألدونزا لورنزو» وكانت تروق فى عينه منذ زمن ، دون أن تعلم ! فوقع عليها اختياره لتكون فارسة أحلامه .. وتوجها بهذا الاسم العذب الذى تمخض عنه خياله : « دولسينيا دل توبوزو » !!

واذ اكتمل اعداد عدته على هذا النحو ، وبات يشعر بأن من الاجرام فى حق العالم الحافل بالمظالم أن يضن بنفسه عليه أو يتباطأ فى انقاذه ، نهض من فراشه فى فجر أحد أيام شهر يوليو ، فارتدى درعه الفولاذى وخوذته ، وتمنطق بترسه ورمحه ، ثم امتطى جواده « روزينانت » وتسلل من الباب الخلفى لداره الى الحقول الفسيحة ، دون أن يطلع أحدا من أهله على خطته ونواياه .. !

المغامرة الأولى ..!

● وبعد أن انفق النهار كله على ظهر جواده ، دون أن يصادف مغامرة أو يلتقى بمخلوق يجرب فيه سلاحه المفلول !.. لاحت له أخيرا ، قرب المساء ، حانة من حانات الطريق ، جسمها له خياله المخبول فرآها قصرا منيفا! .. وصادف فى تلك اللحظة أن نفخ أحد رعاة الخنازير فى بوقه ليجمع قطيعه ، فخيل الى دون كيشوت أن « تشريفاتى » القصر ينفخ فى البوق اعلانا عن قدومه ! .. فانتفخت أوداجه زهوا وركل جواده بقدميه منطلقا به نحو باب الحانة . **وهناك وجد أمام الباب فتاتين من بائعات الهوى كانتا ترافقان عشيقيهما المسافرين الى « اشبيلية » .. فتوهمهما صاحبنا من وصيفات ذلك القصر ، وانحنى لهما فى احترام وتبجيل !** .. ثم دخل فحيا صاحب الحانة باعتباره « رب القصر » ! .. وكان موعد العشـــاء قد حان فجلس المسافرون والمقيمون جميعا الى مائدة الطعام ، وكان تندرهم الخفى وسخريتهم المستورة من شذوذ هذا المسافر المخبول الذى يخاطبهم بألفاظ التوقير والتفخيم ، أعظم فاتح لشهيتهم ومروح عن نفوسهم !

مبعوث العدالة على الأرض

● وفى الصباح واصل الفارس السعيد رحلته ، فصادف فى الطريق فلاحا يضرب غلاما ضربا مبرحا .. فأمره بالكف عن ضربه واستفسر منه عما اقترفه الغلام . وللحال بدا على الفلاح الخوف من الفارس المدرع وأجابه زاعما أن الغلام قد أهمل فى أداء عمله فى الحقل واستحق هذا العقاب .. لكن الأخير قاطعه مؤكدا أن الفلاح مدين له بأجره وانه كلما طالبه به أوســـعه ضربا ! .. فأمر دون كيشوت الفلاح المدين بتسديد دينه للفتى

فورا ، فوعده بأنه سيفعل بمجرد وصوله الى بيته .. لكن الغلام أبدى تشككه فى أن يفى مخدومه بوعده ، فخاطب الفارس الفلاح مهددا : **« أنا الفارس الباسل دون كيشوت دى لا مانشا ، المقتص للمظلوم من الظالم ، والموكل بتصحيح جميع الأخطاء ورفع كل غبن عن عاتق المغبون وازالة جميع الأحقاد ! .. فلتذكر ما وعدت به واقسمت عليه ، ولتفى به ، والا فستدفع الثمن ! »**

واذ اطمأن الى أن الرجل لن يجرؤ على مخالفة أمره ، امتطى صهوة جواده وواصل ترحاله .. لكنه لم يكد يبتعد حتى استأنف الفلاح ضرب الغلام !

أجمل حسان الأرض .. !

● أما دون كيشوت فلم يقطع من الطريق ميلين حتى التقى بجماعة من تجار مدينة « توليدو » مقبلين نحوه .. فلم يكد يدنو منهم حتى أيقن أنه واجد معهم مجالا فسيحا لمغامرة جديدة ، فاعترض بجواده طريقهم وصاح بهم وقد شهر سيفه فى وجوههم « قفوا مكانكم ! .. ولا يفكرن أحد منكم فى التحرك من مكانه الا اذا أقر واعترف أن ليس فى المعمورة بأسرها امرأة أجمل وأبهى حسنا من امبراطورة « لا مانشا » ، الدرة الفريدة « دولسينيا دل توبوزو » !

واذ أدرك الجميع أنهم أمام رجل قد فقد عقله ، تقدم منه أحدهم ـ وكان محبا للمزاح ـ وأجابه بقوله : **« سيدى الفارس . نحن لا نعرف هذه السيدة الجليلة التى تتحدث عنها .. فدعنا نراها قبل أن تنتزع منا هذا الاقرار الذى تطلبه ! »** .. لكن دون كيشوت أجابه قائلا : « لو أنى أريتكم ذلك الجمال الذى لها ، فأى عجب فى اعترافكم بهذه الحقيقة المسلم بها ، وأى فضل يكون لكم في ذلك ؟ .. المهم فى الأمر كله اجباركم على تصديق

هذه الحقيقة ، والاعتراف بها ، واعلانها على رؤوس الاشهاد .. دون أن يقع بصركم على صاحبة هذا الحسن النورانى ! »

لكن التاجر الماكر عاد يلح على محدثه : **« سيدى الفارس .. أتوسل اليك أن ترينا على الاقل صورة تلك الحسناء .. ونحن على استعداد لأن نشهد لها بما تطلبه ، حتى لو أظهرتها الصورة عوراء قبيحة الخلقة ، تنضح عينها كبريتا وقطرانا .. ! »**

فصرخ فيه الفارس محنقا : « تنضح كبريتا وقطرانا أيها الوقح ؟ الا فلتعلم أنها لا تنضح الا عطرا وعنبرا ! .. ولسوف تدفع وصحبك جميعا ثمن هذه الوقاحة المنكرة ! » ثم اندفع شاهرا سيفه فى وجه غريمه ، لكن المصادفة شاءت أن يكبو الجواد به قبل أن يبلغ هدفه ، ويلقيه أرضا بعنفوان قوته .. وهنا أقبل خادم غريمه التاجر فاختطف سيفه من يده وكسره على أضلاعه .. ثم استأنفت الجماعة سيرها تاركة اياه عاجزا عن النهوض ! .. فبقى فى مكانه حتى مر به قروى كان عائدا من طاحونة الغلال يحمل جوالا من الدقيق ، فرفعه وحمله معه على ظهر حماره ، عائدا به الى قريته ، جارا جواده «روزينانت» وراءه .. !

وفى بيته استقبله أهله معانقين مستفسرين ، وأقبل عليه صديقاه القسيس والحلاق — اللذان كانا فى زيارة الأسرة — منزعجين مشفقين .. فزعم لهم جميعا أنه سقط من على ظهر جواده ، قضاء وقدرا ، ثم طلب اليهم أن يتعاونوا على حمله الى فراشه ويرسلوا فى طلب الساحرة « أورجاندا » كى تضمد جراحه وتعالجه .. !

اختفاء .. بسحر ساحر !

● وبقى دون كيشوت طريح الفراش خمسة عشر يوما ، لم

يظهر خلالها أدنى بادرة تنم عن اعتزام استئناف تجواله بعد شفائه ! .. واذ رأى صديقاه مدى ما أصابه من جراء كتب المغامرات التى قرأها ، وأدركا بذكائهما حقيقة الحادث الذى أصابه ،**فقد انتهزا فرصة رقاده فتسللا الى مكتبته التى تضم جميع تلك الكتب البغيضة فنقلاها الى حيث احرقاها عن آخرها ثم اتفقا على رواية يواجهانه بها حين يتنبه الى اختفاء كتبه ، زاعمين له أن سحر الساحرة هو المسؤول عن اختفائها !**

وحين أبل من مرضه وتبين أهله انه ينوى الرحيل مرة أخرى حاولوا جاهدين أن يثنوه عن عزمه ، لكن مجادلاتهم .. وتوسلاتهم ذهبت ادراج الرياح ! .. وفى هذه الفترة كان قد أفلح فى اقناع قروى ساذج ضعيف الادراك من جيرانه يدعى « سانكو بانزا » بأن يترك زوجته وأولاده ويذهب فى ركابه ، كتابع له .. واعدا اياه فى مقابل ذلك بأن ينصبه حاكما لأول جزيرة يغزوها بسيفه ورمحه .. !

يبارز طواحين الهواء !

● وهكذا ، ذات ليلة ، انسرق دون كيشوت من بيته ، وسانكو بانزا من زوجته وأولاده ، فامتطى الأول جواده الهزيل (روزينانت) والثانى حماره البليد (دابل) وانطلق الاثنان تحت جنح الظلام الى غايتهما ..

وفى الطريق ناشد سانكو مخدومه : « لا تنس يا سيدى وعدك بتنصيبى حاكما للجزيرة التى سنغزوها ! » .. فطيب دون كيشوت خاطره واعدا اياه بالأحرى بتتويجه ملكا أيضا ، فيما لو وفقا الى غزو احدى الممالك ! .. واذ ذاك هتف سانكو بانزا منتشيا : « فى هذه الحالة تصبح زوجتى المحبوبة « مارى جوتييريز » ملكة .. وأولادى أمراء وأميرات ! »

وفيما هما يثرثران على هذا النحو لاح لهما عدد من طواحين الهواء المتناثرة فى السهل الممتد أمامهما ، فهتف دون كيشوت جذلا : « **ان الحظ يسدد خطانا أكثر مما كنا نرجو .. انظر أيها الصديق سانكو : هاك لا أقل من ثلاثين عملاقا ! .. فلأخف الى مقاتلتهم والاجهاز عليهم ، كيما نظفر بأسلابهم ومخلفاتهم .. فانهم غنيمة مشروعة ، واراقة دمائهم اللعينة سوف تكون قربانا ترحب به السماء !** »

فسأله سانكو بانزا منكرا : « أين العمالقة الذين تتحدث عنهم ؟ »

فأجابه سيده : « هؤلاء الذين تراهم أمامك ، بأذرعهم الطويلة الممدودة . ان بعض أفراد هذا النوع يزيد طول اذرعهم عن الفرسخين ! »

ـ بل فلتمعن النظر جيدا يا سيدى ، فما هؤلاء بعمالقة ، وانما هى طواحين هواء ! والأذرع التى تشير اليها ان هى الا عوارض المروحة التى يحركهاالهواء فتدير الطاحونة !

ـ انك حديث عهد بالمغامرات يا صديقى ، وهؤلاء عمالقة أحياء بلا شك .. فان كنت تخشاهم فانتح جانبا وانل صلواتك، فانى معتزم أن أشتبك فى صراع رهيب غير متكافىء معهم جميعا ! »

ولم يكد يفرغ من قوله حتى ركل جواده بقدميه وانطلق لا يلوى على شىء ، شاهرا سيفه فى وجوه « عمالقته » ، غير عابىء بصيحات التحذير والتنبيه التى أطلقها تابعه ! .. صارخا فى وجوه « أعدائه » بأعلى صوته : « مكانكم أيها الجبناء الأنذال ، ولا تفروا فى ضعة وخسة من فارس جرؤ على أن يواجهكم بمفرده .. ! »

وفى تلك اللحظة هبت نسمة هواء ، فبدأت مراوح الطواحين



تتحرك ، واذ ذاك استطرد الفارس :
« أيتها المخلوقات الوضيعة .. برغم أذرعكم العديدة التى تحركونها فانكم ستدفعون ثمن غروركم ! » .. ثم ابتهل الى مولاته ومالكة فؤاده «دولسينيا» أن تحميه فى مغامرته الخطرة ، وغطى صدره بترسه وشهر رمحه فى يده وانطلق بجواده منقضا على الطاحونة الأولى ، مغمدا سلاحه فى قلبها ! .. فاختطفت المروحة أثناء دورانها السلاح من يده بقوة وكسرته بين عوارضها بشدة ثم قذفت بكل من الحصان وراكبه بعيدا ، فسقط الفارس يتدحرج مسافة طويلة وسط الحقل !

وانطلق سانكو بانزا بأقصى سرعة سمح له بها حماره كى يخف لنجدة سيده ، فوجده راقدا عاجزا عن أدنى حركة ، بتأثير الضربة التى تلقاها هو وجواده .. فصاح به : « ألم أحذرك يا سيدى ؟ ألم أقل لك أنها كانت طواحين هواء ، وان أحدا لا يمكن أن يقول غير ذلك ، الا اذا كانت له أيضا طواحين هواء تدور فى رأسه ! » .. فأجابه الفارس المهزوم : **« صه يا صديقى سانكو ! .. انى أميل الى الاعتقاد أن ذلك الساحر اللعين « فريستون » قد حول هؤلاء العمالقة الى طواحين هواء كى يفوت على شرف الانتصار .. لكن كل حيله وخدعه لن تثمر فى النهاية أو تقوى على الوقوف فى وجه سيفى ! »**

فأمن سانكو على كلام سيده وعاونه على النهوض وامتطاء صهوة جواده التعس الذى أصيب بدوره برضوض من جراء السقطة الشديدة !

انقاذ الأميرة من الأسر .. !

● وبعد أن قضى الرجلان ليلتهما تحت شجرة ظليلة ، واسترد الفارس قواه ، استأنفا ترحالهما .. فلم تمض فترة من الوقت حتى التقيا براهبين يمتطيان بغلين ويتقدمان موكب عربة يخفرها من الجانبين أربعة أو خمسة من الفرسان على ظهور جيادهم . وكانت فى داخل العربة سيدة حسناء مسافرة الى اشبيلية لتلحق بزوجها .. فاندفع دون كيشوت بحصانه نحو الموكب وابتدر الراهبين بالسباب واللعنات، مطالبا اياهم بالافراج عن « الأميرة الجميلة » التى فى العربة ! .. ففر المسكينان من وجهه مذعورين ، وهو يطاردهما ، بينما انفرد الخدم بالتابع « سانكو » فألقوه أرضا وأوسعوه ضربا حتى تركوه مبهور الأنفاس عاجزا عن الحركة !!

.. أما دون كيشوت ، فبعد أن عاد ظافرا من مطاردة الراهبين اللذين لاذا بالفرار ، توجه الى راكبة العربة فانحنى لها وخاطبها بقوله : « **سيدتى الجميلة الموقرة .. انك الآن حرة فى الذهاب حيث تشائين ، بعد أن مرغت لك فى الرغام كبرياء ذينك الآثمين اللذين كانا يأسرانك ويقودانك الى حيث لا يعلم الا الله !.. واذا أردت معرفة اسم منقذك فانى أدعى « دون كيشوت دى لامانشا » ومهنتى فارس متجول وباحث عن المغامرات ، وأسير لسحر غادتى ذات الجمال النادر « دولسينيا دل توبوزو » .. ولست أبغى منك جزاء عن صنيعى معك غير أن تعودى الى البلدة التى تقطنها تلك السيدة كى تقدمى نفسك اليها وتخبريها بما فعلته حتى أنقذتك من الأسر ! »**

على أن الفارس لم يفرغ من هذا القول حتى انبرى له « تابع » تلك السيدة معارضا فى عودتها من حيث أتت ، منددا بتحكم هذا الطفيلى الجرىء فى سيدته وعرقلته لرحلتها !

واشتبك الرجلان فى مشادة تطورت الى مبارزة حامية ، تابعت السيدة مراحلها بنظرها من عربتها ، واجفة القلب اشفاقا من النتيجة ! .. وبعد كر وفر وهجمات عنيفة متبادلة بين الطرفين ، هزم الفارس غريمه وكاد يفتك به ، لولا أن تدخلت المرأة مستعطفة متوسلة .. وأخيرا لان دون كيشوت لرجائها فقبل أن يعفو عن غريمه ، مقابل أن يمضى هذا من فوره الى حسنائه وملاكه الحارس « دولسينا دل توبوزو » فيضع نفسه تحت تصرفها ورحمتها ، تفعل به ما تشاء !

فلسفة الصفح .. !

● وفى المرحلة التالية من الطريق التقى الفارس وتابعه ببعض العابرين .. وكعادته انتهز أول فرصة سنحت للاشتباك معهم فى مشاجرة ، لكن الدائرة دارت عليه وأصيب بجراح كادت تكون قاتلة ... وحين ظن أنه سوف يموت أوصى تابعه سانكو بانزا بالانتقام له من قاتليه .. فأجابه هذا فى سذاجته المعهودة : ((**سيدى . انى رجل مسالم كما ترى ، لى زوجة وأولاد اتعهدهم بالرعاية وأسهر على راحتهم .. ومن طبعى أن أصفح عن البشر جميعا : الرفيع منهم والوضيع ، السيد والمتسول ، أيا كانت الاخطاء والآثام التى ارتكبوها أو قد يقترفونها فى حقى ، دون أى استثناء ..**))

وحمل سانكو بانزا سيده على حماره وهو يتأوه من الألم ومضى به .. وحين بلغا أقرب حانة لم يجدا لنفسيهما غير حجرة يشاركهما فيها ثالث .. فلما دخلت عليهم خادمة الحانة

هيىء لدون كيشوت أنها الأميرة ربة « القصر » ـ كما ألف أن يرى كل حانة يهبطها ـ فأخذها بين ذراعيه وراح يلقى فى سمعها بأعذب عبارات الغزل والتغنى بفضائل ملاكه الحارس «دولسينيا دل توبوزو » .. فلم يحتمل شريكهما الثالث فى الحجرة أن يرى هذا المشهد .. وعلى الأثر اشتبك الثلاثة فى شجار خرج منه الفارس وتابعه مثخنين بالجراح ، أقرب ما يكونان الى الموت .. فأعد دون كيشوت لنفسه ولصاحبه «بلسما» كان قد قرأ وصفه فى بعض الكتب القديمة .. واستيقظا فى صباح اليوم التالى أكمل ما يكونان نشاطا واستعدادا للرحيل ...

معركة فى الأفق .. !

● وأثناء مضيهما فى الطريق لمحا عن بعد سحابة من الغبار تغطى الأفق ، فقال دون كيشوت انها ناتجة ولا بد عن معركة محتدمة هناك بين جيشين ! .. فلما اقتربا أكثر تبين سانكو بانزا ان الذى يثير تلك السحابة من الغبار قطيع هائل من الماشية .. لكن الفارس المخبول أبى أن يقتنع بكلام تابعه فامتشق رمحه واندفع نحو القطيع يمعن فيه ذبحا وتقتيلا وهو يخال نفسه يفنى « جيش » الأعداء عن بكرة أبيه ! .. حتى انهالت عليه الأحجار من راعى القطيع فألقته أرضا وكادت تقضى عليه .. واذ ذاك خف اليه تابعه فأعانه على النهوض بمشقة وهو يقول له : « ألم أنبهك يا سيدى الى أنه قطيع من الماشية ؟ لم لم تصدقنى ؟ »

خذوا الحكمة من أفواه .. المسجونين !

● وحين استأنف الفارس وتابعه رحلتهما التقيا بطابور من السجناء المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة ، يحف بهم حراسهم .. فلما عرف دون كيشوت انهم يساقون الى الليمان برغم ارادتهم أحس أن تحريرهم من الأسر يدخل فى نطاق «رسالته» التى تحارب العنف والقسر وتغيث الملهوف والمحتاج ! .. فلما حاذاه طابور

السجناء يخبون فى أغلالهم وأصفادهم ، سأل الفارس أولهم عن سبب الحكم عليه بهذا المصير ، فأجابه : **« لقد حكموا على لأنى أحببت ! » .. ففغر دون كيشوت فاه دهشة وهتف به : « وكيف ذلك ؟ » .. فأردف السجين : « أحببت سلة مملوءة بالثياب حبا حارا جعلنى أحتضنها وأحاول الفرار بها ! ! »**

وسأل الثانى عن سبب سجنه فقال : « سجنت لحاجتى الى عشر قطع من النقود الذهبية ! .. فلو ملكتها لاستطعت أن « ارطب » بها ريشة المحقق ، وأشحذ ذهن محامى بحيث كنت لأظل الى اليوم حرا طليقا ! » .. وقال الثالث : « وأنا حكم على بسبب جريمة فظيعة لا تغتفر ، هى انى اعترفت بالسرقة التى ارتكبتها .. فلو أمسكت لسانى لنجوت من العقاب ! »

ويصغى دون كيشوت فى اناة الى قصة كل سجين .. ثم يخرج من تحقيقه بنتيجة مؤداها أن أولئك السجناء وان كانوا خارجين على القانون فانهم بشر فى محنة ، وسوء حظهم وحده هو المسؤول عن ضبطهم ! .. ومن ثم فهو يطمئنهم الى أن رسالته كفارس شهم تحتم عليه أن يخف الى نجدتهم وانقاذهم !

● ثم يقرن صاحبنا كلامه الأحمق بتصرفاته الجنونية ، فيشن هجوما مفاجئا على الحراس ، الذين يصيبهم الذعر فيلوذون بالفرار تاركين مسجونيهم يفلتون من أغلالهم ! .. واذ ذاك تستخف نشوة النصر دون كيشوت فيأمرهم بأن يتوجهوا من فورهم الى ملاكه الحارس « دولسينيا » الحسناء كى يقدموا اليها أغلالهم تذكارا ورمزا لبطولة منقذهم !

لكن جواب السجناء على هذا الطلب يجىء أبعد مايكون عما توقعه الفارس الشهم ، فانهم ينهالون عليه وعلى تابعه رجما بالأحجار .. وبذلك يعضون اليد التى أطلقت سراحهم ! .. ثم يتفرقون كل الى سبيله ، تاركين دون كيشوت ممددا على

الأرض يئن من الجراح التى أصابته ، والجحود الذى قابل به الأنذال صنيعه !

فخ ٠٠ توقعه فيه امرأة !

● وكان لا بد أن يفر الفارسان من وجه العدالة بعد أن أطلقا سراح أولئك المسجونين ، فآثرا الاختباء زمنا فى الجبال هربا من مطاردة البوليس الأسبانى لهما ٠٠ وأوفد دون كيشوت تابعه الأمين الى محبوبته « دولسينيا » كى يطمئنها على مصيره ٠٠ **وهناك يلتقى سانكو بانزا فى القرية بصديقى سيده : الحلاق والقسيس ، اللذين يتآمران لاعادة دون كيشوت الى بيته ، فيسخران امرأة حسناء كى تزعم للفارس الشهم ان شخصا قد اعتدى عليها ، وتتظاهر أمامه بالتعاسة والمذلة ، حتى تنتزع منه قسما مغلظا بأن لا يستأنف مغامراته حتى ينتقم لها ممن غرر بها !** .. ثم تستدرجه ذات ليلة فى رحلة الى حيث يقطن غريمها المزعوم . وأثناء الليل تنتهز فرصة نوم صاحبنا دون كيشوت فتوصد عليه قفصا أعد خصيصا لهذه المناسبة .. وحين يفيق من نومه يزعمون له أن السحرة والأرواح هم المسؤولون عن أسره ٠٠ ثم يحملونه الى بيته ، سجينا فى قفصه !

وحين يصل تابعه سانكو بانزا الى القرية فى ركابه ، تهرع اليه زوجته تسأله فى اهتمام وقلق :

— هل حمارك بخير ؟

— أكثر منى !

— شكرا لله !

وبذلك ينتهى القسم الأول من الكتاب ..

● **فاذا كان القسم الثانى من قصة دون كيشوت ، وهو أمتع من الأول ، رأينا فيه الهراء يختلط بالحكمة ، والحماقة**

بالاتزان .. فاذا دون كيشوت يتكلم آنا كمخبول ، وآونة كفيلسوف ! .. على أن بطل القسم الثانى ليس دون كيشوت ، بل سانكو بانزا . فان تعقل هذا الوغد قد صار أكثر سخفا من جنون سيده ! .. وهو برغم أنانيته ، ويقينه من جنون سيده ، يؤمن به ، ويحبه !..

وهو ما يزال شغوفا بالطعام والشراب ، لا هم له غير أن يملأ معدته !.. لكنه لم يعد الأحمق المستهتر الذى كانه فى القسم الأول .. وانما هو قد أمسى أحمق طموحا ! .. فهو حريص على أن يجمع المال ، ويدبر لابنته زيجة فاخرة : « فان من الخطر على فتاة بشوشة أن تظل وحيدة . وانه لآمن للفتاة أن تتزوج زيجة تعسة ، من أن يحتويها فراش غير شرعى ! »

● وهكذا يستأنف الفارس وتابعه تجوالهما المضنى ، الذى لم يكن له فى عرف الأخير غير غاية واحدة : الظفر بالجزيرة الموعودة .. التى سوف تحقق له أحلامه ، وتكفل لابنته الزواج السعيد ..!

الحلم الذى تحقق !

.. وتقودهما مغامرتهما التالية الى قصر « دوق » ماجن كان قد سمع أنباء مغامرات الفارسين الأبلهين فدعاهما الى ضيافته كى يؤنسا وحشته ويبددا ضجر زوجته الدوقة !. وامعانا فى السخرية بهما واللهو على حسابهما يستقبلهما الدوق والدوقة استقبال الأبطال الفاتحين ، ويحيطانهما بكافة أسباب التكريم والتعظيم .. ثم يدفعانهما من طرف خفى الى التورط فى مآزق وحماقات طريفة (أشبه بحماقات الممثلين الهزليين « لوريل » و « هاردى » فى الأفلام الأمريكية المعاصرة !) **.. ورغم ان الدوق قد يكون أكثر شخصيات القصة غباء وبلاهة ، فانه**

يجد متعته الكبرى فى السخرية من حماقات غيره من البلهاء !.. وهكذا نجده آنا يورط دون كيشوت فى ((معركة)) مع قطط « مسحورة » !.. وآونة يوقعه فى مغامرة غرامية مضحكة مع حسناء من وصيفات الدوقة .. ويعرضه لمآزق وورطات و ((علقات)) ساخنة من كل جانب .. !

● وفيما هو يلهو بدون كيشوت على هذا النحو ، نراه يلهو بتابعه الساذج سانكو بانزا على نحو آخر ، فيوهمه بأنه سيحقق له حلمه القديم فيوليه حاكما على جزيرة من أملاكه اسمها « باراتاريا » — وهى فى الحقيقة ليست الا قرية صغيرة تقع على حدود اقطاعيته ! .. وهكذا يرحل « الحاكم » الجديد الى مقر مملكته فى موكب حافل بالأبهة ، وخلفه حماره الهزيل (دابل) ، بعد أن يودعه دون كيشوت وداعا « مؤثرا » ويزوده بباقة من نصائحه الثمينة بشأن أساليب الحكم وكيفية تصريفه لشؤون « رعاياه » !

وحين يصل « الحاكم الجديد » الى عاصمة ملكه يستقبل استقبالا رائعا يتناسب مع « مكانته » ! .. ثم يدعى كى يستهل حكمه بتصريف بعض المنازعات المستحكمة بين بعض رعاياه ، فيصدر فيها أحكاما حافلة بالدعابة ، ناطقة بالحكمة والمنطق السليم ، بحيث تنال اعجاب جميع السامعين !

● **وفى المساء يجلس الحاكم الجديد ، مزهوا بنفسه ، فى قاعة الطعام الكبيرة التى حفلت مائدتها بكل ما لذ وطاب من المشهيات .. لكنه يجلس الى المائدة وحيدا فى شبه مأدبة « انفرادية » لا يؤنسه فيها غير طبيبه الخاص الذى يقف على رأسه فلا يكاد يراه يذوق صنفا من ألوان الطعام الشهية حتى يلمس الطبق بعصاه الصغيرة فيأتى خادم يرفعه فى خفة من أمام مولاه .. !**

ويخجل « الحاكم » فى البداية من التعليق على هذه التصرفات ، لكنه حين تفيض الكأس يحزم شجاعته فيستفسر من الطبيب عن حكمتها ؟ فيجيبه هذا بأنه مكلف بالسهر على صحة مولاه وسلامته ، كى لا يأكل طعاما من شأنه الاضرار به ، فان سعادة الدولة تعتمد على صحة حاكمها ! .. والجزيرة مليئة بالجواسيس الذين قد يدسون السم فى طعام الحاكم أو شرابه !

جحيم الحاكمين .. وجنة المحكومين

● ويحتمل سانكو بانزا الأمر فى البداية ، يوما بعد يوم .. ويظل يحكم الجزيرة عشرة أيام « بقلب مفعم غيظا ، ومعدة خاوية ! » .. وأخيرا يطفح الكيل فينفجر فى طبيبه مهددا متوعدا : « أغرب عن وجهى والا فانى أقسم أن أحطمن جمجمتك أنت وجميع أطباء الجزيرة ، فلا أبقى منكم على أحد ! .. دعنى آكل أو فليستردوا منى حكمهم وحكومتهم ! »

وفى تلك اللحظة يدخل رسول يحمل الى الحاكم رسالة من الدوق ينبئه فيها بأن جيشا جرارا للأعداء يتأهب لمهاجمة الجزيرة .. ثم يوصيه باتخاذ عدته للتصدى للغزاة !

ويمضى سانكوبانزا من فوره كى يتفقد تدابير الدفاع عن الجزيرة .. لكنه فى كل خطوة يصادف مشكلة من مشاكل الحكم تتطلب تصرفه السريع وتشغله عن غايته .. وتحاصره هذه المشكلات من كل جانب ، فوق ارهاق معدته الخاوية التى قتلها الجوع ! .. **فيدرك أخيرا أن « الحكم هو أتعس تجارة على الأرض ! »** .. **ثم يكتب الى دون كيشوت خطابا يختمه بقوله : « فتخلصنى السماء من عبء هذا المنصب اللعين ولتعدنى الى وطنى سالما معافى ! »**

● وذات صباح يستيقظ الحاكم من نومه على هرج ومرج وأصوات تصيح فى فزع : « العدو على الأبواب ! » .. ويستحثه رعاياه على أن يقودهم ليدافعوا عن وطنهم .. فيجيبهم بأنه يريد طعاما ، وانه لايعرف من فنون القتال شيئا ! .. لكنهم يزجرونه لائمين ، ويحملونه بالدروع والحراب الثقيلة التى يثبتونها فى صدره وظهره بحيث لايكاد يقوى على الحركة .. ثم يطالبونه بأن يتقدم الجيش !

— أتقدم الجيش ؟ .. كيف وأنا لاأستطيع أن أثنى ركبتى ؟

— يا للعار ! انه الخوف ، لا السلاح ، الذى يصلب ركبتك !

● وتعلو جلبة العدو الزاحف ، فيحاول الحاكم التحرك بحمله الثقيل ، لكنه يعجز ويسقط على وجهه كالسلحفاة ! .. فى الوقت الذى فيه يندفع رعاياه فوق جسمه فى الظلام مسرعين نحو مخزن السلاح ليتزودوا منه بالدروع والرماح .. بينما يتظاهر هو بالموت ، فلا يحرك ساكنا .. حتى يعود رعاياه عند مطلع الفجر متصايحين مهللين بالنصر الذى أحرزوه على العدو ، فيرفعوا صاحبنا عن الأرض ويزفوا اليه نبأ انتصارهم .. !

لكنه لا يجيبهم الا مطالبا بثيابه القديمة التى كان يرتديها قبل أن يتولى الحكم .. وحين يلبسها يمضى الى حظيرة حماره (دابل) فيقبل الحيوان الأمين والدموع فى عينيه ، ويناجيه متأثرا : « تعال يا صديقى ورفيقى المخلص .. ماكان أسعد الأيام والشهور والأعوام التى قضيناها معا جائلين ، لا هم لى غير أن أصلح سرجك وأجد الطعام لمعدتك الصغيرة .. أما الآن وقد ارتقيت الى قمة المجد فان عشرة آلاف بلية تطارد روحى ! » .. ويربت على حماره ويمتطيه .. ثم يودع « رعاياه » وينطلق!

الوقوع فى الفخ !

● أما دون كيشوت الذى تركناه يمرح فى قصر « الدوق » ،

فان سخرية القوم ولهوهم به ، نساء ورجالا ، وخدما وخادمات ، قد بلغ حدا قاسيا جعله يزهد فى ترف القصور ويعود مشتاقا الى حياة الطريق ، فيستأنفها من جديد بصحبة تابعه « الحاكم المستقبل » سانكو بانزا ! ٠٠ وبعد مغامرات وحماقات عديدة ، يدبر أصدقاء الفارس المخبول فخا يوقعونه فيه كى يجبروه على أن يهجر حياة الفروسية والمغامرة ٠٠ فيسخرون أحدهم ليتنكر فى ثياب فارس ويتحرش بدون كيشوت كى يبارزه ويهزمه ٠ ولما كانت عقوبة الفارس المهزوم هى الخضوع لارادة قاهره ، فانه يصبح فى الامكان عندئذ أن يلزم الأخير صاحبنا بتطليق الفروسية نهائيا والعودة الى عقر داره !

يرتد اليه عقله ٠٠ بعد فوات الأوان !

● وتتم الخطة الموضوعة بحذافيرها ، فيعود دون كيشوت الى قريته ذليلا كسير الفؤاد ، وتؤثر الصدمة فى البقية الباقية من عقله،بل ويصاب منها بحمى شديدة يحاول الأطباء والأصدقاء انقاذه منها بكافة الطرق ٠٠ ولكن دون جدوى ! ٠٠ وحين تقترب نهايته يصحو يوما من نومه وقد استرد عقله وادراكه الكاملين ، فيقول لابنة أخته **أن رحمة الله قد أدركته فأزالت عن ذهنه غشاوة الجهل التى سببتها له مطالعاته لكتب المغامرات السقيمة ٠٠ وانه ان أسف على شىء فعلى أن هذا التعقل قد أدركه متأخرا ، بحيث لم يدع له فرصة كافية كى يعد نفسه للموت ! ٠٠ ثم يخاطب تابعه وأصدقاءه المنتحبين حول فراشه ، قائلا : « لقد كنت مثالا للحماقة فى حياتى ٠٠ لكنى سأحاول أن أكون أكثر حكمة فى وفاتى ٠٠ »**

ويسلم الروح !

حوافز الحياة



النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ..

هذا الباب بمثابة « عيادة نفسية » تقدم لك أحدث الكتب التى تبسط لك فى أسلوب عملى شائق أفضل الطرق التى تكفل لك ولأولادك سلامة النفس من كل عقدة أو مركب نقص .. وتعينك على مواجهة الحياة ومتاعبها ومشكلاتها كما ينبغى أن تواجه ..

ولما كان الجنس هو القوة الرئيسية المعمرة فى الحياة ، والمؤثرة فى النفس ، فان فهمه واستخدامه على الصورة الصحيحة يعينان أكبر العون على تكوين بيوت أسعد ، ومواطنين أفضل ، ومجتمع يقوم على دعائم سليمة البنيان.

.. لذلك قدمت لك فى الشهر الماضى كتاب : « كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية » .. وأقدم لك فى هذا الشهر: طريق السعادة الزوجية» .. يليهما فى الشهور التالية باذن الله : كيف نجحوا فى الحياة (لديل كارنيجى)» الزواج والأخلاق (لبرتراند رسل) ، رقصة الحياة (لهافلوك اليس) التحليل النفسى (لسيجموند فرويد) ، مركب النقص : أسبابه وعلاجه .. ثم سلسلة كتب : كيف تقهر الخوف .. والخجل.. والقلق .. والأرق .. الخ - وكيف تنمى شخصيتك ، وتقوى ذاكرتك ، وعزيمتك ، وتحفظ أعصابك من التلف، وكيف تنجح فى عملك ، وفى المجتمع ، وكيف تكسب الأصدقاء .. وكيف تربى أطفالك .. وكيف تسعد فى حياتك ..


THIS MAN
AND
THIS WOMAN
By
FREDERICK
W. BRINK
مرشد المتزوجين
والمقبلين على الزواج
طريق السعادة الزوجية
كتاب للباحث الاجتماعى: فردريك برينك

هدف الكتاب

« الزواج » و « عش الزوجية الهانىء » ، ألفاظ جميلة تمثل معانى لعلها أجمل وأرق ما يرد على حياة البشر ، رجالا كانوا أو نساء فأين هى الفتاة التى لا تعتبر يوم زفافها قمة الآمال وغاية المنى العذاب ؟ وأين هو الشاب الذى لا ينتظر ذلك اليوم الموعود فى شوق ولهفة ؟ وأين الشيخ أو العجوز الذى لا يتذكر أو التى لا تتذكر ذلك اليوم بغير دمعة تترقرق فى الجفن ، وخفقة يختلج بها القلب ، وومضة تلمع بها العين ؟

والواقع أن الزواج ، على قدمه فى الجماعة البشرية قدما لا يدرك له مدى ، لا يزال من أعقد الأمور ، ولا يزال الانسان أجهل بفنه ومتاهاته منه بمسالك النجوم ومدارات الأفلاك .

وخير شاهد على ما نقول كثرة ما تطالعنا به الصحف من المآسى، وما تتمخض عنه نسبة كبيرة من الزيجات من فشل وفضائح ، مع ما يبدو فى الظاهر من توفر عوامل النجاح والسعادة والتوفيق .

وفى هذا وحده ما يكفى لتبرير موضوع هذا الكتاب ، الذى يعالج المشاكل الجسدية والنفسية المتعلقة بالزواج فى صراحة علمية ، مع بساطة وتشويق ، بحيث يشعر كل قارىء وقارئة أن الكتاب يعالج أموره هو شخصيا ، ويرسم له طريق المستقبل الموفق فى رفق وبصيرة .

ولا غرو .. فمؤلفه ممن سلخوا العمر فى التخصص علما وعملا فى هذا الباب من علاج النفس .

روح العصر

● « المرأة والرجل » هما القطبان اللذان يتكون منهما المحور الذى تدور حوله الحياة فى كل زمان ومكان . فالعلاقة بين الجنسين، فى نطاق الشرائع أو خارج هذا النطاق ، هى العامل الأساسى والقوة الدافعة فى كل حركة من حركات الأفراد والجماعات ..

فاذا دخلت أى دار من دور الصور المتحركة ، فانك واجد فيلما يدور ولا شك حول مشكلة للمرأة أو للرجل فيها نصيب كبير . واذا فتحت صحيفة من الصحف ، وجدت الاعلانات – وهى عصب الصحافة وعمودها الفقرى ولا مراء – لا تستغل شيئا لاجتذاب الناس الى معروضاتها كما تستغل جاذبية الجنس المنبعثة من المرأة أو من الرجل . فلا شىء يغرى المرأة بشراء جورب أنيق أو عطر رقيق مثل رغبتها فى اجتذاب اعجاب الرجل . ولا شىء يغرى الرجل بشراء معجون للأسنان أو موسى للحلاقة أو رباط عنق فاخر مثل رغبته بل لهفته على استهواء حواء ..!

زوايا الموضوع

● والواقع أن المجتمع الحديث ينظر الى العلاقة بين الجنسين من زاوية لا تخرج عن واحدة من ثلاث : فالناس اما « **مادى** » يرى أنه لا صلة بين رجل وامرأة الا صلة الجسد والتفاعل الحيوى الذى يؤدى الى انجاب النسل واستمرار النوع البشرى .. أو « **عاطفى** » لا ينكر الجانب الجسدى أو الحيوى ، ولكنه يجعله تابعا ثانويا للصلة العاطفية والمشاعر الوجدانية .. أو « **واقعى** » يمزج بين النظرتين ، ويضيف اليهما عامل الدين والمصلحة الاجتماعية التى ترى فى الزواج ضرورة لا بد منها للاستقرار فى الحياة وتحمل اعبائها ومقتضيات النهوض بتبعاتها الجسام فى مراحل العمر المختلفة ، ولا سيما حينما يدبر الشباب وتنتهى مرحلة العواطف المتأججة والميول الجامحة .

متاع الساعة .. أو الزواج المادى

● فكأننا بالمادى من الناس فى هذه الحياة لا يستوحى فى علاقته بالجنس الآخر الا متاع الساعة . فالرجل ينظر الى امرأة تستهويه ، والمرأة تنظر الى رجل يعجبها ، فيفكر كل واحد

منهما فى الاتصال بالآخر اتصالا كل غايته الحصول على ارواء ظمئه الجنسى الطارىء وارضاء رغبته المشتعلة . حتى اذا تم هذا الغـرض المتكافىء المتبادل انتهى كل ما بينهما من اهتمام وصلة ، لا تتجاوز متاع اللحظة العابرة الى الاهتمام «بالشخص» الآخر من حيث هو فى ذاته . فكأن الشريك فى مثل هذه الصلة الجامحة السريعة الانتهاء بمثابة « بندقة » حصل الطرف الآخر على الثمرة الداخلية منها ، فلم يبق له أى مأرب فى الاحتفاظ بالقشرة المكسورة ·· وليس يعنيه مصيرها بعد أن يطرحها من يده : هل تهشمها الأقدام ، أو يلقى بها وقودا وطعمة للنيران فى أتون الحياة !

القناع الواقى !

● وقد يحدث فى بعض الأحيان أن يعجب كل طرف من الجنسين بالطرف الآخر اعجابا مبعثه المتعة الجسمية البحتة ، بحيث يتطلع الطرفان الى الارتباط بصفة مستمرة على هـذا النحو الذى يشبع نهمهما وتوافقهما الحيوى ، وحينئذ قد يفكران فى الزواج · ولكن الزواج فى هذه الحالة يكون مجرد « ستار » أو « قناع واق » من غارات الانتقاد الاجتماعى وما يحمـله فى طواياه من مضايقات قد تفسد جو اللذة ·

● وهذا النوع من الزواج القائم بصفة رئيسية على التوافق الجسمانى والارضاء الحيوى المتبادل ، قد تسنده وتشد أزره عوامل اقتصادية أو تناسب فى المركز الاجتماعى . ولكنه يظل على كل حال رهنا بدوام التوافق واستمراره . فاذا حدث أن تسرب التصدع الى بنيان ذلك التوافق من أى ناحية من نواحيه أخذت الشقة تتسع بين الزوجين ·· حتى ينتهى الأمر فى الغالب الى تلك النهاية الأسيفة التى لا مناص منها فى مثل هذه الحالات ، وهي الطلاق ...

سهام كيوبيد .. أو الزواج العاطفى

● فالعنصر الذى كان ينقص ذلك النـوع من الزواج كى يضمن له صفة الدوام والتغلب على عوامل التفرقة والتفكك هو العنصر الوجدانى . فالذى « يشتهى » يريد أن يأخذ أو ينال اللذة . أما الذى «يحب» فأغلب همه أن يعطى المتعة لمحبوبه وينيله اياها ، وهذا ما يجعل لما يحصل عليه هو من المتعة قيمة كبرى فى ناظريه .. فالاهتمام بالمحبوب هو النتيجـة الأولى للاصابة بسهام كيوبيد ، بحيث تغدو صحبة المحبوب والائتناس بجواره هى الرغبة الجامحة التى لا محيص للمحب عن تحقيقها أو تغدو الحياة فى ناظريه جحيما لا يطاق ، لأنها تفقد حينئذ كل معنى وكل قيمة .

فاذا وفق الحبيبان وتوافقا فى موجة عاطفية واحدة ، تم الزواج بينهما ، لأنه خير نظام يكفل لهما أكبر قسط من الصحبة فى موكب العمر . **ومثل هذا الزواج يجعل الرجل والمرأة كليهما أقدر على التغلب على ما تحدثه الظروف فى الصلة بينهما من صدوع ، لأن كلا منهما يؤثر صاحبه ويعزه ويقدمه على كل اعتبار آخر من اعتبارات المصلحة أو اللذة العابرة .**

ولكن المشاكل مع هذا لا تعفيهما فى الغالب من هجماتهـا المقلقة ، فاذا لم ينته الزواج بالطلاق ـ لأن الحب أقوى من كل شىء ـ فانه يبقى على كل حال عرضة للشقاء أو المنغصات من حيث كان الزوجان ينتظران السعادة وأحلامها الذهبية الخلابة التى صورتها ريشة ذلك الماكر « كيوبيد » .. !

بين بين .. أو الزواج الواقعى

● أما الموقف الوسط بين المادية والعاطفية ، فهو موقف من يقدر الزواج حق قدره ، لا من حيث هو مجرد شهوة عارمة ،

أو عاطفة متقدة ، بل من حيث هو ارتباط بمسئوليات المستقبل بين اسعاد للزوجة ، واسعاد للأطفال ، وقيام بتربية جيل جديد من البشر ، بما يرضى الخلق الكريم ، والمجتمع المهذب ، والوطن .. وقبل هذا كله بما يرضى الله الذى جعل الزواج ركنا أساسيا لاستقرار الحياة وقيام الفضائل الفردية والاجتماعية ، وتقدم النوع البشرى .

الزواج ليس متعة فحسب ...

● وان من يتأمل احصائيات الطلاق ، ويفحص الأسباب الغالبة للشقاء الزوجى والانفصال ، حرى أن يتبين أن علاج آفة الطلاق رهن بأن يستقر فى الأذهان أن الزواج ليس نظاما قصد به راحة الناس وادخال السرور على نفوسهم وقضاء مصالحهم ومآربهم فحسب .. بل هو قبل ذلك كله « مسئولية » متبادلة بين الزوجين ، وتعاون مشترك على تكوين « الخلية الأولى » التى يتكون منها بناء المجتمع الانسانى .

فالنظرة الواقعية الى الحياة ، والى الزواج ، كفيلة بأن تزيل ما يحدث بين الزوجين من سوء التفاهم و « خيبة الأمل » التى تنجم عن أوهام اللذة الجنسية الصارخة التى يتوقع بعض السذج دوامها فى ظل الزواج الى الأبد ، والتى قد تنجم أيضا عن الاغراق فى الخيالات العاطفية ..

● فمتى عرف الزوجان أن الزواج ليس معناه استمتاعا مستمرا أو أناشيد غرامية لا تنقطع بالليل والنهار ، تبين لهما أن الحياة تتطلب الى جانب أناشيد الغرام والقبلات الدافئة سعيا وراء الرزق ، ومعاناة للمتاعب والآلام .. ومن ثم ينبغى أن لا تفجع الزوجة اذا دخل زوجها من عمله الشاق مضعضع الحواس فنام نوما عميقا دون أن يلتفت لمحاسنها المستيقظة ..

كما ينبغى أن لا يفجع الزوج اذا وجد زوجته آخر النهار شاحبة الوجه لا تكاد تفتح عينيها من فرط الاعياء الذى أصابها من الطبخ والكنس وتعهد الطفل .. فهذه أيضا هى الحياة ، كما أن العناق والقبلات وقصائد الغزل جانب آخر من الحياة .

ومنطق الواقع هو الذى يستطيع وحده أن يجمع بين هذين النقيضين فى ادراك الرجل والمرأة ، فيقبلان الحياة كما هى ، ويريانها على حقيقتها ، فلا تفزعهما تلك الحقيقة اذا اكتشفاها بعد اغراق فى الوهم والخيال .

فى التأنى السلامة ..

● لهذا ننصح كل رجل وامرأة أول ما ننصحه بالتأنى فى اختيار الشريك ، فالذى يشترى ثوبا يدقق فى فحص نسيجه ولونه وشكله ، والذى يشترى سيارة يدقق فى فحص مزاياها وعيوبها وحساب ميزانيتها وأعباء حيازتها وصيانتها ... **فلا يجب أن يكون اختيار زوج أو زوجة عملا أقل خطرا وجدارة بالاهتمام والأناة من تفصيل فستان أو شراء سيارة جديدة أو مستعملة ..**

● ونستطيع أن نستطرد فى هذا التشبيه فنقول أن الأحمق هو الذى يجعل جمال الشكل هو المزكى الوحيد لشراء الثوب أو السيارة ، وأحمق منه من يجعل الجمال الظاهرى هو المرجح الوحيد لاختيار شريك العمر أو شريكته .. بل الأولى أن يكون المرجح فى الاختيار هو « المتانة » أو « الاقتصاد فى الاستهلاك » أو « الراحة » ، ولكن مع تحرى توفر أكبر نسبة من جميع هذه العناصر أو معظمها فى « البضاعة » التى يقع عليها الاختيار .

● **وهناك عامل آخر لا شك فى أهميته الكبيرة ، الا وهو « البيت » . فيجب أن يكون كلا الطرفين مدركا تمام الادراك**



قبل الزواج .. !

أن تكوين البيت واقامة صرح الأسرة هو الهدف المشترك الذى ينبغى أن يعمل له كلاهمـــا ، ويضحيا فى سبيله بجانب كبير من راحتهما ومآربهما الشخصية .. فهذا العامل هو الذى يكفل « وسطا مشتركا » أو « حدا مشتركا » متفاهما عليه بينهما ، لا يختلفان فيه اذا اختلفا فى غيره .. أو « رأس كوبرى » يعبران عليه من شاطىء الخـــلاف الى شاطىء الائتلاف والتفاهم مـرة أخـرى .

فالذى لا شك فيه انه ما من زوجين بمأمن من الخلاف فى أى وقت ، لسبب أو لآخر ، فالأمان من الخـلافات لا يتسنى الا بوجود أرض بمثابة شقة حرام يقدسها الطرفان ولا يتطرق الى حماها الخصام بأى حال من الأحوال . وهذه الشقة الحرام هى « البيت » أو « الأسرة » .

ولكن مما يجب التنبيه اليه ان العقل وحده لا يكفى للتأليف بين الشريكين ، بل يجب على كل حال أن تكون هناك « عاطفة » تستمد حرارتها من التقدير المتبادل كما تستمدها من الرغبة المتبادلة والحب والحنان ...

مرحلة الخطبة

● أصبحت الخطبة فى السنوات الأخيرة كثيرا ما تتم بغير مراسم اجتماعية أو اذاعة رسمية للخبر . وليس هذا ذا بال

فى الواقع ، لأن أفراد البيئة التى يعيش فيها الخطيبان سرعان ما يعلمون الخبر أو يكتشفونه ، فيسارعون فى هذه الحالة الى « منح كافة التسهيلات » للخطيبين . وهذه « التسهيلات » أو « التشهيلات » قد تكون أهم ما يميز فترة الخطوبة بالنسبة للفتى والفتاة : فقد درج المجتمع على الاغضاء فى شىء من العطف والتواطؤ عن معظم ما يجرى بين الخطيبين ، مما يستحق أن يكون محل نقد شديد لو لم تكن الخطبة بمثابة « دهليز » يفضى الى مخدع الزوجية !

● وفى نظرنا أن أهمية مرحلة الخطبة ليست فى هذه التسهيلات من حيث لذتها الحسية . كلا ! بل فى تمكين الخطيبين من الاختلاط والصحبة فى حالة من « رفع التكليف » تكاد تشبه فترة الزواج من حيث التفاهم على المشاكل المشتركة ومناقشتها، مما يساعد على كشف النقاب عن مدى ما يمكن أن يكون من الاختلاف بين الطبعين والمزاجين، تمهيدا لتلافى هذا الخلاف حينما تصبح الصلة بينهما بالزواج عروة وثقى لا انفصام لها ..


بعد الزواج .. !

● **ومما يدعو الى القلق ما درج بعضهم عليه فى الزمن الأخير من تقصير أمد الخطبة الى حد غير معقول ، فكثيرا ما نسمع عن خطبة تعقد يوما ، ليعقبها عقد الزواج فى الغد مباشرة، فلا تكون هناك مرحلة خطبة بالمعنى المعروف مع أن هذه المرحلة ضرورية**

لايجاد ((التأقلم)) أو ((التكيف)) أو ((الملاءمة)) بين الرجل والمرأة ... فما أشبه مرحلة الخطبة بالفترة التى تمر على الانسان حين ينتقل من مكان شديد الضوء جدا الى مكان معتم نوعا ما ، فلا بد من مدة تظل فيها العين عاجزة عن الرؤية حتى ((تتأقلم)) أو ((تتكيف)) بالحالة الجديدة ، وتتيسر لها الرؤية الطبيعية .. أو لعلها تشبه فترة ((ضبط الموجة)) فى آلة الراديو على محطة ارسال معينة ، حتى يتيسر للآلة استقبال الاذاعات بدون ((شوشرة)) أو ((حشرجة)) .

● ولا يجب أن ننسى أن فترة الخطبة هى الفترة التى يتاح فيها حل مشاكل يغلب أن يثيرها الزواج ، قبل أن تصدم الزوجين وتستعصى على الحل . وأهم تلك المشاكل مشاكل الميزانية الجديدة ونفقات البيت ونظام ادارته والمستوى المناسب للمعيشة . وهذا أهم ما يجب أن تهتم به الخطيبة على الخصوص ، لأنها هى التى ستحمل ذلك العبء ، وسيكون عليها أن تعانى مشكلاته التى أصبحت شائكة جدا فى أيامنا هذه . وكم من زواج أغفلت فيه هذه الناحية انتهى الى فشل أو الى كارثة ...

● وفى مرحلة الخطبة أيضا تتاح أحسن الفرص لمناقشة مسألة « الجهاز » وتأثيث البيت وترتيبه بما يوافق المزاجين بقدر الامكان ... ولعل ايجاد « محل السكن » نفسه قد أصبح ـ بالنسبة لأزمة المساكن الحالية ـ أهم من تأثيث المسكن وترتيبه . فقد يتعين بسبب بهاظة النفقات أن يعيش الزوجان فى بيت أهل أحدهما . فيجب أن يبحث الخطيبان هذه المسألة الشائكة جدا بعين العقل والحذر ، بحيث لا تطغى عليهما الرغبة فى تعجل « ليلة الزفاف » فيغفلان عن هذه المسألة الجوهرية التى تظهر مرارتها بعد انقضاء « فترة العسل » بنشوتها العابرة ..

رفقا بالعذارى

● ولعل أهم واجب على الخطيب ـ باعتباره أخبر الطرفين بالحياة ـ أن ينتهز فترة الخطبة للتمهيد عند خطيبته ـ اذا كانت ساذجة جاهلة بواقع العلاقات الجنسية ـ لكى تتكون عندها ، بكل رفق وكياسة ، فكرة عن وظائف الجسم الحيوية وعلاقتها بالزواج وانجاب الأطفال ، بحيث تتفتح الفتاة بالزواج تفتحا طبيعيا ، عن ميل لا عنوة ودفعة واحدة ، والا نفرت من الزواج ومن الزوج الى الأبد ..!

● **وأهم هذه التمهيدات الدقيقة الشائكة هو محو فكرة « التأثم » من الصلة الجنسية الشرعية من ذهن الفتاة ، واشعارها أن هذه الوظائف الطبيعية لا عار فيها ما دامت فى حدود الكرامة الانسانية** ، أى نتيجة حب وتفاهم ، فلا تجد الفتاة بعد ذلك حائلا من الحياء الخاطىء يحول دون اتمام سعادتها الجنسية عند الزواج ٠

تحديد النسل ٠٠

● كما يجب أيضا أن يتفاهم الخطيبان المستنيران على مسألة الأطفال ، فمن الخطأ ألا ينتظرا من زواجهما ثمرته الطبيعية ، ومن الخير اذن أن يناقشا هذه الثمرة مقدما ، فيتفقا على نظام الاطلاق فى النسل ، أو على تحديد النسل ، كيفما يريدان ، وبحسب ما يوافق ظروفهما ٠ على انه يجب أن يستقر فى ذهنهما جيدا ، وعن تفاهم صريح ، **ان الطفل متى حل ضيفا على أحشاء الأم صار عليها أن تحيطه بكل أسباب الرعاية والاكرام والاعزاز ، قبل أن ترى وجهه الجميل بشهور طويلة ٠٠٠ حتى اذا برز الى النور ، كانت العناية به مقدمة على كل شىء ، مهما كلفت تلك العناية أمه وأباه من مضايقات ٠٠٠**

● ثم هل ننسى ، فى مقام الرفق بالعذارى ، واجب الفحص الطبى فى فترة الخطبة ؟ فانه من أوجب الواجبات أن يتأكد الزوج على الخصوص من خلوه من العوائق الصحية ، سواء من الناحية الجنسية أو غير الجنسية ، قبل الاقدام على عقد القران .. ويحسن أيضا أن تتبين الفتاة خلوها من أى مرض شخصى أو وراثى ، بتحليل الدم وما الى ذلك ، حتى لا تكون هناك جناية من أحد الخطيبين على الآخر ، وعلى نسلهما فى المستقبل .

العفة قبل الزواج

● ويجب فى جميع الأحوال ألا يتورط الخطيبان فى قيام علاقة جنسية بينهما فى فترة الخطبة ، بتمام معنى العلاقة الجنسية .. فان اخطار ذلك كثيرة جدا ، ولا سيما على الفتاة ، فقد يتدخل القدر بأى شكل — ولو بالوفاة — فيختطف الخطيب قبل اتمام الزواج .. فتكون الطامة الكبرى بالنسبة للفتاة !.. ولا يندر أن تكون ثمرة ذلك الاتصال الجنسى قد تحركت فعلا فى أحشائها . فمن الخطأ الشائع الظن أن موانع الحمل من أى نوع كفيلة بمنعه مائة فى المائة ... يضاف الى هذا أن مثل هذه الصلة حتى اذا سترها الزواج لا تحول دون افساد الاحترام والتقدير من جهة الزوج لزوجته التى أباحت له نفسها قبل الزواج ... ولا يحول دون غضب الله الذى يحتاج الزوجان الى رضاه سبحانه وتعالى لمباركة رباطهما الوثيق .

حفلة القران ..

● كثيرا ما يكون لحفلة القران أوفى نصيب من أحلام الفتاة . فهى ترى فى أحلام اليقظة والمنام مشاهد ذلك اليوم ، فى أبهى زينة وأحسن نظام . ولكن يجب الحذر من التمادى فى الاندفاع

وراء تلك الأحلام اندفاعا طائشا . فان نفقات الحياة العادية فى هذه السنوات أصبحت مرهقة ، فناهيك اذن بنفقات الحفلات الباذخة . فهى ترف لا يستطيعه فعلا الا كبار الأغنياء والثراة . وان كان الكثيرون ممن ليسوا من كبار الأثرياء يحبون أن يخدعوا أنفسهم أو يوهموا الناس بأنهم منهم ...

● وليس فى هذا ضير لولا ما يجره على « الميزانية » الناشئة من الاضرار والهزات التى قد لا تحتملها وهى لا تزال لدنة العود .. بل ان الهزات قد تتجاوز الناحية « المالية » الى « الصحة » و « الشئون الداخلية » ... فالفتاة العاطفية التى تتزوج فى حفل رنان ، يملى لها الخيال فتتوقع الحياة فى مستوى يناسب ذلك الحفل بصفة دائمة .. فيصدمها الواقع المر ، وقد تتبرم بحياتها ، ويؤثر ذلك على علاقاتها الداخلية بزوجها دون أن تدرى

● **فخير ماننصح به الزوجين المتوسطى الحال أن يكتفيا بحفل بسيط قاصر على الأهل وأقرب الأصدقاء ، مع الاقلال من النفقات الكمالية قدر الامكان ، حتى يستفيدا من الاقتصاد فى شراء ما هو أنفع ، أو فى ادخاره للطوارىء ... وحتى يستقر فى ذهنهما منذ البداية ان الحياة واقع لا خيال ، وأنها « مقالة منثورة » وليست « قصيدة من الشعر » من النوع الساخن !**

● والحقيقة ان أهم ما فى حفلة القران ليس « زفة العرس » بل الارتباط الخطير بين قلبين وجسدين ، ارتباطا أبديا فى السراء والضراء ، فمن الخير ألا تكون هناك مظاهر تشوش هذا الخاطر وتطمسه .

جسد واحد ...

● وأول ما يواجه العروسان بعد العقد هو أنه قد صرح لهما من المجتمع ، وبسنة الرحمن ، أن يكونا منذ الساعة « جسدا

واحدا » .. والحق انهما سيشعران فى الفترة الأولى أن مسألة هذا « الجسد الواحد » أهم ما مر بهما فى حياتهما

● ولكن يجب ألا يغرب عن البال أن «الاتصال الجنسى الأول» قد يكون أخطر خطوة فى حياة العروسين ، لأنه سيتوقف عليه كثير جدا من النتائج فى المستقبل . فيجب أن يكون هناك تمهيد كاف قبل الاقدام عليه ، بحيث تكون هناك رغبة أو ارتقاب له من جانب العروس ... فلا تشعر انه اعتدى عليها فى أمس شىء من جسدها بسريرتها الداخلية .. **فالشىء الكثير يتوقف على شعور العروس بالنشوة فى الاتصال الأول بزوجها ، أو شعورها بأنها « فريسة » منتهكة ممزقة .. فالرجل بعد ذلك اما أن تكون صورته فى قرارة نفسها صورة اله معبود ، أو صورة وحش منفر ترتعد منه الفرائص ..**

● ويجب ألا ننسى أن الاتصال الجنسى الأول اذا جاء موفقا، شعرت العروس بالنشوة واستقامت طبيعتها الجنسية . أما اذا لازم الفشل ذلك الاتصال وكان العريس غير كيس أولبق ، أعقب ذلك الاتصال نفور واحتقار لنفسها وتقزز ، يشوه طبيعتها الجنسية بعد ذلك على طول المدى ، بحيث لا « تتجاوب » مع الرجل أقل تجاوب نفسى أو حسى ..

● وكذلك يحسن عدم الافراط فى الاتصال الجنسى فى البداية ، حتى لا يرسخ فى ذهن العروس انه هو أساس الزواج الوحيد ، وانه لا بد أن يدوم لكى تبقى للزواج سعادته ... فالزواج صلة روحية كما انه صلة جسدية ، **وكما يصير الزوجان جسدا واحدا ، كذلك يصيران - أو ينبغى أن يصيرا - روحا واحدا وعقلا واحدا بقدر الامكان ، فيجب العناية بتنمية لذات الصحبة العقلية والروحية والعاطفية الى جانب الصحبة**

الجنسية ، فلا يكون الزواج قائما على « رجل واحدة » ، فاذا أصابها العرج فى أى وقت انهار الزواج من أساسه .. فليحرص الزوجان على تقوية « الرجل الأخرى » منذ البداية !

هذان الغريبان

● فى أحيان كثيرة يجد الزوجان الجديدان نفسيهما أشبه بالغريبين فى ليلة الزفاف ، كأنهما لم يلتقيا من قبل . وهذا شائع عندما تكون الخطبة قد تمت بتدبير العائلة ، لا عن علاقة هوى سابقة .. فان علاقة الخطيبين شىء ، والنوم وقضاء الليل كله فى فراش واحد أو فى حجرة واحدة شىء آخر ، ولا سيما بالنسبة للفتاة التى يغلب ألا تكون قد قضت الليل فى حجرة واحدة مع شخص بالغ من الرجال ، حتى ولو كان أباها أو شقيقها . **فمهما يكن من حبها للعريس ، أو ميلها الجنسى اليه ، فانها تستغرب هذه الخلوة ولو بعض الاستغراب ، وتجد انها قد تعرضت للون جديد من المعيشة لم تألفه . ولعلها ترى أن هذا اللون الجديد أفضل وألذ وأمتع ، ولكن للعادة المتأصلة والألفة نفوذها الخارق .. وتغييرها ولو الى ما هو أفضل شىء صعب على النفس حتما .**

● لهذا يجب أن يحترم كل منهما هذا الاستيحاش أو هذه الغربة فى الشخص الآخر ، فلا يصدم عواطفه وعوائده دفعة واحدة ، بل يحاول مجاملته وملاينته حتى تتمكن العادات الجديدة من نفسه وتذهب وحشته .

● يضاف الى هذا انه كثيرا ما يجد العروسان نفسيهما فى غاية الاعياء بعد متاعب الزفاف الجسدية والعصبية ، فلموقف القران رهبته وهزته ولا مراء ... فاذا بالليلة التى أنفقا العمر فى تخيلها حافلة بالمتع واللذات والانس ، قد تكشفت عن رغبة

بل حاجة ملحة الى النوم ، كأنهما لم يلتقيا فى صعيد واحد ، ولم يغلق عليهما باب مخدع واحد باسم الله ، وباسم القانون والعرف الموضوع ... وفى هذه الحالة يجب أن يفهم كل منهما ان الواجب والعقل يقضيان بالاخلاد الى الراحة ، حتى لا يبدآ صفحة علاقتهما الجديدة بداية سيئة ، فالأوفق أن ينتظرا حتى تتجدد القوى ، لكى تكون ذكرى الاتصال الجنسى الأول زادا جميلا دافئا للمستقبل، بما يحمل فى طواياه من الأيام السمان أو الأيام العجاف ..

● أما اذا أخطأ العروسان ومارسا الاتصال الجنسى رغم تعبهما ، لخجل كل منهما خجلا يحول دون مصارحة صاحبه بتعبه واعيائه ، ونجم عن ذلك قصور عن بلوغ المأمول من النشوة ، فيجب ألا يعوقهما ذلك عن محاولة ما هو أحسن وأوفق فى هذا الباب فى ظروف أخرى ، كى لا تفسد تلك المحاولة الفاشلة قابليتهما للمعاشرة الزوجية ...

التحرر من الخجل ..

● وليكن مفهوما قبل كل شىء أنه لا سبيل الى السعادة الجنسية الكاملة بين الزوجين بدون انطلاق وتحرر من الخجل الكاذب . لأن أساس السعادة الجنسية هو الاستسلام للذة الحسية بدون مقاومة أو تمنع ، وطلب ما تحققه تلك اللذة بصراحة وبغير كتمان . ولا ينجح زواج بغير ذلك الشرط . والا صار الزواج شيئا لا لذة فيه بالقياس الى الصلات غير الشرعية ، التى يتحرر فيها الطرفان تحررا تاما فى سبيل ارضاء رغبتهما المشتركة .

● وقد يعسر تحقيق هذا الانطلاق ولا سيما لدى الفتيات ــ والفتيان أحيانا ــ الذين تربوا فى بيئات تحرم على نفسها مناقشة أسرار الحياة الجنسية أو الاشارة الى أى شىء يتصل

بها . فواجب الطرف الآخر فى هذه الحالة أن يحطم هذا « السور » ، سور الخجل غير المرغوب فيه ، حتى يكون امتزاجهما تاما فى موجة حسية واحدة ، ويتحقق ما عنى بالزواج من أنه « جسد واحد للرجل والمرأة » ..

● وأهم وسائل ذلك التحطيم هو التفاهم اللفظى وشرح أسرار اللذة والاتصال الجنسى والتفاعل الذى يحدث فى الأعصاب، بحيث يشرع الزوجان فى ممارسة الاتصال الجنسي ولديهما النية الصادقة لمحاولة نزع كل حياء وتحطيم كل ما يعوق دون الوصول الى الغاية المنشودة ..

● وليعلم الزوجان أن واجب كل منهما أن يربى نفسه وصاحبه تربية جنسية عملية من جديد ، فليست علاقتهما بنت ساعتها ، لهذا يجب أن يروضا جسديهما على التوافق العصبى والحسى ، بحيث يحصلان على أوفى نصيب من المتعة المشتركة .. عن طريق « منح الذات » للطرف الآخر ، فمنح الذات أو الاستسلام - بالمعنى الارادى لا بمعنى الاذعان السلبى - هو ألف باء الزواج الموفق ..

● أما عدم توفر عنصر « المنح » أو « الاستسلام » فانه يؤدى الى عدم اكتراث الرجل ، بمضى الوقت ، بارضاء رغبة المرأة الجنسية ، فيقصر همه على ارضاء رغبته الخاصة فقط من الاتصال الجنسى ... هذا اذا لم ينشد اللذة المتكافئة المتبادلة فى علاقة أخرى خارج نطاق الزوجية ... أو بابدال زوجة بزوجة ، أو بغير ذلك .

● **وينبغى أن يستقر فى الأذهان أن الاتصال الجنسى الكامل بين الزوجين ليس مجرد السفاد البهيمى ، وانما هو تعبير عن عاطفة الحب والاعزاز والامتزاج الوجدانى عن طريق الحركات**

لقصور فى لغة الكلام عن نقل هذا النوع من الاحساس الجياش . فهذا الأساس الوجدانى هو الذى يجعل من الاتصال الجنسى قيمة عاطفية خاصة تعصم الطرفين من طلب اللذة البهيمية فى خارج نطاق الحب الزوجى المشروع .

العش السعيد

● ما من بيت يستحق هذا الاسم ـ اسم البيت ـ اذا كان مجرد مكان تجتمع فيه الأسرة للطعام والشراب والمنام ، كأنه فندق أو خان .. فليس عش الزوجية السعيد أو بيت الأسرة مكانا فحسب ، بل هو موطن نفسى ومسكن ، بمعنى ان النفس تسكن اليه سكون الطفل الى صدر أمه الحنون .. فنحن نعود الى البيت كما تعود السفينة الى المرفأ ناجية فيه من زعازع الانواء فى عرض البحر .. فنلقى اليه بأحمالنا وننسى فيه متاعبنا وننعم فيه بدفء عاطفى قبل الدفء المادى المنبعث من الموقد والمدفأة . ذلك ان فيه شريكنا الروحى ، الزوج أو الزوجة ، وفيه بناء حياتنا المشترك ، ومساهمتنا المتواضعة فى سلسلة النوع البشرى ، ونعنى بهم الأطفال .

● **فمن أراد أن يبنى عش الزوجية السعيد يجب أن يحل هذه الاعتبارات محل الرعاية التامة ، فلا يكتم عن شريكه فى العش سرا ، بحيث يغدو العش كأنه صدر كبير يجد فيه متنفسا عما يضيق به صدره الصغير . ويجد فى قلب شريكه أو شريكته جوابا وصدى لما فى نفسه ، كما تجد الآلة الموسيقية جوابها فى صوت آلة أخرى يحركها عازف ماهر بناء على «نوتة موسيقية» واحدة ... وهذه النوتة الواحدة هى السعادة العائلية ، وهذا العازف الماهر هو الحب بين الزوجين**

زينة الحياة الدنيا

● ولا تتم السعادة حقا الا بثمرة جميلة تتناسب مع جمال العاطفة التى تربط الزوجين . وهـذه الثمرة هى الأطفـال :

فالزوجان المتحابان حبا كاملا ، لا مجرد اشتهاء جسدى سطحى، يميلان حتما لانجاب أطفال هم بمثابة أية حية على هذه العاطفة التى يحسان بحياتها سارية فى حياتيهما وجامعة بينهما فى موجة جنسية ووجدانية واحدة .

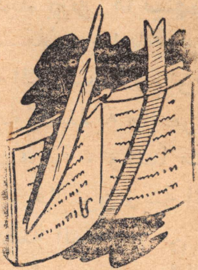
● **والواقع أن انجاب الأطفال عامل تقوية لصرح السعادة الزوجية الحقيقية ، لأنهم يجسمون للزوجين ما فى حبهما من جمال وحياة ، ويكونون بمثابة رباط جديد يوثق ما بينهما من ارتباط .** ولئن برزت بانجاب الأطفال مشكلات جديدة لم يكن لها من قبل ولادتهم وجود .. مثل مسألة النفقات اللازم توفيرها لحاجاتهم ، ومشاكل التربية والعناية المادية كالتغذية والتمريض، فان لهذه المضايقات مقابلا من المتع الجديدة ، ومنها متعة مداعبتهم ، والتلهى بلهوهم ومناغاتهم .. فالبنون زينة الحياة الدنيا ، ولا يعرف مبلغ ما فى هذه الحكمة السامية من عمق الا قلب أب أو قلب أم ... « فلا بهجة لبيت بغير أطفال ، ولا بهجة لحديقة بغير أزهار ، ولا بهجة لحياة بغير حب وتراحم » كما قال دستويفسكى الخالد فى احدى قصصه الرائعة .

النعمة الكبرى

● ولكن النعمة الكبرى فى الحياة الزوجية لا تتم الا بشىء يجب الا ننساه ، وهو الايمان بالله والتوكل عليه ، فهو الذى يلهم الزوجين الحب المتبادل ، ويهديهما سواء السبيل ، ويرزقهما اليسر والرخاء والبنين ، ويسهل ويهون على نفوسهما مشاق الحياة ، وما أكثرها ولا سيما فى هذا الزمن الأخير ...

● **ولا عجب ! فان الحب سر الله فى خليقته ، جمله فى أعيننا وقلوبنا كى يتكاثر الناس ويقبلوا راضين على حمل تبعات الزواج والأسرة وتربية الأولاد ... فالزواج سنته ، والحب حكمته ، والخير غايته وارادته .**

الحياة قصة



روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء ..

فى كتابى السابق قدمت لك فى هذا الباب قصة ستيفان زفايج الخالدة ((أموك)) أو (غرام تحت سماء الشرق) .. واليوم أقدم لك قصة أعتقد أنها سوف تحتل من الادب الحديث مكانة ((روميو وجولييت)) من الأدب القديم .. !

وفى الأعداد التالية ستقرأ فى هذا الباب من كتابى بعون الله أروع ما كتب أساطين القصة العالمية المعاصرين ، أمثال : بورجيه ، كوليت ، زفايج ، موم ، لورنس ، جراهام جرين ، دافنى دى مورييه ، ه . ج . ويلز ، بيرل بك ، همنجواى ، توماس مان .. الخ

أما من القصص ((الكلاسيكية)) الخالدة التى طالما سمعت عنها دون أن تتاح لك فرصة قراءتها فسوف أقدم لك مجموعة منتقاة منوعة ، منها : مرتفعات وذرنج (أميلى برونتى) جين أير (شارلوت برونتى) قصة مدينتين ، دافيد كوبر فيلد ، اوليفر تويست (تشارلس ديكنز) ايفانهو (والترسكوت) صورة دوريان جراى (أوسكار وايلد) سافو (الفونس دوديه) البؤساء ، أحدب نوتردام (فيكتور هوجو) غادة الكاميليا (ديماس) مانون ليسكو (بريفو) مدام بوفارى (فلوبير) نانا (زولا) تاييس (أناتول فرانس) الجريمة والعقاب ، اخوة كارامازوف (دستويفسكى) الحرب والسلم ، انا كارنينا ، البعث ، أنشودة كرويتزر (تولستوى) ... الخ

جون جالزوورثي

قلب عذراء



في يوم العيد الفضي لزواجهما ، انطلق « فرانك أشرست » وزوجته «ستيلا» بسيارتهما الى حيث اقترحت الزوجة أن يحتفلا به في بلدة « توركاى » ، حيث التقيا لأول مرة .. منذ أكثر من ربع قرن !

وكانت ستيللا امرأة ذات طبيعة عاطفية مرهفة ، ما تزال – وهي في الثالثة والأربعين – نعم الرفيقة الظريفة الوفية لزوجها .. وان فقدت منذ بعيد رواء شبابها الباكر الذى خلبت به لب « فرانك » منذ ستة وعشرين عاما : سحر عينيها الزرقاوين ، ونضارة بشرتها العاجية ، ونقاء محياها ، ورشاقة قوامها ، وتورد خديها مثل براعم التفاح .. !

وكانت وهي تقود السيارة في هذا اليوم الجميل من أيام الربيع تتطلع بعينيها الى الطريق المبسوط أمامها ، باحثة عن بقعة مناسبة يتناولان فيها غداءهما قبل أن يواصلا رحلتهما .. بقعة ترضي خيال امرأة هوايتها المفضلة الرسم بالألوان المائية ، وارتياد الأماكن الخلابة ! .. وأخيرا وقع اختيارها على بقعة جميلة تشرف على واد عميق ظليل تحف به أشجار « الصنوبر » الخضراء المورقة ، التي تتضوع بعبير الليمون تحت شمس ابريل الفاترة .. فأوقفت ستيللا السيارة وقفزت منها في مرح ، حاملة صندوق ألوانها .. بينما حمل الزوج سلة الطعام وهبط من الناحية الأخرى ، صامتا .. وفجأة هتفت الزوجة في دهشة : « انظر يا فرانك .. انه قبر ! » .. فقد كانت الى جانب الطريق شبه أكمة صغيرة مكسوة بالخضرة والأعشاب ، طولها ستة أقدام وعرضها قدم واحد ! .. نظر اليها فرانك ، فتحرك الشاعر في أعماقه : قبر في مفرق الطريق ؟ قبر ميت منتحر ؟ يا للبشر وخرافاتهم ! لكن الراقد فيه ينعم على الأقل بالعزلة والسكون ، بعيدا عن جوار القبور الكريهة المزينة بالمظاهر التافهة الجوفاء ! .. فما يحيط بهذا المنفرد وحده هنا من تلك المظاهر شيء .. وانما حسبه هذا الحجر الخشن ، والفضاء الرحيب ، وتحيات العابرين !

ومضى فرانك الى ربوة فجلس وأخرج من جيبه كتابا ليقرأ ، بينما نشرت ستيللا لوحتها ، غير بعيد ، لترسم .. لكن الزوج لم يلبث أن مل القراءة فاستلقى على ظهره ورفع بصره الى السحب البيضاء التى تتمشى على صفحة السماء الزرقاء ، واستغرق في التأمل ! .. انه في يوم العيد الفضي لزواجه يحس بشعور غريب لا يدرى كنهه ! .. شعور هو خليط من الملل ، من حياته الرتيبة .. والأسف ، على آمال غامضة قديمة ، لم تتحقق .. والشوق ، الى مغامرات جديدة ، ومخاطر ومتع غير التى ألفها ! .. لا مفر من الاعتراف بالحقيقة المرة : ان الانسان لا يقنع أبدا ، ولا يسكن الى مرفأ السعادة الدائمة ، ما دامت له نفس مرهفة .. تتذوق الجمال !

المؤلف



وصف « جون جالزورثى » قصته هذه بأنها « من أحسن قصصى ! » .. وأضاف انه مدين بوحيها الى عذراء غضة لمحها فوق تلال « ابرجويسن » سنة ١٩٠٤ .. لكن فكرتها لم تتبلور مع ذكرياته وتجاربه فتولد منها هذه القصة الجميلة من قصص الشباب والربيع والهوى الا فى سنة ١٩١٦ ، وقت أن كان المؤلف يقيم فى بيته الريفى بجهة « ونجستون » .

ولد « جون جالزورثى » فى ضاحية « كومب » – من ضواحى لندن – سنة ١٨٦٧ .. ثم درس القانون فى أكسفورد وبدأ يمارس المحاماة سنة ١٨٩٠ .. لكنه لم يلبث أن « كره المهنة كرها شديدا » على حد تعبيره ، فبدأ يفكر جديا فى احتراف الأدب ، قبل أن يبلغ الثلاثين . وقد نشرت قصته الأولى « جوسيلين » سنة ١٨٩٩ ، باسم مستعار .. ولم يعرف اسمه ويبرز كمؤلف ناجح الا بعد نشر قصته الكبرى « Man of Property » سنة ١٩٠٦ . وقد كانت تلك القصة الحلقة الأولى من سلسلة رواياته المشهورة التى تصور حياة أسرة « فورسايث » المترفة .. واستمر ينشر حلقات تلك الروايات حتى سنة ١٩٢٠ ، وفى هذه الأثناء كتب الى جانبها عددا من المسرحيات القوية التى تدور فكرتها حول العدالة الاجتماعية . وحين عرض عليه أن يمنح لقب « سير » النبيل ، رفض قبوله .. لكنه قبل فى سنة ١٩٢٩ « وسام الاستحقاق » ، الذى لعله أرفع أوسمة الشرف البريطانية . وفى سنة ١٩٣٢ منح جائزة « نوبل » فى الأدب .. ثم مات فى ٣١ يناير من العام التالى ، فحرقت جثته والقى رمادها الى الريح ، كما طلب فى وصيته .. !

وزقزق عصفور فوق شجرة ، وهبت نسمة نشرت أريج الأزهار الراقدة فى أحواضها تتناجى وتتهامس وهى تتلقى قبلات الشمس الدافئة .. وساق الهواء قطيع السحب البيضاء الهائمة فوق التل ، نحو الوادى الحالم .. وفجأة هب « فرانك » جالسا وقد ومض فى ذاكرته خيال غامض : ان هذه البقعة تبدو مألوفة لوعيه ؟ .. بلا شك ! .. هذا التل بعينه ، والطريق الملتوى ، والوادى المنبسط .. كيف لم يذكرها من أول وهلة ؟ .. نعم ،

منذ ستة وعشرين عاما ، فى مثل هذا الربيع ، خرج من المزرعة الصغيرة التى تبعد نحو نصف ميل عن هذا المكان ، كى يقضى النهار فى المدينة ثم يعود .. لكنه لم يعد أبدا !

وانتفض قلبه بألم مفاجىء ! .. داهمته ذكرى طيف من أطياف الحياة العابرة مر بحياته ذات يوم ، لكنه بدلا من أن يقتنص نشوته وجماله ، تركه يمضى مرفرفا بأجنحته وهو يبتعد .. نحـو المجهول ! .. انها ذكرى قديمة ضائعة ، مدفونة فى طيات الماضى ! .. ذكرى عذبة وموجعة ، غص بها قلبه يوما ثم انقضت ، الى غير رجعة !

واستدار « فرانك » مستلقيا على وجهه ، واعتمد ذقنه بيديه ، وحدق - وهو شارد - فى شعيرات الحشائش القصيرة النابتة على بساط الأرض .. وكان هذا ما تذكره :

— ١ —

فى اليوم الأول من شهر مايو ، من ذلك العام - عامه الأخير بالجامعة - انطلق فرانك مع زميله « روبرت جارتون » فى رحلة رياضية سيرا على الأقدام ، قاصدين بلـدة شاجفورد .. لكنهما قبل أن يبلغاها بنحو سبعة أميال أصيبت ركبة فرانك بصدع أعجزه عن مواصلة السير ، فجلسا على أول مقعـد خشبى صادفاه فى الطريق ، يستريحان ويثرثران ، فيما يثرثر فيه الشباب .. كان كلاهما فارع الطول ، نحيل القوام ، يجمعه وصاحبه ميلهما المشترك الى الأدب ، وخواطره ، وأحاديثه

وقال جارتون لصديقه : « يا عزيزى ، ما الشفقة الا أثر من آثار مغالاة الشخص فى شعوره بذاته .. وهى « مرض » أصاب العالم فى الخمسة آلاف سنة الأخيرة .. أما قبل هذا التاريخ فقد كان العالم أسعد حالا بغيرها !

فأجابه فرانك وهو يلاحق السحب ببصره :

- بل ان الشفقة هى اللؤلؤة التى تتحلى بها النفس !

- أنت مخطىء .. فان كل شـقائنا العصرى ينبع من الشفقة .. أنظر الى الحيوانات ، والهنود الحمر ، الذين تنحصر حواسهم فى الشعور بمتاعبهم الخاصة وحدها .. ثم انظر الينا نحن البشر المتحضرين ، لا نكاد نستريح لحظة من مشاركة الآخرين آلامهم ! .. فلنحاول أن نعود القهقرى الى العصور

القديمة ، فلا نشارك أحدا شعوره ، كيما نستمتع حقا بحياتنا .. !

ـ انك لن تستطيع .. !

ـ لكى ينضج الانسان النضج الكامل ينبغى أن لا يكون رقيق الاحساس ، ومن الخطأ أن يحرم المرء نفسه من العواطف .. فكل عاطفة انما تزيد من ثروة النفس !

ـ واذا كانت العاطفة منحرفة ، مضادة لمبادىء الشرف ؟

ـ أوه ، هذه مغالاة فى المثالية .. فأنت اذا تحدثت عن العاطفة انصرف الذهن توا ـ ولا سيما هنا فى انجلترا ـ الى انك ترمى بها الى متعة جسدية ، فيصدم منك فورا .. نحن هنا نخشى العاطفة ، لكننا لا نخشى الشهوة .. ما دمنا نستطيع كتمانها !

لم يجب فرانك ، وانما تناول زهرة زرقاء جعل يتأملها .. وزقزق عصفور على شجرة .. فقال جارتون : « فلنمض لنبحث لأنفسنا عن مزرعة نستطيع أن نستريح فيها بعض الوقت » .. وكان هو ينطق بهذه العبارة قد **لمح فتاة قادمة من بعيد تهبط التل وفى يدها سلة ، والهواء يعبث بثوبها فيرفعه عن ساقيها .. وكان قميصها ممزقا ، وحذاؤها باليا ، ويداها الصغيرتان خشنتين ، ورقبتها قد أوحتها الشمس .. وشعرها القاتم يتماوج فى غير نظام فوق جبينها العريض .. وكان وجهها قصيرا مستديرا ، وشفتاها قد شقتا عن صف من الأسنان اللؤلؤية ، وأنفها مستقيم ، وأهدابها طويلة فاحمة .. على أن المعجزة كانت عيناها الغبراوان ، النديتان كأنهما شقتا لأول مرة فى ذلك اليوم !**

ولم يملك فرانك الا أن يحدث نفسه : « يا للجمال ! » فقد كان بفطرته يتذوقه دون أن يفكر فى مدى استطاعته استغلاله ! .. ولعل نظرته الصافية الى الفتاة قد اعجبتها ، أو لعل سيره الأعرج بتأثير اصابة ركبته قد لفتها اليه ، فبادلته نظرة بنظرة .. ورفع هو يده الى رأسه محييا ، وابتدرها

متسائلا :

ــ هل لك أن ترشدينا الى مزرعة نستطيع أن نقضى فيها الليلة .. ان ساقى مصابة كما ترين .

فأجابت دون خجل ، فى صوت ناعم عذب :

ــ لا يوجد هنا غير مزرعتنا ، القريبة من هنا .

ــ وهل تستطيعين ايواءنا الليلة ؟

ــ أعتقد ذلك ..

فتبعها فرانك صامتا يعرج .. بينما أخذ منه جارتون دفة الحديث .. فراح يمطر الفتاة بأسئلته . وخرج من اجاباتها بأن المزرعة التى تقودهما اليهـا تخص عمتها الأرملة وأبنائها الثلاثة .. وهنا تدخل فرانك فى الحـديث فسـأل الفتاة عن اسمها وسنها ، فأجابت بأنها تدعى « ميجان دافيد » ، وأنها فى السابعة عشرة ..

وانحدر ثلاثتهم مخترقين الغابة الصغيرة ، فلم يلبثوا أن وجدوا أنفسهم أمام المزرعة .. وكان المسكن الذى بها حجريا ، من طابق واحد وعدة غرف ، يحيط به فناء فيه خنازير ودجاج وفرس عجوز .. والى الخلف منه ربوة مكسوة بالحشائش ، تنتثر فيها بضع من شجيرات الشوح .. وفى مواجهته بستان عتيق من أشجار التفاح التى بدأت براعمها تتفتح للموسم الجديد ، ينحدر الى جدول ماء وأحراش ضارية فسيحة ..

وأمام باب البيت الريفى عرفت ميجـان الضيفين بعمتهـا « مسز ناراكومب » ، وكانت امرأة ذات عينين قاتمتين حادتين ، كعينى البطة المتوحشة .. فقبلت ايواء الشـابين ، على أن يقتسما غرفة واحدة ، ثم أوصت الفتاة بأن تعد لهما الشاى والقشدة ..

وانفلتت ميجان نحـو داخل البيت ، مارة تحت شـبه « تكعيبة » من أشجار « السدر الجبلى » ، بينما دعت عمتها الضيفين للدخول الى الردهة ، التى كانت ــ بأرضها المصنوعة من القرميد ومحتوياتها المؤلفة من مائدة عارية وبضعة مقاعد وكنبة ــ

تبدو من فرط نظافتها كأنها لم تستعمل قط ! .. ثم استفسر فرانك عن أقرب جدول يستطيعان أن يستحما فيه ، فأرشدتهما صاحبة المزرعة الى طريقه ..

ومضى الشابان الى الجدول ، وكانت أغصان شجرة تفاح عتيقة متدلية تكاد تلامس ماءه ، وقد تعرت فى ذلك الفصل من السنة من أوراقها وبدأت تنبت فيها براعم الثمار الجديدة القرمزية .. وكان الجدول أضيق من أن يتسع للشابين ، فانتظر فرانك دوره وهو يدلك ركبته ويتأمل الأحراش الضارية الممتدة أمامه ، وقد انتثرت فى أرجائها الصخور والشجيرات الشائكة والأزهار البرية .. كان كل غصن يتأرجح مع الريح ، وكل طائر يغرد ، وقد نثرت الشمس أشعتها من خلال الأغصان فبدت على الحشائش أشبه بالدنانير الذهبية .. فانطلق خيال فرانك يفكر فى أشياء كثيرة مختلطة ، تراءى له من خلالها وجه العذراء ذات العينين الندبتين .. فأحس بسعادة غامضة ترفرف فى أعماقه !

— ٢ —

وحين عاد الشابان الى البيت كان الشاى قد أعد ، فتناولاه مع وجبة من البيض والقشدة والمربى والكعك المخلوط بالزعفران .. وحين فرغا منه نهض جارتون فاسترخى على أحد المقاعد يدخن سيجارة ويثرثر ، بينما اضطجع فرانك على الكنبة ووضع بين شفتيه غليونا .. لكنه لم يصغ الى صاحبه ، وانما جعل يستعيد فى خياله وجه الفتاة حين أحضرت قالب الكعك ! .. كان وهو ينظر اليها كأنه ينظر الى زهرة ، أو الى منظر آخر جميل من مناظر الطبيعة .. لكنها لم تلبث أن خفضت بصرها وهى ترتجف رجفة خفيفة ، ثم انسرقت من الغرفة فى هدوء كالقطة .. !

وقال جارتون : « فلنذهب الى المطبخ لنراها .. »

كان المطبخ « غرفة » نظيفة مدهونة بالطلاء الأبيض ، وعلى قاعدة نافذته أصص بها أزهار .. وعلى الجدران علقت أشياء مختلفة لاصلة بينها : بنادق للصيد ، ومجموعة من الأوانى

والأطباق الخزفية ، « والتنك » ، « والكيزان » .. وصورة للملكة فيكتوريا .. وفى وسط المطبخ مائدة طويلة ضيقة من الخشب البسيط ، قد صفت عليها الأوانى والأطباق والملاعق ، وامتد فوقها حبل علق به « عقـد » من البصل ! .. وقبع فى الأركان كلبان من كلاب رعاية الماشية ، وثلاث قطط .. والى جانب المدفأة المطفأة جلس صبيان كسولان ، طيبا القلب . والى الجانب الآخر شاب بدين أشقر الوجه والعينين يعبث ببندقية . وبينهم جلست مسز ناراكومب تحرك اناء على النار فاحت منه نكهة الطعام الشهية .. وفى أحد أركان المكان شابان ، بعيون حولاء وشعر قاتم ، يتأرجحان بمقعديهما متكئين على الحائط ، ويثرثران معا .. والى جوار النافذة رجل متقدم فى السن ، قصير القامة ، يطالع صحيفة ..

وكانت الفتاة « ميجان » هى المخلوقة الوحيدة النشطة فى المكان ، تنتقل حول المائدة حاملة آنية بها عصير التفاح ، تصب منها قدرا فى كل قدح ..

واذ رأى جارتون القوم يشرعون فى تناول طعامهم ، قال : « معذرة .. سنعود حين تفرغون من العشاء . » .. ثم انسحب مع زميله ، هامسا له : « هـذه الفتـاة تصلح هدفا لدراسة سيكلوجية ماكرة ! » .. لكن فرانك أحس بالحنق على فظاظة صاحبه ، وحدث نفسه : « دراسة ماكرة ؟ انها زهرة برية .. مخلوقة يستريح النظر اليها .. »

واستطرد جارتون : « انها لا بد تكون ممتعة من الناحية العاطفية ! .. لا ينقصها غير من « يوقظها » .. ! » .. فأجابه فرانك متسائلا : « وهل تنوى أن توقظها ؟ » لكن جارتون اكتفى بأن نظر اليه ، وابتسم ! .. فنفض فرانك غليونه مغيظا ، وهو يحدث نفسه : « يوقظها ! .. يا لغرور هذا الأحمق ! » ونهض ففتح النافذة وأطل منهـا .. كانت عتمة الغسق قد تكاثفت ، فلم يبد من مبانى المزرعة وأحراشها غير أشباح ، ومن أشجار التفاح غير ظـلال قاتمة .. وكان عصفور قد تأخر عن رفاقه

فى العودة الى عشه ، فأطلق زقزقة مرتعشة ، كأنما العتمة قد فاجأته ! ونعقت بومة فوق شجرة .. ومن الحظيرة سمع صهيل حصان يتناول وجبته منتشيا .. وبعيدا فوق الأفق كانت النجوم الخجلى تتلامح وتتوامض فيثقب نورها الذى لم يكتمل بعد رقعة السماء العميقة الزرقاء .. فجرع فرانك من النسيم العذب نفسا عميقا .. يا لها من ليلة يحلو التجوال فيها !

ومد يده الى خارج النافذة ، فأحس بالندى يرطب راحته .. وفجأة انبعث من حجرة أخرى ضجيج الأولاد وهم يخلعون أحذيتهم ويلقونها استعدادا للنوم ، وصوت الفتاة الناعم الحلو يقول لأحدهم : « كلا يا (ريك) ، لن أسمح لك بأن تأخذ القطة فى أحضانك أثناء النوم ! » .. ثم تزايدت الجلبة والهرج ، ورن صوت صفعة ناعمة ، أعقبتها ضحكة عذبة خافتة ، جعلت فرانك يرتجف رجفة خفيفة ، غامضة ! .. ثم اختفى ظل الشمعة التى كانت فى مخدع الأولاد ، وساد السكون .. فتراجع فرانك عن النافذة ، وقد آلمته ركبته ، وقبضت قلبه وحشة كئيبة .. وقال لصديقه : « اذهب أنت الى المطبخ ان شئت ، أما أنا فسأمضى لأنام ! »

— ٣ —

كان النوم يستجيب لأجفان فرانك عادة فى سهولة وخفة .. أما الليلة ، فرغم انه بدا غارقا فى النعاس حين لحق به زميله بعد حين ، فانه كان فى الواقع أكمل ما يكون يقظة ! .. وحتى بعد أن هدأت حركة جارتون فى فراشه المجاور ، وراح فى السبات ، ظل فرانك يسمع نعيق البوم ! .. ماذا يؤرقه ؟ .. ان هموم الحياة لم يكن لها أدنى نصيب من تفكير هذا الشاب ، بل انه لم تكن له هموم على الاطلاق .. فلقد تخرج وقيد اسمه فى جدول المحامين ، وكان له ايراد خاص ورثه عن أبويه .. ثم انه كان وحيدا فى الحياة ، حرا طليقا ، بلا أب ولا أم ، ولا أخوة .. !

أم لعل الذى يؤرقه اذن أن الفراش غير مريح ؟ .. وجعل يجرع أنفاس الليل العطرة التى تسللت اليه من النافذة ، القريبة

من رأسه .. وكانت أفكاره كلها ورؤاه التى تدور فى رأسه فى تلك اليلة ، رفيقة ، لينة ، هينة .. تروح وتجىء بين التوافه التى مرت عليه منذ الصباح ، فى رحلته ، ونقاشه مع زميله .. وبين هذه المزرعة ، وأهلها ، ووجه الفتى الأشقر .. ووجه الفتاة الندى ، السمح ، البسيط ... وأخيرا ، وسط مربع الظلمة المطلة عليه من اطار النافذة ، لاح الفجر مقبلا .. وسمع نعيبا خشنا متناوما ، لغراب .. ثم عاد السكون الشامل من جديد .. حتى قطعه تغريد بلبل ما يزال النعاس يبين فى صوته الفاتر ..

ومن طول تحديق « فرانك » فى ضوء النهار المتزايد ، سرقه النعاس من وعيه .. !

•

وحين استيقظ فى الضحى كانت ركبته متورمة تؤلمه ! .. وبدا بوضوح أن رحلة الزميلين سيرا على الأقدام قد قطعت نهائيا عند هذا الحد . وكان على « جارتون » أن يصل الى لندن فى الغد .. فرحل عند الظهر مودعا زميله بابتسامة ماكرة، تركت فى نفس فرانك ندبة من الانفعال ، لم تلبث أن التأمت بمجرد اختفاء ظله وراء ربوة المزرعة !

ولبث فرانك طيلة النهار مريحا ساقه المصابة على حاجز مقعد خشبى كبير ، فوق رقعة الحشائش الزاهية التى تظللها شجرة السدر الجبلى العتيقة .. ونفحة من عطر البراعم العبقة المتفتحة تداعب أنفاسه .. وبقى على هذا النحو سحابة النهار : يدخن ، ويحلم ، ويتأمل ...

وبين حين وحين كانت مسز ناراكومب ، أو « ميجان » ، تأتى لتسأله عما اذا كان يبغى شيئا ، فيجيب بالسلب ، معربا عن امتنانه واستمتاعه بجلسته .. وقرب موعد تناول الشاى أقبلت الاثنتان معا تحملان اناء به كمادة ساخنة ، وضعتاها على ركبته المتورمة بعد جهد .. **وحين انصرفتا لبث فرانك يفكر فى تنهدة الفتاة الناعمة ، وعينيها المشفقتين ، والتقطيبة الرحيمة التى تغضن حاجبيها .. فعاوده احساسه بالغيظ من زميله الساخر الذى قال فيها ما قال .. !**

وحين جاءت تحمل اليه الشاى ، سألها : « هل أعجبك صديقى ياميجان ؟ » .. فزمت من شفتها العليا ، كأنما خشيت أن تبتسم فتكون خرجت على أدبها .. وأجابت : « انه شخص فكه ، أضحكنا جميعا .. أعتقد أنه بارع للغاية . »

ــ وماذا قال ليضحكك ؟

ــ قال انى « من بنات الشعراء الأقدمين ! » .. ماذا يعنى؟

ــ انه يعنى انك الفتاة التى كانوا يتغنون بها فى أشعارهم !

فزوت حاجبيها وقالت : « لا بد أنه يمزح ، فهل أنا كذلك ؟ »

ــ أتصدقيننى اذا صارحتك برأيى ؟

ــ أوه ، بلا شك ..

ــ اذن فأنا أعتقد أنه كان على حق !

فتورد وجهها قليلا ، وأجابته متجاهلة قوله : « أرجو أن تشرب شايك ، فانه يوشك أن يبرد .. هل أحضر لك قدحا ساخنا منه ؟ » .. فشكرها وهو يحدث نفسه : « انك لفاتنة حقا ! » .. وود لو يتناول يدها فيضغطها فى رفق ، لكنة قمع رغبته ! .. وحين ذهبت استسلم لشرود عذب، تنبه منه حين رأى ذلك الفتى الأشقر ــ ابن عم الفتاة ــ واقفا أمام باب الحظيرة يعبث ببندقيته متجهما ! .. فلما رأى فرانك ينظر اليه مضى يعبر الفناء متباطئا حتى اختفى وراء الباب المفضى الى المطبخ .. فأحس الضيف بانقباض غامض ! .. انه يرغم حسن نواياه يجد صعوبة فى التفاهم مع هؤلاء الفتية ! .. وعادت به أفكاره الى ميجان : انها جوهرة هؤلاء القوم ، وهى تبدو كما لو خلقت لتكون سيدة رفيعة المقام ، برغم أنها لم تتلق من العلم أكثر من مبادىء القراءة والكتابة !

وهنا أقبل الرجل المسن ، الذى كان بالأمس يقرأ الصحيفة فى المطبخ ، يسوق عددا من الأبقار الى حيث تحلب .. ولحظ فرانك انه أعرج .. فلما اقترب منه تبسط معه الشاب فى الحديث عن ابقاره ، وعن ساقه التى أصيبت بالعرج منذ

عشر سنوات . ثم مضى « جيم » متمنيا للفتى شفاء ركبته ..

وفى المساء ، بعد أن تناول الضيف عشاءه المكون من البط البارد ، ولبن الزبادى ، وعصير التفاح ، جاءته ميجان تقول : « عمتى ترجو منك أن تذوق قطعة من كعكتنا الجديدة .. »

— هل أستطيع أن أتناولها معكم فى المطبخ ؟

— أوه ، نعم .. لابد أن فراق زميلك قد أضجرك .

— أبدا .. ولكن هل أنت واثقة من أن جلوسى بينكم لن يضايق أحدا ؟

— يضايق من ؟ بالعكس ، انه سوف يسرنا ..

فنهض فرانك ليتبعها ، لكن نهوضه كان بحركة مفاجئة آلمته فى ركبته المتصلبة ، فترنح ثم تهاوى على مقعده .. **فشهقت الفتاة شهقة خافتة ومدت اليه يديها ، الصغيرتين ، السمراوين، فتناولهما — وبكل جهد قمع رغبته فى أن يرفعهما الى شفتيه ! — ثم تركها تعينه على النهوض ، وقد اقتربت من جانبه وقدمت له كتفها ليستند عليها .. ومضيا الى الداخل ، لكنه كان من الفطنة وحضور الذهن بحيث تناول عصاه من على المشجب أثناء مرورهما — ليتكىء عليها — وسحب يده من كتف الفتاة قبل أن يصلا الى المطبخ ! .. لكنه لم يستطع أن ينسى شعوره بأن تلك الكتف كانت أرق شىء لمسه فى حياته .. ! !**

وفى تلك الليلة نام نوما غزيرا .. ثم استيقظ فى الصباح وقد زال ورم ركبته تقريبا . وقضى ضحى اليوم فى مقعده الخشبى المريح فوق الحشائش ، يرسم بعصاه عليها أبياتا من أشعار الغزل ! .. لكنه فى العصر ذهب يتجول قليلا مع الصبيين « نك » و « رك » بعد عودتهما من المدرسة ..

كان أحدهما فى السادسة ، والآخر فى السابعة . وكانا شقيين أسمرين ثرثارين .. فلم تأت الساعة الرابعة حتى كانا قد أريا فرانك « عينات » كافية من شقاوتهما ، وأساليبهما الساذجة فى مداعبة الأسماك فى الجدول ، وكان هو قد جلس على صخرة قريبة يرقبهما ..

لكن أكبرهما « نك » جاءه بعد برهة يقول : « أتعلم ؟ أن (غول الفجر) يجلس فوق هذه الصخرة ! »

ـ ماذا يكون (غول الفجر) هذا ؟

ـ لا أعرف ، فأنا لم أره قط . لكن « ميجان » تقول انه يجلس هنا ، وقد رآه العم « جيم » يوما .. ويقولون انه كان جالسا على هذه الصخرة فى الليلة السابقة لموت أبى على أثر سقوطه من حصانه الجامح ! .. وكان الغول يعزف على «الكمان»!

ـ وما شكله ؟

ـ انه أسود ، ويقول العم جيم انه دائم التجول هنا ، لكنه لا يظهر الا فى الليل ! هل تظن أنه يريد اختطافى ؟ ان ميجان تخاف منه !

ـ وهل رأته ؟

ـ كلا .. لكنها لا تخاف منك أنت ، بل تصلى من أجلك !

ـ وكيف عرفت ذلك أيها الشقى ؟

ـ بعد أن أغمضت عينى سمعتها تقول هامسة فى صلاتها : « يا رب باركنا جميعا ، وبارك مستر فرانك أيضا »

ومضى الصبى يثرثر عن طريقة سلخه للأرانب والضفادع ، لكن الشاب كان شاردا بذهنه عنه ، يفكر فى هذه العبارة : « يا رب باركنا جميعا ، وبارك مستر فرانك أيضا ! »

●

وعندما جاءته « ميجان » بالشاى تلك الأمسية ، سألها فرانك عما سمعه بشأن « غول الفجر » ، محاولا اقناعها بعدم صحة تلك الخرافات ، لكنها أصرت على اعتقادها بأن الغول المذكور هو من أشباح الموتى القدماء ! .. فقال الشاب انه سيمضى الى الغابة فى الليل ليبحث عن ذلك الغول ويتحدث معه ، ويجلس على صخرته ! .. لكن الفتاة هتفت به وهى تضم يديها ضارعة : « أوه ، كلا ، بربك لا تذهب .. أتوسل اليك ! »

ـ لم لا أذهب ؟ وماذا يحدث لو أصابنى سوء ؟

لم تجب ! .. فاستطرد مداعبا : « على أية حال فانى لن

أراه ، لأنى سأسافر قريبا » . . فسألته ملهوفة : « قريبا ؟ » . .
فأجابها : « أحسب عمتك لا تريدنى أن أبقى طويلا ! » . .
فاستدركت : « بل لقد اعتدنا أن نؤجر غرفا للغرباء فى الصيف! »

وهنا ثبت الشاب ناظريه على محياها ، وسألها :

ـ هل تحبين أن أبقى ؟

ـ نعم .

ـ اذن فسأبقى . . وسأصلى من أجلك . . الليلة !

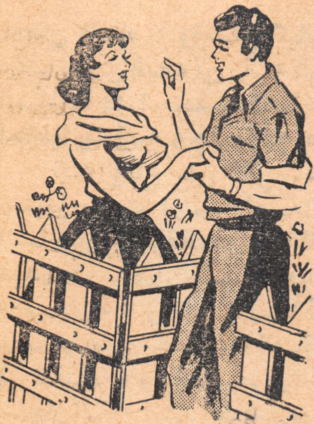
احمر وجه الفتاة كالقرمز ، وقطبت،ثم خرجت من الغرفة . .
فندم على تسرعه وجعل يلعن حماقته . أحس كأنه وطأ بقدمه الثقيلة حوضا من الأزهار اليانعة ! . . لم نطق بهذا القول السخيف ؟ أهو شاب أخرق من شبان المدينة الوقحين ، أمثال زميله جارتون ، كى يخطىء فى فهم نفسية هذه العذراء النقية ؟

— ٤ —

قضى فرانك الأسبوع التالى مواصلا استجمامه من أجل ساقه ، قانعا بجولات قصيرة فى الغابة والمنطقة المحيطة . . وقد أحس كأنه يصادف الربيع لأول مرة فى حياته ! . . فما رأى الطبيعة بهذا الجمال من قبل ، ولا بدت له روعة الأرض والسماء ، والطير والشجر ، على هذه الصورة الساحرة ! . . انه ربيع يختلف عن كل ربيع مر به . . لأنه ربيع ينبع من أعماقه ، لا من الطبيعة !

ولم يكن يرى أفراد الأسرة خلال النهار الا لماما . أما ميجان فكانت تحضر له طعامه ثم تمضى بعد لحظات ، من فرط انهماكها فى أعمالها البيتية ! . . لكن الحال كانت تختلف فى المساء . كان يجلس الى نافذة المطبخ يدخن ويثرثر مع الكهل الأعرج « جيم » ، أو مع العمة ناراكومب . . بينما الفتاة تحيك الثياب أو تعد المائدة . . لكنه كان يحس أحيانا بعينيها ، الغبراوين النديتين ، ترمقانه خلسة بنظرة ناعمة دافئة !

وذات مساء ، وكان يوم أحد ، كان مضطجعا فى الحديقة يصغى الى تغريد الطير ، وينظم قصيدة حب ! . . حين سمع



بوابة البيت الخشبية تفتح وتقبل الفتاة منها تعدو بين الأشجار ، وذلك الفتى الأشقر « جو » يعدو وراءها .. حتى انتهت المطاردة على بعد عشرين مترا منه ، فوقف الاثنان متواجهين — دون أن يتنبها الى الغريب المستلقى على الحشائش — ومال الفتى على الفتاة ، لكنها دفعته عنها وقد ارتسم على وجهها الغضب والانزعاج .. وهنا لم يقو فرانك على احتمال الموقف فنهض واقفا ، واذ ذاك رأياه .. فسقطت ذراعا الفتاة الى جانبها وتوارت خلف جذع شجرة ، بينما أطلق الفتى « خوارا » غاضبا وانفلت عائدا من حيث أتى !

ومضى فرانك متباطئا الى حيث وقفت ميجان تعض شفتها ، مطرقة برأسها ، وقد انسدل شعرها الفاحم على كتفيها فى اهمال فبدت آية فى الفتنة ! .. وابتدرها : « أرجو معذرتك .. » فرفعت اليه عينيها الواسعتين ، فى صمت ، ثم استدارت مبتعدة ! .. لكنه تبعها هاتفا : « ميجان ! » وتناول ذراعها فأدارها نحوه فى رفق .. فقالت معاتبة : « لم سألتنى الصفح ؟ كان ينبغى أن توجه كلامك الى غيرى !

— تعنين الى ذلك الفتى « جو » ؟

— كيف جرؤ أن يتبعنى ؟ !

— أحسبه يحبك !

فدقت الأرض بقدمها حانقة .. واذ ذاك تناول فرانك يديها فى يديه . لكنها أجفلت .. وكانت ظلال براعم التفاح تسبغ ظلالها الوردية على وجه الفتاة المنفعل ، فرفع الشاب احدى يديها الأسيرتين ، ووضع عليها .. شفتيه ! وفجأة توقف

اجفال الفتاة ، واختلج كيانها نحوه ، فأحس فرانك بدفء عذب يسرى فيه ، من رأسه الى قدمه : اذن فهذه العذراء الرقيقة الساذجة قد استعذبت لمسة شفتيه !.. وخضوعا لنزوة مباغتة أحاطها بذراعيه وجذبها نحوه ، ثم قبل جبينها .. !

لكنه ارتاع على الأثر .. فقد شحب وجهها ، وأغمضت عينيها بحيث ارتمت أهدابها الطويلة الفاحمة على خديها الشاحبين ، وسقط ذراعاها الى جانبيها .. بينما أرسل ملمس صدرها رعدة فى جسمه ، فهتف بها هامسا فى شبه حشرجة : « ميجان ! » وأخلى سبيلها ! .. وفى السكون الشامل زقزق عصفور بعيد ، فتناولت الفتاة يده وألصقتها بخدها ، ثم قلبها ، ثم شفتيها ، وقبلتها بحرارة ! .. ثم انفلتت هاربة بين جذوع أشجار التفاح حتى اختفت عن ناظريه .. !

●

جلس فرانك على جذع شجرة عتيقة يكاد يمتد محاذيا للأرض ، وأخذ يحدق فى الفضاء ، حائرا ، منفعلا .. ماذا فعل ؟ كيف ترك الجمال يغويه ؟ .. أم لعله الربيع ؟ وأحس بسعادة غامضة ، يخالطها شىء من لذة الظفر ، وشىء من القلق ! .. ترى ، بداية ماذا .. هذه ؟ .. وبدا الربيع حواليه كأنه ازداد روعة وحياة : أغاريد الطير ، وبراعم التفاح ، وقرص الشمس الغاربة .. فنهض ينشد الخروج من الغابة ، الى فضاء أرحب ، يتسع لهذه الأحاسيس الجديدة التى يفيض بها كيانه .. !

لقد أحب من قبل ، أكثر من مرة .. أحب فى صباه مربيته ، ثم زميلاته فى فصول الرقص ، ثم فتيات أخريات فى العطلات الصيفية .. ولكن لا كهذا الحب ، المروع فى متعته ، الذى أحسه وهو يتناول بين أصابعه هذه الزهرة البرية ، ثم وهو يرفعها الى شفتيه ، ويحسها تنتفض نشوة بازائه !.. أى ثمل ، وأى .. ارتباك .. يشعر به الآن ؟ كيف يواجهها فى المرة القادمة ؟ ان قبلته الأولى كانت باردة ، مشفقة .. لكن التى تليها لن تكون كذلك ، بعد أن عرف الآن من قبلتها المحرقة على يده ، وضمتها لراحته

الى قلبها ، انها .. تحبه !

وشملته عتمة الغسق ، دون أن يتنبه .. حتى شعر ببرودة الجو تسرى الى عظامه ، فنهض عائدا ادراجه .. وحين دنا من البيت أشعل ثقابا ونظر الى ساعته : الثانية عشرة ! .. فمضى يغذ السير ، وغمغمة الماء المترقرق فى الجدول تدغدغ سمعه ، واشباح الماشية فى الفناء تتراءى له فى ضوء القمر الباهت، كقطيع من السحب المتلاصقة قد هبط من السماء ! .. حتى بلغ البوابة الخشبية ففتحها فى رفق ، ودخل الحديقة .. ورفع بصره دون وعى الى نافذة ميجان .. كانت مفتوحة ، وهى واقفة فيها ! **وهمس لها منتشيا : ((ميجان !)) ، فانحنت على افريز النافذة، مدلية ذراعها اليه بشىء .. وتسلق اليها المقعد الخشبى ، حتى التقت يداهما ، بكل جهد ! .. كانت تطوى قبضتها على مفتاح الباب الأمامى للبيت ، فضغط فى يده يدها الساخنة ، واستطاع أن يرى ـ بصعوبة ـ وجهها المعتم ، تبرق فيه أسنانها بين شفتيها ، وحوله هالة شعرها المرسل ! .. وكانت ما تزال مرتدية ثيابها ـ يا للطفلة المسكينة ، لقد انتظرته طويلا ! .. وتشبثت أصابعها الملتهبة براحة يده ، وومضت فى عينيها نظرة غريبة ضائعة . ما أمتع أن يصل اليها ، ولو بأطراف أنامله ! ..**

ونبح كلب من كلاب المزرعة ، فتراخت قبضة الفتاة ، وتراجعت خائفة ..

ـ طابت ليلتك يا ميجان !

ـ طابت ليلتك ..

وتسلل على أطراف قدميه الى مخدعه ..!

— ٥ —

واستيقظ على صباح جميل .. ان الربيع الذهبى قد انبثق فجأة فى سواد الليل ، فاذا براعم التفاح تكسو الأرض ببساط كأنه القطن المندوف ! .. وهبط الشاب من غرفته وهو يشفق من لقاء ميجان .. ورغم ذلك فانه حين احضرت له الافطار عمتها بدلا منها ، أحس بخيبة أمل .. وتقاذفته الهواجس : ترى هل

لاحظت العمة شيئا ؟ وخيل اليه انها تحدجه بنظرة خاصة ، وتكلمه بلهجة غير مألوفة ! فمضى يحدث نفسه : « كلا ، يجب أن أنجو بنفسي من هذا الموقف الشائك ! »

لكنه لم يفرغ من افطاره حتى عاد شوقه الى رؤية ميجان يلح عليه ، ويتزايد كل لحظة ! ٠٠ وقصيدة الشعر التى نظمها فيها فى اليوم السابق ، قرأها الآن ٠٠ فمزقها ! ماذا كان يعرف هو عن الحب ، قبل أن تختطف ميجان يده ، وتقبلها ؟ وماذا لا يعرفه هو الآن عنه !؟ ٠٠ ومضى الى غرفتــه ليحضر كتـابا ينسيه أشواقه ، لكنه لم يقترب من الباب حتى لهثت دقات قلبه : انهـا فى الداخل ، ترتب فراشه ! ٠٠ ووقف يرقبهـا صامتا ٠ وكم كانت نشوته حين رآها تتناول وسادته فتطبع عليها قبلة طويلة ، فى مكان رأسه !

ثم اسـتدارت لتخرج ، فاذا هى وجهـا لوجه أمامه ! ٠٠ ورفعت يديها الى خديها مرتاعة ، ثم تمالكت نفسها ٠٠ والتقت نظراتهما ! كيف لم يتنبه من قبل الى هذا العمق ، والنقاء ، والوفاء الخالص ، الذى تكنه له هاتان العينان النديتان ؟ وذكر قبلتها للوسادة ، وجاشت نفسه ٠٠ فمد يديه حول ذراعيها ، فاستكانت بينهما ! ٠٠ ولثم عينيهـا بشفتيه ، وهو يحـدث نفسه : ((بالأمس كان الأمر مفاجئا ، أما اليوم ٠٠ ؟)) ٠٠ وتركت الفتاة شفتيه تستريحان على جبينها ، لكنهما لم تلبثا أن تدحرجتا ، حتى بلغتا شفتيها ٠٠ !

ترى فى أى قلب تركت تلك القبلة ـ قبلة الحب الأولى ـ أثرا أكبر ، وزلزلة أعنف ؟ ٠٠ وهمس الشاب لاهثا وشفتاه على خد فتاته : « تعالى الى شجرة التفاح الكبيرة ، الليلة ٠٠ بعد أن ينام الجميع ٠٠ ميجان ، عدينى ! » ٠٠ فأجابته وفمها على أذنه : « أعدك ! »

وتركها تمضى ٠٠ وخرج هو الى مقعده المختار فى الحديقة فجلس عليه ، وشرد عما حوله ، محدقا فى الفضاء بنظرة تائهة ٠٠ تتجاذبه فرحة النصر ، وحسرة النـدم وتوبيخ الضمير ! انه

قد تورط الآن ، قبل من الفتاة حبها ، وصارحها بحبه ٠٠ ولكن ، ماذا بعد ؟

ولم يدر كم من الوقت طال استغراقه فى أفكاره هذه ٠٠ حتى تنبه منها فاذا الفتى الأشقر « جو » واقف الى الخلف منه قليلا ، ناحية اليمين ، يحدجه بنظرة ثابتة ! ٠٠ فابتدره فرانك فى لهجة تهكم : « هل من شيء أستطيع فعله من أجلك يا جو ؟ »

ـ نعم ٠ تستطيع أن تذهب من هنا ، فنحن لا نريدك !

ـ هذا جميل منك ، لكنى أفضل أن أسمع هذا الرأى من الآخرين ٠

واذ ذاك دنا الفتى منه خطوة أخرى أو خطوتين ، وأردف : « لماذا تبقى هنا ؟ » ٠٠ فأجابه فرانك فى برود :

ـ لأن البقاء يروق لى !

ـ لكن الأمر لن يروق لك حين أحطم جمجمتك !

ـ حقا ؟ ومتى تحب أن تفعل ذلك ؟

لم يجب « جو » بغير أنفاسه المسموعة ، اللاهثة من الانفعال ، لكن عينيه بدتا أشبه بعينى ثور غاضب ٠٠ ثم تقلص وجهه على نحو مخيف وهو يستطرد : « أن ميجان لا تريدك ! »

وهنا لم يملك فرانك سورة الغيرة والاحتقار والغضب التى اجتاحت قلبه ، فهب واقفا ورفص المقعد بقدمه الى الوراء صائحا : « فلتذهب الى الشيطان ! » ٠٠ لكنه لم يكد ينطق بهذه الكلمات حتى لمح ميجان قادمة تحمل بين ذراعيها « جروا » صغيرا ، وابتدرته قائلة : « أنظر ! ان عينيه زرقاوان ! » .. فاستدار جو وانصرف محنقا ٠٠ بينما داعب فرانك الكلب الصغير الذى قبع مستكينا على صدر الفتاة ، وقال وهو ينظر فى عينيها : « لقد أولع بك سريعا .. كل المخلوقات مولعة بك يا ميجان ! » ٠٠ فسألته فى قلق : « ماذا كان جو يقول لك ؟ » أجابها : « كان يطالبنى بأن أرحل ، لأنك لا تريديننى هنا ! »

فضربت الفتاة الأرض بقدمها ثم رفعت عينيها الى فرانك ٠٠٠

وأمام نظرتها الولهى أحس بأعصابه تنتفض .. كما لو كان رأى فراشة تخفق جناحيها ! .. وأردف يقول للعذراء : « الليلة ! لا تنسى ! »

« كلا ، لن أنسى ! » .. ومرغت وجهها فى فروة الجرو الصغير البدين ثم انصرفت .

— ٦ —

كانت الساعة نحو الحادية عشرة من ذلك المساء حين وضع فرانك جانبا قصة هوميروس « الأوديسة » ، التى لم يقرأ فيها منذ نصف ساعة سطرا واحدا ، ثم تسلل فى هدوء الى الخارج .. كان القمر قد نهض لتوه فوق التل ، فبدا قرصه ذهبيا ، لا يكاد يرسم ظلال الأشجار على الأرض . أما فى غابة التفاح فقد كان الظلام أشد حلكة ، فوقف فرانك يتبين طريقه . كان الهواء ساكنا والهدوء شاملا ، لا يتخلله غير ترقرق الماء فى الغدير ، وغير قباع ثلاثة خنازير .. ثم بدأت براعم التفاح الوردية تلوح شيئا فشيئا على أغصانها القاتمة ، كلما ارتفع القمر متهاديا على صفحة السماء .. فأحس فرانك بالانس اليها ، وكأن ملايين من الفراش الأبيض قد أقبلت فاستقرت بين السماء والأرض القاتمتين ، وجعلت تنشر أجنحتها وتطويها ..

واستبان له الطريق الى شجرة التفاح العتيقة ، المشرفة على الغدير ، فاستند الى جذعها وأخذ يسائل نفسه : « ترى هل تأتى ؟ » .. وخيل اليه أنه يود لو تخلفت ، فما يليق بمثله ومثلها من البشر أن يفسدا هذا الجو « السماوى » ، الخليق بحوريات الجنة ! ..

لكنه لم يلبث أن سمع صرير البوابة الخشبية .. وأقبل شبحها نحوه ، كطيف ملائكى .. حتى اقتربت من مكانه فهتف ملهوفا : « ميجان ! » ومد اليها ذراعيه ، فهرعت مباشرة الى صدره ! .. وحين شعر بقلبها يخفق بين أحضانه أدرك كما لم يدرك من قبل معنى أحاسيس الهوى العذرى العفيف .. فكيف يكون هو لها الا حاميا ، وهى الساذجة اليانعة الولهى ، التى

لا تملك من أمر نفسها شيئا ، ولا تكاد تمت الى هذا العالم ؟

وضمها الى صدره بقوة - ورفق - ولثم شعرها .. ولم يدر كم من الزمن بقيا متعانقين ، صامتين .. والغدير ماض يترقرق ، والضفادع تنقنق ، والقمر يتألق .. وتسللت شفاههما ، تنشد اللقاء !

وفى غمرة نشوته ، ولوعة اشفاقه على العذراء من نفسه ، ومن نفسها .. هتف بها : « اواه يا ميجان ! لماذا جئت ؟ » .. فرفعت اليه عينيها مدهوشة وقد جرح كبرياؤها : « سيدى ، ألم تطلب أنت ذلك ؟ »

- لا تخاطبينى بكلمة « سيدى » يا حبيبتى ، بل باسمى : فرانك !

- لا أستطيع .. أوه ، مستحيل !

- ألست تحبيننى ؟

- ليس فى وسعى غير أن أحبك ، أريد أن ابقى معك .. هذا كل ما فى الأمر .

- كله ؟

فهمست له بصوت كاد لا يسمعه : « انى أموت اذا لم أبق معك ! » .. فأجابها من فوره : « تعالى اذن ، معى ! »

وشهقت ، غير مصدقة سمعها .. وأذكت شهقتها عاطفة الشاب وحرارة حبه ، فاستطرد : « تعالى نرحل معا الى لندن . سوف أريك الدنيا ، وأعتنى بك . أعدك بذلك يا ميجان .. لن أسىء قط اليك !

- اذا استطعت أن أعيش معك ، فهذا يكفى !

فاستطرد وهو يمشط بأنامله شعرها ، هامسا فى أذنها : « سأذهب غدا الى « توركاى » لأحضر مبلغا من المال وأشترى لك بعض الثياب ، ثم نفر معا .. وحين نصل الى لندن ، نتزوج .. اذا كنت مقيمة على حبى !

وأحس فرانك بشعرها ينتفض من هزة رأسها : « أوه كلا ، لا أستطيع .. لست أريد الا أن أبقى معك ! » .. لكن شهامة

الشاب فى عينى نفسه زادته ثملا ، فمضى مغمغما :« بل أنا الذى لا أستحقك .. أواه يا ميجان ، متى بدأت تحبيننى ؟ »

ـ عندما رأيتك على السفح ، ونظرت الى ! .. منذ الليلة الأولى أحببتك .. لكننى لم أتوقع لحظة أن تريدنى أنت !

وتهاوت فجأة على ركبتيها ، محاولة أن تقبل قدميه ! .. فذعر فرانك ورفعها اليه من فوره ، وقد أعجزه التأثر عن الكلام ! .. فهمست له :

ـ لماذا لم تدعنى ؟

ـ أنا الذى سوف أقبل قدميك !

وجلبت ابتسامتها الدموع الى عينيه .. فان بهاء محياها فى ضوء القمر ، والورد الشاحب على شفتيها المنفرجتين ، كان له ذلك الجمال الحى ، السماوى ، الذى لبراعم التفاح !

وفجأة ، اتسعت حدقتاها .. وهمست جزعة وهى تتخلص من ذراعيه : « أنظر .. غول الغجر ! »

ـ أين ؟

ـ هناك بين الأشجار ، قرب الصخرة .. !

فهرع الى حيث أشارت ، فلم يجد شيئا ! .. وعاد ادراجه وهو يضحك فى سره من خرافاتها .. لكنها كانت قد اختفت ! .. ولم يلبث أن سمع صرير البوابة الخشبية ...

لقد ذهبت ، ولم تبق له ـ بديلة لها ـ غير شجرة التفاح العتيقة ! .. فأحاط جذعها بذراعيه . أى بديل لعود الفتاة اللدن ! وألصق وجهه بقشرة الشجرة الخشنة . أى بديل لخد « ميجان » الحريرى ! .. عطر الغابة هو الشبه الوحيد بين الاثنتين ! .. وفوق رأسه ، وحوله ، كانت براعم التفاح تتألق .. وتتنفس !

— ٧ —

عندما هبط فرانك من القطار فى محطة توركاى ـ ملكة مدن الحمامات فى انجلترا ـ مضى يبحث عن فرع للبنك الذى يودع فيه رصيده .. فلما وجده طالبوه بأن يجد شخصا يعرفه

ليضمنه ، أو فليرسل برقية الى مركز البنك الرئيسى فى لندن كى يأذن لفرعه بصرف المبلغ الذى يطلبه ..

وفى انتظار وصـول الرد سـار يتسكع فى الطرقات ، فصادف متجرا يعرض فى واجهته ملابس نسـائية . وللحال دهمه خاطر أثار فى نفسه انفعالات غامضة : ان تكفله بكساء عذرائه الريفية أمر محير ، يشعره ـ لأول مرة ـ بمسؤوليات رجولته ! ..

ودخل .. لكن أسئلة البائعة اللحوحة عن طراز الثياب التى يريدها ، ومقاس خصر « السيدة » التى سترتديها ، لم تلبث أن أشعرته بالحرج ! فأوصى بحجز ثوب رمادى مما عرض عليه ، ريثما يستفسر عن الطراز والمقاس بالضبط .. ثم لاذ بالفرار !

وسار فى الطريق يحلم ، بالمخلوقة العذبة التى سوف تشاركه حياته !..رأى نفسه واياها يفران من المزرعة تحت جنح الظلام، وذراعه حول خصرها ، حتى يبلغا غابة بعيـدة فتستبدل ميجان ثيابها القروية بالثياب الجديدة ، ثم يستقلان قطار الفجر من احـدى المحطات الى حيث يقضيان شـهر العسل .. ولا تلبث لندن أن تبتلعهما فى زحامها !

وتنبه فرانك من أحلامه على صوت يناديه .. واذا هو أمام زميل قديم من زملاء الدراسة يدعى « فيليب هاليداى » .. واذ علم الصديق انه وحيد فى البلدة شبك ذراعه فى ذراعه وأخذه ليتغدى معه .. فمضيا يصعدان تلا ويهبطان آخر حتى جاوزا قلب البلدة الى أطرافها القريبة من شاطىء البحر ، حيث الفندق الذى يقضى فيه الشاب عطلته .

ودعا هاليداى ضيفه الى غرفته ليغسل وجهه من وعثـاء السفر ، فوقف يتأمل فى المرآة هيئته « الريفية » وثيابه التى يرتديها . وصدمته المفارقة بين حيـاة المزرعة ، وحياة المدن !

وحين فرغ تبع مضـيفه الى قاعة الطعـام ، وأمام مائدة هاليداى رأى فرانك ثلاثة وجوه رائعة الحسن ، زرقاء العيون ،

تستدير نحوه على صوت صديقه يخاطبهن معرفا : « هذا زميلى القديم فرانك اشرست .. وهؤلاء أخواتى الصغيرات : ستللا ، وسابينا ، وفريدا .. لقد جئن معى يستجممن بعد شفائهن من الحصبة ! »

كانت اثنتان منهن صغيرتين حقا : فى العاشرة ، والحادية عشرة . ! **أما الثالثة فلعلها كانت فى السابعة عشرة ، فارعة القوام ، ذات شعر فاتن ووجنتين ورديتين قد لوحتهما شمس « البلاج » ، وحاجبين أفحم سوادا من شعرها ..** وكن ثلاثتهن ، مثل أخيهن ، من الطراز الرياضى المرح ، الصريح ، الذى يرفع الكلفة مع الغريب بسرعة مذهلة ! .. فعرضت عليه احداهن أن يصحبهم جميعا فى نزهة بعد الظهر قبل أن يسافر .. ورحن يمطرنه بالأسئلة الظريفة عن أنواع الرياضة التى يمارسها ، ومدى براعته فى السباحة .. الخ ـ وسرعان ما وجد الشاب نفسه موضع اهتمام هذه الستة من العيون الزرق الفاتنة التى تخاطبه كصديق قديم ! .. فلم يجد بأسا فى أن يصحبهن الى النزهة المقترحة فى أحد حمامات السباحة ، حيث استمتع الخمسة فى الماء بلهو ممتع برىء .. وفجأة تطلع فرانك فى ساعة ، فاذا موعد اغلاق البنك قد حان !.. وأدركت « الشيطانات الثلاث » معنى تعبير وجهه اليائس فهتفن مهللات : « اذن ، فسوف تضطر للبقاء الى الغد ! »

لكن الشاب لم يجب .. كان يلوح له وجه ميجان القلق وهو يهمس لها فى الصباح مؤكدا أنه سيعود فى المساء ، كى يفرا معا فى نفس الليلة ! .. ترى ماذا يدور بخلدها الآن ؟

لكن فرانك اضطر لقطع تأملاته تحت وقر نظرة فاحصة رمقته بها ستيللا .. آه لو علمت ما يدور فى رأسه ، وما كان يعتزم أن يفعله الليلة ؟ ! .. وأحس بمزيج من مشاعر الحنق ، والشجن ، والخجل .. !

وخرج الركب من حمام السباحة ليستأنف الخمسة نزهتهم فى بقعة نائية من شاطىء البحر .. وهناك استخفهم دفء

الطقس ، وهدوء الأمواج ، فرأوا أن ينزلوا الى الماء .. وانتحى الشابان مكانا وراء احدى الصخور ليخلعا ثيابهما ويرتديا لباس البحر ، وحذت الفتيات حذوهما وراء صخرة أخرى .. وحين نزل الجميع الى البحر ظهر أن فرانك أبرعهم فى السباحة ، فأمتعه أن يكون موضع اعجاب الحسان الثلاث .. ثم لم تلبث المصادفة أن أحوجتهن الى براعته ، حين أشرف هاليداى على الغرق ، على أثر اصابته بتشنج عضلى (كرامب) .. فأنقذه ضيفه فى آخر رمق .. !

وحين عادوا الى الفندق أخلد هاليداى الى الراحة فى فراشه ، بينما مضى الباقون لتناول الشاى .. ثم اقترحت « سابينا » أن تعقد مع أختيها « ميثاق دم » يتعهدن فيه بانقاذ حياة ضيفهن فى أى وقت يتعرض فيه للخطر ، ردا لصنيعه مع أخيهن ! .. وبعد أن وخزت كل منهن أصبعها بدبوس وكتبت اسمها بدمها ، كتبن أمام الأسماء الثلاثة اسم « فرانك » ، ثم جاء دور تقبيلهن اياه ــ كما تقضى تقاليد الميثاق ! ــ وقبل أن يستطيع فرارا أحس بما يشبه « العضة » على أنفه ، من البنت الصغرى .. ثم بأسنان أختها الوسطى تدغدغ خده فى نعومة .. ونظرت الاختان الى اختهما الكبرى « ستيللا » ، التى احمر وجهها ولم تحرك ساكنا .. فرؤى التحايل على الأمر بأن تقبل الفتاة يدها ثم تمدها الى الشاب فيضعها على أنفه !

ولدهشة فرانك ، قبلت ستيللا يدها فعلا ، ثم مدتها اليه فتناول اليد الناعمة ، الباردة الأطراف ، وألصقها بخده ! .. فصفقت الأختان مهللتين ، وناولتاه الورقة التى سجل عليها « ميثاق الدم » كى يحتفظ بها ..

ثم استأنفت الجماعة ثرثرتها وأحاديثها ، فيما عدا فرانك ، الذى كان يصغى صامتا وهو يتبادل نظرات ودية مع ستيللا . وبعد حين نهض معها لتريه رسومها بالألوان المائية ، ثم جلسا بجوار النافذة يتحدثان ..

وعلى مائدة العشاء قالت له « سابينا » أنها ستناديه باسمه

مجردا ، وأضافت فريدا انهما ستلزمان ستيللا بدفع « غرامة » كلما نادته بلقب « مستر » ! .. وحين نادى الشاب الأخيرة باسمها مجردا ، أثناء الحديث ، انفجرت الأختان الصغيرتان ضاحكتين فى هرج وصخب .. فجذبهما فرانك من شعرهما ممازحا ! .. وعندما جاء وقت النوم قال للكبرى : « طابت ليلتك يا ستيللا » فأجابته : «طابت ليلتك يامستر .. أعنى يا فرانك !» ثم صافحته بحرارة ومضت .. فبقى واقفا فى الحجرة الخالية ، بلا حراك !

.. فى الليلة الماضية فقط ، تحت شجرة التفاح ، ضم ميجان الى صدره وقبلها فى عينيها وشفتيها . وكان مقدرا أن تبدأ حياته معها اليوم ! والآن ، صار لا بد من مرور أربع وعشرين ساعة قبل أن ينفذ مشروعه الخطير .. لماذا تبسط مع هذه الأسرة من السذج الأبرياء ، وهو على عتبة تطليق البراءة نهائيا ؟

لكنه أجاب على خواطره منكرا : « انى أنوى الزواج منها . لقد وعدتها بذلك ! » .. وجاشت نفسه بذكرياته مع ميجان ، فتسلل الى حديقة الفندق . كانت النجوم الزاهية تومض فى سماء معتمة ، ورائحة الزنبق تملأ الهواء ، فجلس على الحشائش وغرق فى تأملاته : ماذا أنا فاعل ؟ لعل ميجان الآن فى نافذتها ، تفكر فى وتنتظرنى ؟ لكم هى تحبنى ، ولكم أحبها ! ولكن ، ترى هل أحبها حقا ، أم انى أريدها لجمالها ، كيما استنفد عبير الزهرة البرية ، ثم ألقى بها بعيدا ؟ !

وسرح بصره فى البحر المعتم الذى يلوح عن قرب ، وان لم يبلغ اذنيه من هديره غير غمغمة خفيفة ضائعة .. وكان الليل قد أوغل ، وأضواء غرف الفندق جميعا قد أطفئت .. فنهض لينام .

— ٨ —

واستيقظ من نومه العميق الذى لم تتخلله أحلام ، على طرقات ملحة على الباب ، وصوت ناعم يصيح به : « الافطار قد أعد » فقفز جالسا فى فراشه .. أين هو الآن ؟ .. آه !

ووجد الأسرة المرحة حول المائدة ، فجلس فى المقعد الخالى بين ستيللا وسابينا .. وألحت عليه الأختان الصغيرتان فى أن يصحبهم الى رحلة فى احدى الضواحى البعيدة ، فاعتذر برغبته فى السفر .. واذ ذاك التفتت اليه ستيللا وقالت : « بربك تعال معنا » .. والتففن حوله يناشدنه ويلححن عليه ، فأدهشه أن يأنس من نفسه ميلا الى الذهاب فى صحبتهن ، بدعوى أن يوما آخر يغيبه عن المزرعة لن يقدم أو يؤخر كثيرا فيما اعتزمه من مصير ! .. وفى العربة الضيقة جلس بين الصغيرتين ، فى مواجهة ستيللا ، فأحس بتلامس ركبته وركبتها ! .. وتحدثا معا فى الشعر ، والشعراء الذين تفضلهم .. ثم قضى الجميع النهار فى لهو وغناء وأكل ، حتى بلغ من ألفة الشاب بالشقيقات الثلاث انه لم يكد يصدق أنه منذ ثلاثين ساعة فقط لم يكن بصره قد وقع على واحدة منهن قط !

وبين حين وآخر كانت تعاوده صورة ميجان ، ويذكر صلاتها العذبة : « يا رب باركنا جميعا ، وبارك مستر فرانك ! » ، فيهمس لائما نفسه : « يالى من نذل ! » .. لكن الحاح الذكرى عليه صار يضعف كل مرة عن سابقتها ، واختلط الأمر عليه فلم يعد يعرف هل يكون نذلا اذا بقى ، أم اذا عاد ؟

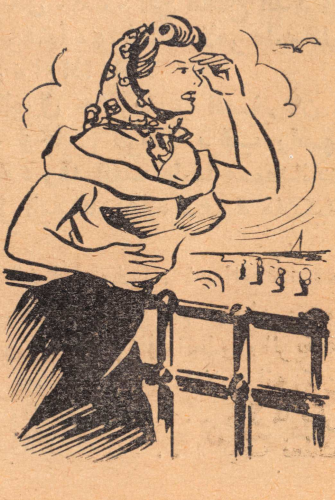
وفى المساء لعب الجميع الورق حتى نامت الصغيرتان ، فقامت ستيلا الى البيانو .. وجلس فرانك يرقب رأسها الجميل ورقبتها الطويلة الناصعة ، وقد ألقت عليها شمعدانات المعزف أضواءها الخافتة ، فخيل اليه كأن هالة ذهبية ملائكية تشع حولها ! ..

وفى تلك الليلة لم يغمض للشاب جفن . ان ألفته بهذه الأسرة المرحة قد جعلت ماضيه فى المزرعة مع ميجان يبدو كأنه حلم أو خيال ! .. أو حقا هو قد طارح تلك العذراء الريفية هواه ، ووعدها بالفرار معه كى يعيشا سويا ؟ لابد أنه كان مأخوذا بسحر الربيع ، والليل ، وبراعم التفاح ! .. والا لما فكر فى أن يتخذ من تلك الطفلة الساذجة خليلة له ! .. « كيف فعلت

ذلك ؟ انها كانت نوبة جنون ! .. ولكن ، ما المخرج الآن ؟ »
ودفن وجهه فى الوسادة ليقمع رغبته فى البكاء ! .. ان تخلفه عن العودة الى ميجان أمر فظيع .. وعودته اليها أمر أفظع !
وغلبه الاعياء .. فنام !

•

وفى الصباح التالى مضى الى البنك فقبض المبلغ الذى أراده من رصيده .. وتجنب المرور بمتجر الملابس النسائية كما يتجنب المرء وباء مخيفا ! .. ثم ركب مع الأسرة عربة « حنطور » الى المحطة ، كى يستقلوا القطار الى نزهة فى الضواحى .. لكن العربة لم تكد تقترب من المنعطف المؤدى الى المحطة ، حتى قفز قلبه: **ميجان ! ميجان بعينها ، وثيابها الريفية .. تسير كالمترنحة ، تتطلع فى وجوه المارة ، حائرة ، ضائعة ، ككلب تاه منه سيده !! .. كيف جاءت التعسة ؟ وبأية حجة غادرت المزرعة ؟ .. ومع كل دورة من عجلات العربة ـ تبعده عنها ـ كان قلب فرانك يزداد صراخا فى أعماقه ، ومطالبة له بأن يوقف العربة ليهرع اليها ! .. حتى اذ هم الحوذى بالانعطاف من شارع البحر الى طريق المحطة لم يطق الشاب صبرا فهب واقفا وصاح وهو يقفز من العربة : « لقد نسيت شيئا .. لا تنتظرونى .. سألحق بكم فى القطار التالى ! »**



ومن مكانه استطاع أن يلمح ميجان عن بعد .. فبدأ يعدو نحوها ، لكنه عاد فتباطأ عامدا ! .. هل يسمح لهذه المصادفة بأن تقلب الموقف رأسا على عقب ؟ أو تهون من « بشاعة » المصير الذى كان قد أعده لنفسه ، ولها ؟ لا جدوى من الانكار : انه منذ اختلط بأسرة هاليداى يزداد كل لحظة يقينا بأنه لن يتزوج من ميجان ! انها لن تكون الا مغامرة حب ضارية مؤقتة ، يعقبها الملل ، والندم ، والمتاعب ! .. وكان ثوبها الملون ما يزال يلوح له من بعيد ، وهى تتطلع الى كل وجه ، وكل نافذة ! هل مرت بانسان تجربة أقسى من هذه ؟ .. انه أيا كان تصرفه لن يكون الا نذلا ! .. ولاح لخياله وجه ستيللا ، وعيناها ، وشعرها .. كلا ، انه يكون مخبولا لو ضحى بكل القيم التى يحترمها ، بل باحترامه لنفسه ، من أجل ذكرى بضع قبلات لن تلبث الفتاة أن تنساها خلال شهر واحد !

واستدار على عجل عائدا نحو المحطة .. لكن خيال العذراء الحائرة الملتاعة لم يلبث أن طارده واعتقل خطواته ، فارتد مرة أخرى نحو البحر ! .. لكن الزحام كان قد طواها وابتلعها فى دوامته ، فلم ير لها أثرا ! .. وحين فقدها عاوده شوقه ولهفته عليها ، فأنفق فى البحث عنها أكثر من نصف ساعة ، ولكن دون جدوى ! ..

وأخيرا مضى فاستلقى على وجهه على رمال الشاطىء ، وعاودته ذكرياته معها ، فى البيت ، والغابة ، والنافذة .. وتحت شجرة التفاح فى ضوء القمر ، وصدرها لصق صدره وشفتاها تستجيبان لشفتيه ! .. وغلى دمه فى عروقه فأرادها ! أراد قبلاتها ، وجسدها الناعم الصغير ، واستكانتها ، وعاطفتها الساخنة « الوثنية » ! .. وكان يعلم أنه يستطيع أن يعثر عليها

لو قصد الى المحطة فانتظرها فى موعد القطار الذى سوف تعود به الى المزرعة .. لكنه مع ذلك لم يتحرك ! .. ما هى القوة الجبارة التى قاومت شفقته الملهوفة ورغبته المحمومة ، فأبقته رهين رمال الشاطىء الدافئة ، كالمشلول ؟ !

.. انها ثلاثة رؤوس صغيرة لطيفة ، ومحيا فاتن تطل منه عينان زرقاوان ، ويد رقيقة تضغط على يده ، و «جو» نقى معطر يمثل كل ما نشأ فرانك على احترامه .. !

كلا ! محال أن يعود ثانية الى المزرعة ليربط مصيره بتلك الريفية ، الساذجة ، الجاهلة ! .. ومحال أن ينقل الى مسكن من أربع جدران فى العاصمة الكبرى ، مخلوقة تمت بكل صلة الى الطبيعة الرحيبة . ان الشاعر فيه ليثور على هذه الجريمة ! بل ان حبهما الموهوم ليس غير نزوة حسية طارئة لن تلبث أن تنطفىء .. وعندئذ لن يبقى له من « فاتنته » غير بساطة منبتها وتفاهة ذهنها اللتين ستجعلان منها عبئا عليه ، وعارا ، فى بيئته الخاصة الرفيعة !

وحين يكون المرء فى شباب فرانك ، لا تكون الشفقة عادة عاطفة عنيفة ! .. وهكذا ، لم يكد يعد الشاب الى الفندق فيتناول الشاى فى الجو الأنيق الذى ألفه منذ نشأته ، حتى أحس أخيرا بالارتياح ، وكأنه شفى من حمى أو نقه من مرض طويل .. فعاد الى حياته طعمها الحلو القديم ! .. وهتف به قلبه وقد تخفف من حمله : « أيها الغبى المغرور ! .. هل تعتقد أن ميجان سوف تشقى بذكراك ؟ .. لن يمضى أسبوع أو اثنان حتى تكون قد نسيتك ! !

. . . .

وبعد ثلاثة أيام عاد فرانك الى لندن بصحبة أسرة «هاليداى» .. وفى نهاية شهر أبريل من العام التالى عقد زواجه على .. ستيلا !

•

تلك كانت ذكريات فرانك أشرست وهو جالس عند سفح التل يوم العيد الفضى لزواجه ! .. فى هذه البقعة بالذات وقع بصره على ميجان لأول مرة ، يوم قطع رحلته مع زميله جارتون بسبب اصابة ركبته .. يا للمصادفة الغريبة ! .. وتحرك فيه شوق ملح الى أن يرى المزرعة ، وغابة التفاح ، بعد غيبة ربع قرن ! - سيما وان ستيللا لن تفرغ من رسومها المائية قبل ساعة على الأقل - فنهض واتجه نحوها .. انه ما يزال يذكر الطريق جيدا : هذا الصف من أشجار الصنوبر .. والتل المنحدر .. و .. وتمهل أمام بوابة المزرعة الخشبية . هذا هو البيت الحجرى ، وتكعيبة أشجار السدر الجبلى .. حتى المقعد الخشبي الذى تساق عليه ليلة تناول المفتاح من يدها كان ما يزال فى مكانه ! أحقا قد انقضت ستة وعشرون عاما منذ ذلك التاريخ ؟ أم أنه كان يحلم واستيقظ ، ليجد ميجان فى انتظاره تحت شجرة التفاح ؟ ..

ومضى نحو الشجرة .. كانت بدورها كالعهد بها .. ربما جف منها غصن أو اثنان ، أما فيما عدا ذلك فكانت كأنه بالأمس فقط قد عانقها وألصق خده بجذعها ، واستنشق منها عبير الغابة ، على أثر فرار ميجان .. خوفا من الغول !

وخنقت فرانك غصة الحسرة الموجعة ، على الشباب المولى ، والحب العذب الضائع ! .. وخشى أن يصادف شخصا يبعث فى وعيه ذكريات الماضى ، وينكأ جراحه ، فعاد أدراجه من حيث جاء .. وحين بلغ مكان سيارته رأى عاملا مسنا أشيب اللحية متكئا على سلمها يستريح . فلما لمحه العامل هب فزعا كمن ضبط متلبسا بجريمة « عدم الاحترام » ، ورفع يده الى قبعته معتذرا ثم هم بالمسير .. لكن فرانك استوقفه متسائلا عن الربوة الخضراء الصغيرة التى فى مفرق الطريق .. فقال الشيخ وهو يلوك مقاطع الكلام بلهجته الريفية : « أوه ، انها قصة قديمة يا سيدى ، لا يعرفها أحد خيرا منى .. قصة حب ! .. بدأت فى مثل هذا الوقت من الربيع ، منذ سنوات لا أعرف عددها . كان قد هبط المزرعة شاب من شبان الجامعة طيب القلب - فقد كان يعجبنى ! .. ولست آخذ عليه الا انه ادار رأس فتاة كانت تقطن المزرعة مع عمتها .. ثم اختفى ذات يوم فجأة - حتى ان ثيابه التى تركها يومئذ ما تزال موجودة حتى الآن !..

وانتظرت الفتاة عودته ، يوما بعد يوم .. وكانت تذبل بالتدريج ! .. وصدقنى يا سيدى انى لم أر فى حياتى انسانا تغير كما تغيرت « ميجان » ! كانت تقف متكئة بظهرها على شجرة تفاح عتيقة فى الغابة ، ساعات طويلة ، تحدق فى الفضاء بعينين زائغتين ! .. وذات يوم أذكر انى فاجأتها هناك تبكى ! فلما سألتها عما بها ، انحدرت من عينيها دمعتان ، ثم وضعت يدها علىقلبها وأجابتنى:

« انه يؤلمنى . لكنه سوف يشفى قريبا ! » ثم أضافت بعد لحظة : « ولكن اذا أصابنى شىء يا « جيم » فأنا أريد أن أدفن تحت هذه الشجرة ! » فضحكت وقلت لها : « ماذا سيصيبك ؟ لا شىء » ولم أفكر فى قولها بعد ذلك .. حتى مررت بالمكان بعد يومين ، ساعة الغروب ، ومعى أبقارى التى كنت أرعاها .. فلمحت فى الجدول الملاصق لشجرة التفاح جسما قاتما ، حسبته خنزيرا ، لكنى حين دنوت منه .. »

وارتسمت فى عينى الشيخ نظرة أسى وحسرة ، ثم أردف : « كان ذلك الجسم القاتم جسم الفتاة ، راقدة على وجهها فى الماء .. وحين أدرتها وتأملت وجهها رأيته جميلا هادئا كوجه طفلة ! .. وكانت قد وضعت فى شعرها برعمة من براعم التفاح .. فبكيت ، وسالت دموعى على خدى .. وحين رويت لأهلها وصيتها الخاصة بدفنها تحت شجرة التفاح ، رفض القسيس التصريح بذلك ، بحجة أن المنتحر يموت خاطئا .. فدفنوها هنا ! .. أرأيت أعجب من هذا الذى يفعله الحب فى العذارى ؟ .. لقد كان للمسكينة قلب سخى بالحب ، فتحطم .. لكن أحدا منا لم يعرف قط شيئا من تفصيلات القصة ، أو حقيقة ما جرى بين العاشقين ! ؟

ورفع الشيخ بصره الى فرانك كأنما يستشهد به على صدق رأيه ، لكن هذا كان قد تركه ومضى مبتعدا ، وكأنه قد نسى وجوده ! .. مضى هائما نحو قمة التل ، حيث انكفأ على وجهه .. ومن خلال الدموع التى تعلقت بين أهدابه ، تراءى له وجه « ميجان » ، وقد زينت شعرها الندى الفاحم ببراعم التفاح .. ! .. ميجان الصغيرة العذبة ، المنحدرة من قمة التل ، المتعلقة بصدره تحت الشجرة العتيقة ، الهائمة على وجهها على شاطىء البحر فى المدينـة ككلبة ضائعة تاه منها سيدها ! .. أحقا ، قد ماتت ميجان ؟ !

وتنبه فرانك على صوت يناديه :

ـ أين أنت ؟ تعال ، انظر ما رسمت !

فنهض ومضى الى حيث كانت زوجته « ستيللا » تتأمل لوحتها الجديدة .. فتناولها منها ، ونظر فيها .. صامتا !

ـ هل ترى توزيع الألوان متقنا ؟

ـ نعم ...

ـ ألا ترى أن اللوحة ينقصها شىء ؟

ـ كلا ..

لكنه أجاب زوجته فى سره :

ينقصها ؟ نعم .. تنقصها شجرة التفاح .. والعذراء !

الجريمة.. والعقاب



المحاكمات الكبرى

فى الماضى والحاضر

عزيزى القارىء ...

ان المتصفح لدوسيهات المحاكم وسجلات القضايا والمحاكم الجنائية ، يجد فيها من القصص والصور النفسية، والمآسى أو المهازل الانسانية ، ما يفوق فى روعته أعظم ما تتفتق عنه قرائح الروائيين والمؤلفين .. وستجد فى هذا الباب فى الأعداد التالية بمشيئة الله ، مجموعة شائقة منوعة من هذه المحاكمات الجنائية التى جرت وقائعها فى مختلف بلاد الغرب والشرق ، والتى كانت المحاكم فيها مسرحا هائلا مثلت عليه قصص تزرى بالتى تمثل على خشبات المسارح فى دور اللهو .. ومعرضا مفجعا لنزوات النفس البشرية فى كل زمان ومكان !

والمحاكمات الكبرى التى أعنيها أنواع ثلاثة : بعضها محاكمات ((كبرى)) من حيث المشكلة التى تمثلها وترمز اليها أو تعرض لها بالبحث ـ كالمحاكمة التى أقدمها لك فى هذا العدد ...

وبعضها الآخر محاكمات ((كبرى)) من حيث الضجة التى أحدثتها أو شخصية العظيم الذى كان بطلها ! .. أو المحامى الشهير الذى ترافع فيها ..

والبعض الثالث محاكمات ((كبرى)) من حيث الأثر الذى نتج عنها ، ومن هذا النوع اعتزم أن أقدم لك طائفة من المحاكمات الطريفة التى تسبب عنها تغيير هام فى القوانين الجنائية للبلاد التى وقعت فيها .


LE CRIME
d'Une Beauté
PARISIENNE
Par
GEO LONDON
الجمال القاتل
في قفص الاتهام!
مأساة إنسانية نظرت أمام المحاكم الفرنسية

عزيزى القارىء ...

المحاكمة التى أقدمها لك فى الصفحات التالية ترمز لمشكلة خطيرة « مزمنة » متغلغلة فى المجتمع الانسانى ، فى كل بلد ، وكل عصر .. !

انها مشكلة « الرجل الذى له ماض » ، حين يبرز له ماضيه ، ليقاضيه !

.. مشكلة الأعزب الذى تغلبه نشوته ، وشهوته ، فيتخذ لنفسه بدل الحليلة خليلة .. حتى اذا ما زهد فى الكأس المحرمة آخر الأمر ، وفكر فى الزواج .. واجهته مشكلة التخلص من خليلته ، التى قد تكون حريصة من ناحيتها على التشبث به ، حرصا يدفعها الى محاولة عرقلة زواجه : بالحسنى أو بالتهديد .. التهديد بقتله هو ، أو بانتحارها هى ! .. أو التهديد بالدس بينه وبين خطيبته ـ قبل أن يتزوجها ـ كى تتخلى عنه ! .. أو الوقيعة بينه وبين زوجته ـ اذ أفلح فى الزواج منها ـ كى تنفر منه أو تطلقه .. !

أو قد تكون الخليلة حريصة ، لا على شخص خليلها ، بل على جيبه ! .. فتكون غايتها من تهديدها ووعيدها ، لا عرقلة زواجه وانما ابتزاز أمواله .. !

وكم من رجل حالت خليلته فعلا بينه وبين الزواج : اما من فتاة بعينها ، أو من كل فتاة .. عن طريق اطلاعها على ماضيه أو حاضره مع الواشية ! ..

وكم من فتاة خطبها رجل ، بدا لها مكتمل الصفات والمؤهلات ، فلم تكد خطبتهما تعلن حتى لاحقتها من حيث لا تعلم خطابات تفشى صلته المحرمة بامرأة بعينها .. الأمر الذى قد تتراجع الفتاة أمامه عن اتمام زواجها ، ولو أعجبها خطيبها ، اشفاقا على مستقبلها من ماضيه ! .. أو قد تحزم الفتاة شجاعتها برغم ذلك فتقدم على هذا الزواج ، مقامرة بمصيرها ، وراحتها ، ووفاء زوجها لها فى المستقبل .. واضعة ذلك كله فى كفة ميزان ، وزوجها المرموق فى الكفة الأخرى !

ولكن لماذا ننظر الى الموضوع من زاوية واحدة ؟ .. ولم لا نقول : كم من امرأة جنت عليها صلتها برجل ، غرر بها .. حتى اذا ما شرع فى الزواج من غيرها ، بعد أن فوت عليها فرصة الزواج من غيره .. أحست الضحية أن العدالة تقتضيها الاقتصاص من الجانى عليها ، بأن تفوت عليه الفرصة التى فوتها هو عليها ! ؟

هذه الخواطر ، وغيرها ، هى بعض ما توحى به الى الذهن : القضية الجنائية التى أعرضها عليك فيما يلى :

ملكة الجمال .. فى القفص !

● نحن فى قاعة محكمة جنايات « السين » بباريس ، فى السادس والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٣١ .. المحكمة تعج كخلية النحل ، بجمهور النظارة الذين تقاطروا من جميع أنحاء العاصمة الفرنسية ليشهدوا محاكمة ملكة الجمال الباريسية الحسناء «جورجيت هودو» قاتلة الجواهرى «ايزاك ايشسكى»!

الأنظار كلها مصوبة نحو المتهمة ، وقد وقفت فى قفص الاتهام ، بقوامها الفارع الجميل ، ووجهها الصارم المتحفز لبدء النضال .. النضال الذى سوف يقرر مصيرها ، وحريتها ، بل حياتها كلها ! .. لشد ما ذبل هذا الوجه وحفر عليه القلق أخاديد عميقة خلال الشهور التسعة التى انقضت منذ وقوع الجريمة ، حتى لصار أقرب الى وجه « بيللون » آلهة الحرب عند الرومان ، منه الى وجه « فينوس » ربة الجمال !

وان جسد المتهمة ليختلج كله من وطأة الانفعال العنيف الذى يهز قلبها وأعصابها وهى فى موقفها ذاك ، زائغة العينين ، تعصر منديلها بين يديها المغلفتين بقفازيها ، فىعصبية ظاهرة ، وقد بدت خائرة القوى .. وكلما وجه اليها الرئيس « دفيز » ـ رئيس المحكمة ـ سؤالا وهو يستجوبها ، لم تخرج من شفتيها غير كلمات متقطعة أشبه بالفحيح منها بالصوت الآدمى !

عارضة الأزياء العاشقة ..

● وقبل أن نتابع ما جرى أثناء المحاكمة ، نعود بك قليلا الى الوراء ..

تبدأ القصة يوم مولد المتهمة « جورجيت هودو » حين نثرت فينوس كنانتها فوقع اختيارها على الطفلة جورجيت كى تسبغ عليها سحرها .. فأرسلت اليها « جنية » طيبة انحنت

على مهد الصغيرة فمنحتها تاج الجمال النورانى ! .. ورغم ان جورجيت شبت فى أسرة رقيقة الحال ، فى كنف أب يشتغل شرطيا ، وأم تعمل عاملة فى « كانتين » مدرسة من مدارس العامة .. فان الحظ لم يلبث أن ابتسم لها ، ووعدها القدر بمستقبل ضاحك ، حين انتخبت وتوجت ملكة للجمال فى احدى مباريات الجمال الباريسية الكبرى .. وعلى أثر ذلك عرض عليها بيت من بيوت الحياكة «بالشانزليزيه» أن تعمل فيه عارضة للأزياء !

وكانت تلك بداية المأساة ، أو بداية النعمة التى انقلبت نقمة!

يد القدر .. !

● فقد دخل الجواهرى الكبير « ايزاك ايشسكى » ذات يوم معرض الأزياء الذى تعمل فيه « جورجيت » الحسناء .. وكانت النظرة الأولى منها كافية لأن توقع الرجل فى هواها ! .. واذعن الذهب لسلطان الجمال وسطوته .. ثم اذعن الجمال بدوره لسلطان الذهب وبريقه .. فصارت « المانكان » الفاتنة خليلة لتاجر الماس والياقوت .. !

ثم انقضت السكرة ، وجاءت الصحوة .. حين فكر الرجل فى أن يتزوج ، ويكون بيتا وأسرة .. فوقع اختياره على فتاة تدعى « ايفا ليفى » كى تشاركه حياته !

وخطبها – فى فبراير سنة ١٩٢٨ – ثم تزوجها .. ولكن ، منذ ذلك التاريخ عاش الزوجان حياة حافلة بأسباب القلق والانزعاج ، تطاردهما فيها كل حين مهاترات العشيقة المهجورة ، ومواقفها الفاضحة ، وعتابها للزوج حينا ، وتهديدها اياه أحيانا ! .. وهكذا لم تدخر « جورجيت » وسعا ، ولا ترفعت عن سلاح ، فى سبيل الانتقام من عشيقها القديم وقلب نعيم حياته الى جحيم مقيم .. بل ان عقابها قد تجاوز الرجل الى

خطيبته ـ ثم زوجته ـ الضحية البريئة مدموازيل «ايفا ليفى» فلم تترك جورجيت فرصة لافساد سعادة المسكينة وتنغيص عيشها الا انتهزتها ، وأمعنت فى استغلالها . . .

وكانت الماكرة قد فرضت على ايشسكى يوم قطع علاقته بها ـ كما فرضت على جميع عشاقها الذين سبقوه ـ « فدية » أو أتاوة قدرتها هى بمبلغ مائتى ألف فرنك ، وقدرها هو بعشرين ألفا من الفرنكات فقط ـ أى عشر ما طلبت ـ دفعها اليها ونفض يده منها الى غير رجعة !

اللقاء الفاجع !

● لكن جورجيت أحبت ايشسكى ، وغارت عليه ، فلم تشأ التفريط فيه كما فرطت فى سواه من عشاقها السابقين . . ومن ثم استمرت تطارده وزوجته وترهق أعصابهما وتفسد حياتهما . . عامين كاملين ! . . لكن حبها وغيرتها بدلا من أن ينطفئا ازدادا اشتعالا . . حتى لم تعد تقوى على كبح جماح الانثى المتوحشة الرابضة فى أعماقها ! . . فراحت تتربص بعشيقها السابق وتترصده . . حتى فاجأته ـ يوم ٦ يونية سنة ١٩٣٠ ـ يدخل صيدلية فى شارع لافاييت ، ليبتاع منها دواء . . فأخرجت من حقيبة يدها مسدسها الذى أدخرته لهذه المناسبة . . وأطلقت على التعس رصاصتين منه ، أصابتا منه مقتلا . . فخر من فوره فاقد الحياة !



ماضى المتهمة .. !

● ووقفت « جورجيت هودو » فى قفص الاتهام بمحكمة « السين » صبيحة ٢٦ مارس سنة ١٩٣١ تجيب على استجواب رئيس المحكمة القاضى « دفيز » :

الرئيس : ان ماضيك يشهد بأنك طالما أثرت منازعات مع عشاقك كلما هجرك واحد منهم .. بل ان أحدهم - ذاك الذى عرفته فى لندن - يتهمك بأنك تسببت فى اعتقاله بيد البوليس الانجليزى ! ؟

جورجيت : ياله من افتراء !

الرئيس : أو تنكرين انك طالبت ايشسكى بدفع الاتاوة ؟

جورجيت : بل أقسم بكل ما هو مقدس اننى لم أطلب منه مالا .. لكنه أودع عشرين ألف فرنك باسمى عند أحد الموثقين .

محامى المدعية بالحق المدنى (أرملة القتيل) : وقد قبضت المتهمة هذا المبلغ من الموثق بطريق السهو والغفلة !

الفرنسية الخليعة !

● ثم تمضى المحكمة فى استجواب المتهمة ، فتزعم بين ما تزعمه أن القتيل كان يزمع الزواج منها لولا اعتراض أسرته على هذه الزيجة .. « **وقد قال لى والده بالحرف الواحد ان ابنه لن يتزوج من فرنسية خليعة !** » .. وهنا يجيبها محامى أرملة القتيل : « لكن ضحيتك تزوج مع ذلك من فرنسية ! » .. فتتراجع المتهمة خطوة الى الوراء ثم تصوب ذراعها نحو الأرملة الشابة الجالسة الى جانب محاميها ، وتصيح ساخرة : « فرنسية ؟ انها اسرائيلية .. هل نظرتم اليها من زاوية جانبية ؟ »

وهنا يهب محامى الأرملة صائحا فى تشف : « ان المتهمة قد فضحت بهذا القول غيرتها القاتلة وحقدها على موكلتى ! » ..

ويستأنف الرئيس استجواب المتهمة : « انك قد أرهقت المجنى عليه بطلب المال .. بل وذهبت تتجسسين على خطيبته ، زاعمة لها انك بائعة « ثياب داخلية ! »

المتهمة : لقد ذهبت أخطرها بأن خطيبها يخدعها .. وأن له خطيبة أخرى غيرها ! »

الرئيس : وفى الشهور التالية صار مسلكك مهددا لسلامة الزوجين ، بحيث اضطرا الى أن يضعا نفسيهما تحت حماية رجال البوليس السرى الخاص !

المتهمة : وأنا عشت على أثر ذلك عامين كاملين هدفا لمطاردة ومراقبة مستمرة من أهل الحى جميعا !

.. ومع ذلك فان حماية البوليس السرى الخاص ، ورقابة أهل الحى والأصدقاء ، لم تجد المجنى عليه نفعا سواء فى منع الجريمة يوم وقوعها ، أو منع المشاجرات والمشاهد الصاخبة التى تكررت فى الطرقات والأماكن العامة قبل يوم الحادث !

وحين يواجه رئيس المحكمة المتهمة بأنها قد طالبت المجنى عليه بفدية قدرها خمسمائة ألف فرنك، تلوذ جورجيت بالصمت فى البداية .. ثم تتكلم لتؤكد أنها ما تزال تحب الرجل الذى قتلته ! .. وانها فى كل مرة كانت تلقاه فيها فى الطريق كانت تتناول يده فى رفق « عاطفى » ..ومع ذلك فانه كان يسلمها فى كل مرة الى البوليس !

الرئيس : وهل من الرفق العاطفى أن تنشبى أظافرك فى عشيقك القديم ، وتكسرى المظلة على ظهره .. كما هو وارد فى محاضر التحقيق ؟

المتهمة : وماذا تريدنى أن أفعل ، وهو لم يجبنى يوما بكلمة لطيفة ؟ اني لست متوحشة ، وانما هو الذى ألجأني بتصرفاته

الى ما فعلت .. ففى كل مرة كان يكلف البوليس بالقبض على واهانتى بكل وسيلة !

الرئيس : انك قد أدخلت الرعب على قلبه حتى دفعته الى أن يلقى بنفسه من النافذة ذات يوم ، كى ينجو من المصير المجهول الذى طالما هددته به وتوعدته !

ولم تحر جورجيت جوابا !

المتهم الذى برىء !

● ثم أثيرت مناقشة حول ما اذا كان من بين الدوافع التى « شجعت » المتهمة على ارتكاب جريمتها ، ذلك الحكم الذى أصدرته المحكمة قبل تاريخ الجريمة ببضعة أيام ، والذى قضى بتبرئة رجل يدعى « فريدمان » كان قد قتل زوجته ! ؟ ..

وبعد أن جرى نقاش طويل بين ممثلى الدفاع والاتهام حول هذه الفكرة انبرى محامى المتهمة « مسيو بيرتون » يقول : « ان المحامى الذى تولى الدفاع عن ذلك الزوج القاتل وطلب له البراءة هو مسيو « موروجيافيرى » محامى المدعية بالحق المدنى فى قضية اليوم ، الذى يطالب برأس موكلتى ! »

محامى المدعية بالحق المدنى : ان الفارق بين القضيتين كبير (ضحك)

محامى المتهمة : بلا شك .. بلا شك .. فأنت اليوم محامى الأرملة المدعية بالحق المدنى ! (ضحك)

كيف وقعت الجريمة ؟

● وانتقلت المحكمة الى مناقشة كيفية وقوع الجريمة .. فتبين منها أن المتهمة كانت قد اتصلت بالمجنى عليه فى صباح ذلك اليوم بالتليفون !.. ترى ماذا دار بينهما فى تلك المحادثة ؟. ان جورجيت تزعم وتؤكد ان ايشسكى قد قطع المكالمة بكلمة

واحدة ، موجزة لكنها حاسمة ! .. وتأبى أن تذكر الكلمة !

الرئيس : وفى المساء ، ألم تتربصى له مختبئة وراء بوابة تشرف على طريقه ؟ لقد رآك شهود !

المتهمة : لست أدرى .. كنت مجنونة اذ أقدمت على فعلة كهـذه !

الرئيس : الشهود يقررون ان ايشسكى دخل الصيدلية نحو الساعة الخامسة يصحبه شقيق زوجته ، مسيو لوسيان ليـفى

المتهمة : وهل أعلم شيئا من تفصيلات ذلك اليوم المشؤوم ؟ وهل أعلم حتى ما اذا كان الحادث قد وقع فى صيدلية أم فى مكان آخر ؟ انى لم أكن مالكة وعيى !

الرئيس : الذى يجمع عليه الشهود انه فيما كان المجنى عليه يدفع ثمن الدواء الذى اشتراه أطلقت عليه أنت رصاصتين ، ثم صرخت على الأثر : « يا للفظاعة ! .. يا حبيبى المسكين ! » .. وبعد ذلك وقفت أمام الجثة تصلحين زينتك وتضعين المساحيق على وجهك !

المتهمة : ربما أكون فعلت ذلك بحركة غير ارادية ، دون وعى .. ولكن منذ تلك الساعة لم أعرف راحة الضمير !

أقوال الشهود ..

● ثم بدأت المحكمة تسمع الشهود ، فسئل الشاهد الأول « الدكتور بول » عن رأيه فيما تنسبه المتهمة الى عشيقها القديم ، المجنى عليه ، من أنه أحدث بها ضررا لا يمكن اصلاحه .. ولم يستطع الشاهد أن يجزم بشىء فى هذا الصدد ..

وصعد الى المنصة الشاهد الثانى ، مسيو « بين » مأمور البوليس ، فقرر انه قد أدهشه من المتهمة ساعة القبض عليها



بر ودها وعدم مبالاتها ! .. وتثور جورجيت لدى سماعها هذا القول فتتهم مأمور البوليس بأنه أراد مراودتها عن نفسها فرفضت ! .. ويصرخ هو بدوره منكرا : « هذا افتراء كاذب ! »

ثم يشهد لوسيان ليفى شقيق أرملة القتيل بأنه حضر قبل يوم وقوع الجريمة عدة مشاجرات عنيفة نشبت بين جورجيت والمجنى عليه ..

ويتلوه « ادوارد كاهن » صانع الحلى الماسية فيقرر أنه هو الذى كان وسيط التعارف بين المتهمة والمجنى عليه فى البداية . وانه التقى بالمتهمة ذات يوم فى ميدان فندوم ، بعد انقطاع علاقتها بعشيقها المذكور ، فقالت له عنه « انه بخيل قذر ، ولسوف أقتله ! » .. فلما نقل قولها الى ايشسكى أجابه هذا بأنها تريد منه أن يدفع لها مائتى ألف فرنك ! .. وهى « اتاوة » غير معقولة !

وعند هذا الحد من شهادة « كاهن » تقاطعه المتهمة صائحة بحدة : « ياللفظاعة ! .. لقد طالما حسبتك « جنتلمانا » .. وها أنت تختلق هذه الأقوال ! »

ثم يأتى « رابينوفتز » ــ من أصدقاء القتيل ــ فيقرر أنه حين توسط لدى المتهمة لتخفض الاتاوة أجابته : « ما دام هو يوسط أصدقاءه فى الأمر فسأرفع المبلغ من ٢٠٠ الى ٥٠٠ ألف فرنك ! »

القاتلة ، وأم القتيل .. وجها لوجـه !

● ثم نوديت مدام ايشسكى ـ والدة القتيل ـ لكنها لم تكد تبلغ منصة الشهود حتى قررت المحكمة الاستغناء عن سماع شهادتها .. وفى هذه اللحظة نهضت المتهمة فهتفت بها : « اصفحى عنى ! »

وكأنما نكأت هـذه الصيحة من القـاتلة جرح قلب الأم المكلوم ، فحاولت أن تتكلم ، لكن العبارة انحبست فى حلقها .. وانكفأت على وجهها فاقدة الرشد !

وحملوها الى الخارج ..

وأوقفت الجلسة وسط هرج الحاضرين وصخبهم .. وحين أعيدت بعد فترة الاستراحة سمعت المحكمة مرافعات كل من مسيو «ادزكوفسكى» ومسيو «موروجيا فيرى» ، المحاميين عن أسرة القتيل المدعية بالحق المدنى .. ثم مرافعة مسيو « برتون » المحامى عن المتهمة ..

وبعد أن خلت المحكمة للمداولة أصدرت حكمها على ملكة الجمال « جورجيت هودو » بالسـجن عشرين عاما .. مع الأشغال الشاقة !

رياضة الذهن



غوامض القصص البوليسى!

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب ، فى «كتابى» السابق ، قصة « لغز المرأة المختفية » للروائية المعاصرة أجاثا كريستى ..

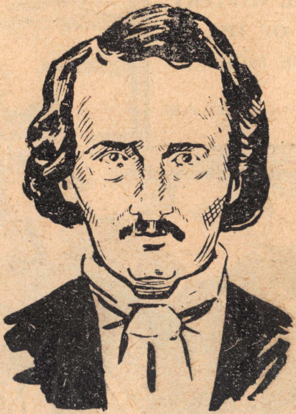
وفى هذا العدد انتقل بك من «لندن» - حيث جرت وقائع القصة السابقة - الى « باريس » ، حيث تدور وقائع القصة التى تقرأها فى الصفحات التالية ..

وفى الأعداد التالية نطوف معًا ببقية عواصم العـــالم ، حيث تدور وقائع القصص البوليسية الآتى بيانها :

مغامرة الطلبة الثلاثة (سير أرثر كونان دويل) - وبطلها شرلوك هولمز .. رجل البوليس الشاعر (ادجار والاس) ... البطاقة الثالثة عشرة (فيليبس اوبنهايم) .. المسافر الغامض (موريس لوبلان) - وبطلها أرسـين لوبين .. سرقة الجواهر من فندق متروبوليتان (اجاثا كريستى) - وبطلهـا هركول بوارو ... قراء الغيب (ادجار والاس) ... الخطاب المسروق، الحشرة الذهبية (ادجار آلان بو) ... قضية مستر ومسز ستنتسون (فيليبس اوبنهايم) ... جريمة ممرضة (اجاثا كريستى) ... ختم « نبوخذ نصر » (أوستن فريمان) .. الخ


THE MYSTERY
OF THE
RUE MORGUE
By
EDGAR ALLAN POE
إدجار آلان پو
جريمة شارع "مورج"

المؤلف



كتب « ادجار آلان بو » ـ مؤلف هذه القصة ـ يوما يقول : « ان أمريكا هى البلد الذى يحتقر فيه الفقير ، أكثر من أى بلد آخر على وجه الأرض ! » .. وقد بنى « بو » هذا الرأى على تجاربه الشخصية المريرة ، فان حياته التعسة المضطربة كانت حافلة بالمصاعب والفاقة والحرمان .. فقد ولد فى ١٩ يناير سنة ١٨٠٩ فى مدينة بوستون ، ثم حرم من أبيه الذى هجر أمه ، فى صباه الباكر .. وبعد قليل ماتت الأم ، فأخذ ليعيش فى كنف تاجر تبغ غنى بمدينة ريتشموند يدعى « جون آلان » .. وحين كبر التحق بجامعة « فرجينيا » عاما واحدا أدمن خلاله الخمر والقمار ، ثم تشاجر مع أبيه بالتبنى بسبب هذا الادمان وأمور أخرى فترك منزله ـ سنة ١٨٢٧ ـ وعاد خالى الوفاض الى مسقط رأسه حيث نشر ثلاثة دواوين للشعر لم تظفر بالنجاح ـ وان كان أولها يعتبر اليوم من أعظم دواوين الشعر الأمريكى !

ثم انخرط بو فى الجيش والتحق تبعا لذلك بأكاديمية « وست بوينت » الحربية .. لكنه لم يلبث أن فصل منها فانتقل الى مدينة « بلتيمور » حيث عاش مع عمة له ، وتزوج من ابنتها « فرجينيا » .. وفى تلك الأثناء كان قد بدأ يكتب القصة القصيرة ، البوليسية بصفة خاصة ، فلقى فيها نجاحا ملحوظا . وفى سنة ١٨٣٥

جريمة شارع مورج

● أثناء اقامتى فى باريس ذات ربيع ، تعرفت الى من يدعى « أوجست دوبان » وهو شاب من أسرة عريقة ناء عليها الدهر وصروف الزمان فافتقرت ، وأحدثت الكارثة أثرها فى نفسية الشاب فانطوى على نفسه ويئس من استرداد ثروته

عين سكرتيرا لتحرير مجلة ((مسنجر)) الأدبية . وبعد عامين انتقل الى فيلا دلفيا حيث واصل طريقه فى نفس الميدان ، ونبغ فى تأليف قصص الرعب بصفة خاصة .

وفى ١٨٤٤ انتقل الى نيويورك ، وهناك كتب قصيدة ((الغراب)) التى خلدت اسمه كشاعر من الطراز الأول .. ثم عين محررا فى جريدة ((برودواى)) لكن الجريدة فشلت بعد قليل .. وفى سنة ١٨٤٧ ماتت زوجته فأفرط فى الشراب وأدمن الأفيون ! .. وفى سنة ١٨٤٩ زار مدينة ريتشموند وخطب فتاة كان قد أحبها قبل زواجه الأول ، وأثناء عودته عثر أحدهم عليه مخمورا يهذى فى أحد شوارع بلتيمور .. وبعد ثلاثة أيام ـ يوم ٧ أكتوبر ـ مات ميتة غامضة لم تعرف ظروفها أو أسبابها حتى الآن !

ويعتبر ((بو)) من أعظم كتاب القصة البوليسية وقصة الرعب ، الخالدين على مر العصور ! .. حتى ليعد أكثر كتاب العالم الذين نبغوا فى هذين البابين ، من تلاميذه ومنتهجى طريقته ! .. ومن أشهر قصصه المرعبة ((منزل أشر)) و ((الشرك والبندول)) و ((السقوط فى الدوامة)) .. أما قصصه البوليسية فأشهرها ((الخطاب المسروق)) و ((الحشرة الذهبية)) و ((جريمه شارع مورج)) ـ التى تقرأها فيما يلى ـ ثم ((قضية مارى روجيه)) التى يروى فيها قصة جريمة واقعية حل هو لغزها لسلطات البوليس بالفعل وأثبت التحقيق صدق فراسته بشأنها ! .. ومن المأثور عنه أنه عندما بدأ ((تشارلس ديكنز)) ينشر فى احدى الصحف فصول قصته المسلسلة ((برنابى ردج)) كتب ((بو)) البقية التى لم تكن قد نشرت من القصة وأرسلها الى ديكنز ، فجاءت مطابقة فى جميع تفصيلاتها ودقائقها للقصة الأصلية ، بحيث أجاب ديكنز على رسالته متسائلا ((هل أنت على صلة بالشيطان ؟))

.. وأغرق همه فى القراءة والاطلاع على أكبر عدد من الكتب التى تقع فى متناوله ، فنما خياله واتسع أفق تفكيره ..

ومنذ عرفته صرنا نلتقى كثيرا ، فيحدثنى عن مطالعاته ، وعن ماضيه وحاضره ، بصراحة الفرنسى حين يفتح قلبه لصديق ! .. وذات مساء كنا نتصفح عددا من ((صحيفة

المحاكم » (جازيت دى تريبينو) ، حين استرعى نظرنا فى احدى صفحاتها النبأ التالى :

جرائم قتل غامضة !

« فى نحو الساعة الثالثة من فجر اليوم ، استيقظ سكان حى « سان روش » من نومهم فزعين على صوت صرخات مروعة متتابعة صادرة من مسكن بالطابق الرابع من أحد بيوت شارع « مورج » ، تقطنه امرأة تدعى مدام لسباناى وابنتها المدموازيل كامى لسباناى ! .. فهرع جنديان ونحو عشرة من الجيران نحو مصدر الاستغاثة ، لكنهم عجزوا عن دخول المسكن الا بعد أن أضاعوا بعض الوقت فى تحطيم بابه بالقوة .. واذ ذاك تفرقوا يفتشون الحجرات على عجل ، حتى وصلوا الى الحجرة الأخيرة فوجدوها موصدة بالمفتاح من الداخل . وحين حطموا الباب ودخلوها روعوا برؤية منظر آثار ذعرهم ودهشتهم فى آن معا ! .. فقد كانت الغرفة فى حالة فوضى كاملة ، وقد قلب كل أثاثها ومحتوياتها رأسا على عقب .. ورفعت « مرتبة » السرير الموجودة بها والقيت على الأرض .. وانتثرت فى أنحائها خصلات كثيفة من الشعر الآدمى ملوثة بالدم ، كأنما انتزعت من جذورها ! .. وموسى حادة ملوثة بالدم أيضا .. ثم قرط من الياقوت الأصفر ، وثلاث ملاعق فضية كبيرة ، وأخرى معدنية أصغر منها .. وحقيبتان تحويان نحو أربعة آلاف فرنك من الذهب .. ووجدت تحت « المرتبة » خزانة حديدية صغيرة مفتوحة ، ومفتاحها عليها .. وليس فيها غير بضعة خطابات قديمة وأوراق لا أهمية لها ..

ولم يعثر لمدام لسباناى نفسها على أى أثر .. أما ابنتها فقد اكتشفت جثتها محشورة فى أعلى فجوة المدفأة ، وكانت ما تزال دافئة بآثار الحياة ! .. وبفحصها وجدت بها تسلخات وسجحات عديدة فى وجهها ورقبتها ، عدا كدمات قاتمة وآثار أظافر فى أماكن متفرقة من جسمها ، مما يوحى بأنها قتلت خنقا !

وحين يئس رجال الشرطة من العثور فى المسكن على آى دليل آخر يفيد التحقيق ، مضوا ليعاينوا فناء صغيرا مرصوفا يقع خلف المبنى ، وهناك وجدوا جثة الأم مشوهة تشويها بشعا وقد فصل رأسها عن جسمها تقريبا ..

وما يزال المحققون عاجزين عن الاهتداء الى مفتاح هذه الجريمة الغامضة »

● وفى اليوم التالى طلعت الصحيفة ذاتها على قرائها بمزيد من التفصيلات عن سير التحقيق فى الجريمة فجاء فيها :

« ما يزال الغموض يكتنف جناية شارع مورج التى سردنا تفصيلاتها فى عدد امس .. وفيما يلى بعض ما نستطيع نشره من أقوال الشهود الذين سمعوا فى التحقيق :

شهادة بائع السجاير

● قرر « بيير مورو » صاحب حانوت السجائر القريب من منزل المجنى عليهما أن الأم اعتادت أن تشترى منه تبغا وسعوطا منذ نحو أربع سنوات ، وانها تقطن المسكن مع ابنتها منذ ست سنوات ، لم يقع خلالها بصر الشاهد على الابنة غير خمس أو ست مرات ، فقد كانت وأمها تعيشان معيشة عزلة وانطواء .. وعرف عنهما أنهما تملكان ثروة لا بأس بها . وقد سمع الشاهد من بعض الجيران أن الأم كانت تقرأ الطالع والغيب ، لكنه لم يصدق ذلك .

شهادة الشرطى

● وشهد « ايزيدور موزيه » الشرطى بأنه لم يكد يسمع صرخات المرأتين حتى خف الى مصدرها فوجد نحو عشرين أو ثلاثين شخصا يحاولون اقتحام الباب الخارجى للمنزل .. واستمرت الصرخات حتى تمكن القوم من تحطيم الباب ، وعندئذ توقفت فجأة .. فصعد الشاهد ومرافقوه السلم عدوا ، وحين بلغوا الطابق الأول سمع صوتين يتشاجران فى غضب وانفعال : أحدهما صوت خشن أجش ، والآخر صوت حاد غريب من نوعه ... واستطاع الشاهد أن يميز من صدى الصوت الأول أنه لرجل – لا امرأة – يتكلم الفرنسية ، بل انه سمع من كلامه لفظى «مقدس» و « يا للشيطان ! » أما الصوت الآخر الحاد فهو صوت شخص أجنبى ، يغلب على ظنه أنه كان يتكلم الأسبانية ، ولا يستطيع الجزم بما اذا كان رجلا أم امرأة !

شهادة الجواهرى

● ثم سمعت شهادة جواهرى من جيران المجنى عليهما ، ويدعى « هنرى دوفال » ، فأيد شهادة الشرطى فى مجموعها ، وان رجح أن صاحب الصوت الحاد كان يتكلم الايطالية – لا الأسبانية ! – لكنه عجز عن الجزم بما اذا كان المذكور رجلا أم امرأة .. وان كان يقطع بأن الصوت لم يكن صوت واحدة من القتيلتين !

شهادة صاحب المطعم

• وشهد صاحب مطعم مجـاور يدعى « اودينهايمر » ـ وهو هولندى لا يتقن الفرنسية ـ بما يؤيد الشهادة السالفة فى كل تفصيلاتها ، فيما عدا جنس صاحب الصوت الحاد وجنسيته .. فقد أكد أنه كان رجلا لا امرأة ، وانه كان يتكلم الفرنسية ! .. أما صاحب الصوت الأجش فقد ميز الشاهد من صياحه كلمات : « مقدس » و « شيطان » ثم « يا الهى ! »

شهادة مدير البنك

• وتلا ذلك سماع أقوال المدعو « جول مينو » مدير بنك « مينو وولده » بشارع ديلورين ، فقرر أن مدام لسباناى قد فتحت حسابا جاريا عنده منذ ثمانى سنوات ، أضافت اليه فيما بعد عدة مبالغ صغيرة من المال .. ولم تسحب من حسابها شيئا الا قبل وفاتها بثلاثة أيام ، حين سحبت منه أربعة آلاف فرنك ذهبا ، حملها الى بيتها موظف من البنك .

واستدعى المحقق الموظف المذكور ـ ويدعى « أدولف ليبون » ـ فقرر أنه فى اليوم المذكور صحب مدام لسباناى الى بيتها حاملا فى يديه حقيبتين تحويان المبلغ المسحوب ، فلما فتحت ابنتها الباب أخذت من يده احدى الحقيبتين ، بينما أخذت أمها الحقيبة الأخرى ، ثم حياهما وانصرف .. ولم يصادف أحدا من الناس سواء عند دخوله أو خروجه من البيت .

شهادة « الترزى »

• وسئل الشاهد التـالى عن معلوماته ـ وكان حائكا للثياب انجليزى الجنسية يعيش في باريس منذ عامين ـ فاختلفت أقواله فى صدد جنسية صاحب الصوت الحاد عن كل من سبقوه ، اذ رجح أن يكون ألمانيا ، رجـلا أو امرأة ! .. أما الآخر صاحب الصوت الأجش فقد كان صوت رجل فرنسى ، سمع من كلامه ألفاظ : « مقدس » ، « يا الهى ! » .. كما سمع ضجيجا بدا له كأصوات عدة أشخاص مشتبكين فى صراع عنيف !

وأجمع أربعة من الشهود السابقين على أن باب الغرفة التى وجدت بها جثة الفتاة كان موصدا من الداخل ، وكذا جميع نوافذ الغرفة كان خشبها

مسدلا وموصدا - (يلاحظ أن خشب النوافذ فى فرنسا يسدل من أعلى الى أسفل ، ولا يغلق من اليمين أو اليسار كما هو الحال فى مصر) .. أما الفترة التى انقضت بين سماع أصوات المتشاجرين وبين اقتحام باب الغرفة المذكورة فقد قدره بعض الشهود بثلاث دقائق ، وقدره البعض الآخر بخمس . وحين اقتحم الباب فى نهاية هذه الفترة كان السكون يسود الغرفة ، وليس بها انسان.. عدا جثة الابنة القتيلة !

شهادة الحلوانى

• أما الشاهد التالى - وكان بائعا للحلوى ايطالى الجنسية من جيران المجنى عليهما ، يدعى « البرتو مونتانى » - فقد جاء برواية جديدة مخالفة للروايات السابقة جميعا ، اذ رجح أن صاحب الصوت الحاد كان يتكلم « الروسية » ، وبلهجة سريعة .. أما غريمه ذو الصوت الأجش فكان يتكلم الفرنسية ويبدو فى لهجته الاحتجاج أو العتاب والجدل .. !

شهادة الطبيب الشرعى

• وقرر الطبيب الشرعى « بول دوماس » انه حين استدعى لفحص الجثتين قبيل الفجر ، وجد الأولى - جثة الأم - مشوهة تشويها كبيرا ، وجميع عظام ساقها وذراعها اليمنيين مهشمة ! .. أما جثة الفتاة فقد وجد بها تسلخات - قد تكون من أثار حشرها فى فجوة المدفأة ، فضلا عن جروح عميقة وآثار زرقاء لأصابع عند الرقبة ، واصابة فى سرة البطن ناتجة عن ضغط ركبة القاتل ! .. أما العينان فكانتا جاحظتين فى محجريهما ، واللسان نصف مقطوع .. !

لا أثر للقاتل .. أو القتلة !

• أما بصدد كيفية فرار القاتل - أو القتلة - فقد أجمع الشهود على أن ماسورة المدفأة لا يمكن أن تسمح بفرارهم عن طريقها .. (بعد أن سدت منافذ الفرار الأخرى بوجود باب الغرفة ونوافذها موصدة من الداخل !) .. كما لم تكن للبيت سلم أخرى يحتمل فرار الجناة عن طريقها أثناء صعود الشهود الى المسكن .. والأغرب من هذا أن جثة الابنة وجدت محشورة فى فجوة المدفأة بشدة بحيث لم يتيسر جذبها منها الا بقوة أربعة أو خمسة أشخاص متعاونين !

وهكذا يظل لغز هذه الجريمة التى لم تشهد باريس من قبل مثيلا لها فى غموضها ، مستعصيا على الحل .. !

المتهم البرىء !

● وفى الطبعة المسائية من « صحيفة المحاكم » آضافت الجريدة أن التحقيق ما يزال يدور فى جو يكتنفه الغموض التام ·· وأن المنزل الذى وقعت فيه الجريمة قد أعيد تفتيشه مرارا بكل دقة وعناية ·· ولكن دون الاهتداء الى أى خيط أو دليل يرشد المحققين الى مفتاح القضية . . وفى النهاية ألقى القبض على « أدولف ليبون » ، موظف البنك الذى حمل حقيبتى النقود الى مسكن المجنى عليهما ، وان لم تقم ضده أدلة جدية . . !

ولمحت على وجه صديقى « أوجست دوبان » وهو يقرأ النبأ دلائل الاهتمام بتطورات القضية . . ثم سألنى رأيى فيها ، فقلت انى أشارك أهل باريس جميعا اعتقادهم انها لغز لا حل له ! ·· لكنه أجابنى بقوله : « فلنقم نحن ببعض التحريات لحسابنا الخاص » . . وحصلنا على التصريح اللازم لدخول مسرح الجريمة · وبعد أن قادنى صديقى فى جولة فحص فيها بكل عناية وتدقيق كل ما يحيط بالمنزل من الخارج ـ دون أن أفهم أنا مبررا لذلك ! ـ مضينا الى داخل المسكن ، حيث عاين دوبان جميع الغرف وفحص جثتى القتيلتين ـ وكانتا ما تزالان هناك ـ حتى هبط الظلام فانصرفنا ··

لغز الصوت « الاجنبى » الحاد !

● وآثر صديقى الا يناقش فى الموضوع حتى ظهر اليوم التالى ، حين ناولنى فجأة مسدسا معبأ ، ثم دس فى جيبه آخر وهو يقول : « قد نحتاج الى استخدامهما بعد لحظات ·· اذا صحت استنتاجاتى ! » ·· وحين رآنى أحملق فيه مدهوشا ، بدأ يشركنى فى أفكاره ، فقال : « لعلك لاحظت

اجماع الشهود على أن صاحب الصوت الأجش كان فرنسيا ، واختلافهم ذلك الاختلاف العجيب فى صدد جنسية زميله الآخر صاحب الصوت الحاد ! ·· ولو أمعنت التأمل فى شهاداتهم لوجدت أن كلا منهم نسبه الى جنسية لا يعرف هو لغتها ، أو بعبارة اخرى الى « لغة » تخالف اللغات التى يعرفها ·· فالفرنسى الذى لا يعرف الاسبانية رجح أن تكون لغة القاتل اسبانية ! ·· والانجليزى الذى لا يعرف الالمانية رجح أن يكون القاتل ألمانيا !·· والايطالى الذى لا يعرف الروسية ارتاب فى أن يكون روسيا ! ·· والفرنسى الآخر الذى لا يعرف الايطالية توهم أن القاتل كان يتكلم الايطالية ! .. فماذا يكون ذلك الصوت الغريب الذى اختلف بشأنه الشهود كل هذا الاختلاف ؟ ·· لقد وصفه أحدهم بأنه سريع ، ووصفه آخر بأنه غير منتظم المقاطع ·· ولم يستطع أحد منهم أن يميز منه أية كلمة مفهومة أو نبرة تشبه الكلمة المفهومة ··!

كيف اختفى القاتل ؟

● « والآن دعنا ننتقل الى نقطة أخرى : كيف خرج القاتل أو القتلة من المسكن خلال الدقائق الثلاث أو الخمس التى انقضت بين سماع الشهود لتلك الاصوات المختلطة وبين اقتحامهم الغرفة التى وقعت فيها الجريمة ؟ ·· لقد وجد باب الغرفة موصدا من الداخل ، والمدفأة لا يمكن أن تسمح بمرور جسم آدمى من ماسورتها! .. واذن لا يبقى أمامنا غير النافذة . ورغم أنها بدورها وجدت مغلقة من الداخل فان علينا أن لا تقنع بما قد يبدو ظاهريا من استحالة الفرار عن طريقها !

« ومن هنا وضعت همى فى فحص كل ملليمتر من النافذة وخشبها واطارها ·· ولم يكن أمامى غير احتمال واحد ، هو

أن القاتل أو القتلة قد فروا منها ثم أغلقوها من الخارج ، أو أغلقت من تلقاء نفسها بطريقة آلية على أثر احتكاكهم بهـا عند خروجهم ! .. وهذا لا يمكن أن يحدث الا اذا كان بها لولب أو زنبرك (سوستة) يجعلها تنصفق بمجرد دفعها من الخارج بقوة !

« وهذا الزنبرك المنشود هو الذى جعلت همى أن أعثر عليه فى النافذة ، حتى اكتشفت مكانه داخل الافريز الداخلى لاطارها .. !

هل هو بهلوان ؟

● « واجهتنى على أثر ذلك مشكلة كيفية هبوط القـاتل الذى خرج من النافذة ، من الطابق الرابع الى الأرض ! .. وقد لاحظت وجود « مانعة صواعق » قريبة من الجدار الخـارجى للمنزل ، وان كان يصعب الانتقال منها الى النافذة أو بالعكس الا بحركة بهلوانية جريئة خارقة ، لا تتوفر لغير الذين قضوا أعواما يتدربون – فى سيرك مثلا ! – على هـذا النوع من المخاطرات !

القاتل لم يسرق !

● « والآن دعنا ننتقل بتحرياتنا وملاحظاتنا الى داخل الغرفة .. فماذا نجد ؟ نجد القاتل قد ترك الحقيبتين المملوءتين ذهبا ، واللتين كانتا أمام عينيه ، وهـذا الاعتبار وحده كاف لتبرئة موظف البنك المسكين ، المقبوض عليه بتهمة أنه قتل المرأتين طمعا فى الاستيلاء على هذا المبلغ من الذهب بالذات !

« ثم لا تنس أن جثة الابنة قد وجدت فى فجوة المدفأة مقلوبة رأسا على عقب ، ومحشورة بقوة لم تكف معها لجذبها من مكانها الا جهود أربعة رجال مجتمعين ! .. ولعلك توافقنى

على أن القاتل العادى لا يلجأ الى كل هذه الحركات الوحشية التى شوه بها جثة القتيلة ، دون مبرر ، حتى لو افترضنا انتسابه الى أحط طبقات البشر !

« وعلى ذكر قوة القاتل الخارقة ـ فضلا عن خفته البهلوانية غير العادية التى أشرت اليها ـ ألفت نظرك الى خصلات الشعر الكثيفة التي وجدت فى الغرفة وقد اقتلعت من جذورها اقتلاعا وحشيا ، بحيث انتزعت معها أجزاء من لحم الرأس ! .. وهو أمر يستلزم قوة جبارة لا تستطيع تصورها ! أضف الى ذلك أن رأس الأم قد وجدت شبه منفصلة عن جسمها ، مع أنها ذبحت بموسى عادية هى التى وجدت فى الغرفة ملوثة بالدم !.. وهذا دليل آخر على قوة القاتل الخارقة للطبيعة .. !

« والآن ، أريدك أن تصارحنى بالفكرة التى رسخت فى ذهنك عن القاتل ، على ضوء هذه الحقائق التى سردتها عليك ، وهى : قوته الجثمانية غير العادية ، وخفته البهلوانية ، ووحشيته المروعة ، وزهده فى الحقيبتين المملوءتين ذهبا، وصوته الحاد الغريب الذى لم يفهمه واحد من الشهود رغم اختلاف مواطنهم وجنسياتهم ! .. بل لم يستطع أحدهم أن يميز مقطعا واحدا منه !.. »

هل القاتل مجنون خطر ؟

● فأجبت دوبان وقد سرت رعدة فى أوصالى وفى خيالى : « لا بد أن القاتل مجنون خطر قد فر من مصحة أمراض عقلية قريبة ! »

فأجابنى محدثى : « ان استنتاجك قريب الى الصواب ، وله ما يبرره .. ولكن ينبغى أن تعرف أن أصوات المجانين حتى وهم فى أعنف ثوراتهم ، لا تنطبق على الاوصاف التى

أجمع عليها الشهود ٠٠ فالمجنون شخص ينتمى على أية حال الى جنسية ، ووطن ، ولغة مفهومة ! ٠٠ يضاف الى ذلك أن هذه الشعرات التى استخلصتها عنوة من قبضة الأم القتيلة لا يمكن أن تكون قد انتزعت من شعر رجل مجنون ! »

فهتفت دون وعى : « دوبان ! هذا الشعر غير مألوف ٠٠ انه ليس شعر آدمى ! »

فأجابنى صديقى : « انى لم أجزم بعد بهذا الأمر ٠٠ ولكن تأمل معى هذا الرسم الذى نقلت عليه أبعاد الجروح والاصابات الناشئة عن أظافر القاتل التى غرسها فى رقبة ضحيته ٠٠ ثم أطو الرسم حول هذه الاسطوانة الشبيهة بالرقبة ، وحاول أن تجعل أظافرك تنطبق على موضع أظافر القاتل ! »

قمت بالمحاولة ، لكن الفارق بين المقاسين كان شاسعا !٠٠ فقلت لدوبان : « لا يمكن أن تكون هذه الآثار ليد بشرية ! » ٠٠ واذ ذاك قدم لى صديقى كتابا علميا ضخما وقال لى : « والآن اقرأ هذه الفقرات ٠٠ »

مفتاح اللغز ٠٠ !

● كان الكتاب يتضمن وصفا « تشريحيا » مفصلا لحيوان « الغوريلا » الذى يعيش فى جزائر الهند الشرقية ، ويتحدث عن ضخامة جسمه ، وقوته الجبارة ، وخفة حركته البهلوانية ، ووحشيته المروعة ، ونوع شعره ــ الذى يطابق الشعرات التى وجدت فى يد القتيلة ! ٠٠ الخ ٠٠ لكننى تذكرت وأنا أفرغ من قراءة الوصف ما أجمع عليه الشهود من أنهم سمعوا الى جانب الصوت الحاد غير المفهوم صوتا خشنا لفرنسى

يقول : « يا للشيطان ! .. يا آلهى ! » .. فسألت محدثى تفسيرا لذلك ، فقال :

« لقد فكرت طويلا فى مغزى هاتين الكلمتين ، فخرجت من تفكيرى باحتمال أن يكون قائلهما رجلا فرنسيا له صلة بالغوريللا المذكورة ، كأن تكون فرت منه مثلا فتبعها الى ذلك المنزل حيث رآها ترتكب جريمتها الوحشية دون أن يستطيع منعها .. بل لعله قد عجز عن اعتقالها بعد هياجها على النحو الذى دفعها الى فعلتها الوحشية .. فاذا صح استنتاجى وكان الفرنسى بريئا من الاشتراك فى القتل فان هذا الاعلان الذى نشرته اليوم فى صحيفة « لوموند » قد يقود صاحبنا الى هنا فى أية لحظة ! .. »

وناولنى دوبان صحيفة اليوم مشيرا الى فقرة فيها تقول :

« ضبط فى غابة بولونيا فى ساعة مبكرة من صبيحة .. (الموافق ليوم وقوع الجريمة) حيوان غوريلا ضخم من الفصيلة التى تكثر فى جزيرة بورنيو . ويستطيع صاحبه ـ وهو بلا شك بحار تابع لاحدى السفن المالطية ـ ان يسترده بعد اثبات ملكيته له ودفع النفقات الضرورية التى تكلفها صيده والمحافظة عليه ، اذا قصد الى الطابق الثالث من المسكن رقم ... شارع « سان جرمان »

ولم أملك فضولى فسألت دوبان : « وكيف عرفت أن صاحبنا بحار ، وفى سفينة مالطية على وجه التحديد ؟ » .. فأجابنى : « استنتجت ذلك حين عثرت عند قاعدة مانعة الصواعق على شريط لزج من تأثير زيت الشعر ، من النوع الذى يغرم البحارة بربط شعرهم به ، وقد وجدته معقودا بطريقة مأثورة عن البحارة المالطيين بالذات ! .. وأغلب ظنى أن صاحبنا حين يقرأ الاعلان سيحسب أن شخصيته قد عرفت ، باعتباره مالكا للحيوان ، فى الوقت الذى لن يخطر فيه بباله أن



الذى عثر على الغوريللا فى ذلك المكان النائى عن مكان الجريمة سوف يربط بينها وبين الجريمة الغامضة المذكورة .. سيما وهو يشعر فى قرارة نفسه أنه برىء ، وانه يستطيع أن يبيع ذلك الحيوان النادر بمبلغ مغر !»

يقع فى الفخ

● ولم يكد صاحبى يفرغ من عبارته حتى سمعنا خطوات تصعد السلم .. ثم دخل بحار ضخم الجسم قد لوحت الشمس بشرته .. فدعاه دوبان الى الجلوس وتبسط معه فى الحديث عن الغوريللا ، قائلا انه يحسده على امتلاكها .. حتى بدد خوفه من احتمال أن يكون قد وقع فى فخ مدبر !.. ثم سأله عن سنها ، فقال انها تتراوح بين أربع وخمس سنوات .. وفيما هما يتفاوضان فى الأجر الذى يدفعه البحار مقابل استعادة حيوانه ، قال له صاحبى فى هدوء : « انى سأقنع منك بمقابل بسيط .. هو أن تحدثنى بكل ما تعرف عن جريمة شارع مورج ! »

ودون وعى منه ، قفز البحار على قدميه ومد يده الى هراوة ضخمة من خشب البلوط كان قد احضرها معه .. لكنه قبل أن يهم باستخدامها فوجىء بمسدس دوبان مصوبا اليه .. فأدرك عقم المقاومة ، وتهالك على المقعد لاهث الأنفاس وجسمه كله يرتجف كشخص يوشك أن يسقط ميتا !

وابتدره صديقى : « انك تزعج نفسك بلا داع يا صاحبى ٠٠ فأنا أعلم انك برىء ، ولست أريد بك شرا ٠٠ لكن واجبك يقتضيك أن تعترف بكل شىء ، كى لا يؤخذ المتهم المعتقل بجريمة هو برىء منها ! »

وبعد أن حصل البحار على وعد من دوبان بأن يحميه من نتائج اعترافه ، قدر طاقته ٠٠ اندفع يروى قصة الجريمة فى لهفة من يريد التخلص من عبء يجثم على صدره :

الاعتراف ٠٠!

● قال انه اصطاد الغوريللا خلال رحلته الأخيرة الى جزيرة بورنيو ، ثم جلبها معه كى يبيعها فى باريس بثمن مرتفع ، سواء الى حديقة الحيوان أو الى ثرى من هواة اقتناء الحيوانات النادرة ٠٠ ومنذ حضوره حرص على حبس الغوريللا فى احدى حجرات مسكنه ، حتى تتاح له الصفقة الرابحة ٠٠ لكنه عاد الى بيته ليلة وقوع الجريمة فوجد الحيوان قد حطم باب « سجنه » وقبع أمام المرآة التى فى حجرة صاحبه المجاورة ، وفى يده موسى يجريها على خده محاولا تقليد حركة سيده أثناء الحلاقة ، كما اعتاد أن يراه مرارا من خلال الباب الذى يفصل الغرفتين ٠٠

وفزع صاحبنا لدى رؤية السلاح الخطر فى قبضة الحيوان الخطر ، فتناول سوطه الذى اعتاد أن يروضه به كى يعيده الى سجنه ٠٠ لكن الحيوان لم يكد يلمح السوط حتى اندفع نحو باب الغرفة وانطلق منها مسرعا نحو أقرب نافذة فقفز منها الى الشارع ٠٠ قبل أن يتبين صاحبه المسكين خطورة ما حدث !

واستمر « السباق » بين الاثنين فى شوارع باريس الساكنة ، فى تلك الساعة من الليل ، حتى جذب النور المضاء فى مسكن المرأتين انتباه الغوريللا الهائجة ، فتسلقت مانعة الصواعق وقفزت منها خلال النافذة المفتوحة الى داخل المسكن .. وهنا خشى صاحبها مغبة ما قد تفعله فى الداخل ، فتسلق مانعة الصواعق فى اثرها .. لكنه عجز عن القفز الى الحجرة ذاتها ، فبقى فى مكانه يلمح مذعورا طرفا مما يجرى فى الداخل ، دون أن يملك له منعا !.. وكان الوحش الهائج قد رفع مدام لسباناى من شعرها وراح يجرى الموسى على رقبتها ووجهها مقلدا حركة سيده حين يحلق لحيته !.. بينما أغمى على الابنة من شدة الفزع ..

وزاد منظر الدم من هياج الغوريللا فأجهزت على الأم ثم أنشبت مخالبها فى رقبة الفتاة المغمى عليها حتى خنقتها .. واذ ذاك حانت منها نظرة الى خارج النافذة - حيث كان وجه سيدها مطلا من مكانه على المشهد ، لا يملك غير أن يهتف عاجزا « يا للشيطان ! . . يا الهى ! » - وهنا أدركت الغوريللا ولا ريب انها قد فعلت ما تستحق أن تعاقب عليه ، وقد يكون لاح فى خيالها منظر السوط الذى تروض به ، فجن جنونها وأمعنت فى أثاث الغرفة تخريبا وتحطيما ، وهى تهمهم بذلك الصوت غير المفهوم ، ثم تناولت جثة الفتاة فحشرتها فى فجوة المدفاة .. وأعقبتها بجثة الأم فحملتها وألقتها من النافذة .. ثم اندفعت نحو مانعة الصواعق كى تهبط عليها من حيث أتت ! . وهنا كان الفزع من نتائج الجريمة قد بلغ بالبحار

مبلغه فهبط بدوره قبلها وهرع عائدا الى بيته غير عابىء بمصير حيوانه الهائج ٠٠!

وأثنـاء قفزة الغوريللا من النـافذة الى مانعة الصواعق رفصت « الشيش » بقـدمها دون قصد فانصفقت النـافذة وأغلقت من تلقاء ذاتها بواسطة الزنبرك ٠٠ وبعد لحظات دخل الجيران ورجال الشرطة فوجدوا كل شىء ٠٠ هادئا !

●

وسردنا هذه القصة على مسامع المحققين ، فأفرجوا عن موظف البنك البرىء ، واعتبروا البحار غير مسؤول عن جريمة الغوريللا ٠٠ ولم يلبث هذا أن عثر عليها وباعها الى حديقة حيوان « جاردان دى بلانت » بباريس ، مقابل مبلغ سخى !

عزيزى القارىء ..

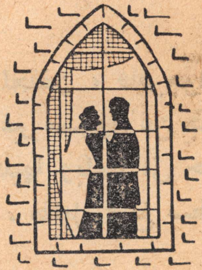
ما أروع لمسات ريشة « دوديه » الساحرة ، وهى ترسم شخصية «فيكتور هوجو » ، ونفسيته - ونفسية كل من زوجته وعشيقته ! - فى هذا الكتاب الرائع الذى يروى بأسلوب شعرى خلاب قصة فجيعة الشاعر الفرنسى العظيم فى .. شرفه !

.. كان « فيكتور هوجو » فى زهرة شبابه ، وقمة مجده الأدبى ، حين اكتشف ذات يوم أن زوجته المحبوبة « آديل » التى تزوجته بعد علاقة حب دامت أعواما .. تخونه مع أعز صديق له : الناقد المشهور ، القبيح الخلقة « سانت بوف » ! !

وبعد تردد طويل ، كاشف هوجو زوجته بشكوكه فى سلوكها ، فأنكرت أنها تخونه ، وان اعترفت بأن الرغبة فى خيانته لا تنقصها ، وانها تحب سانت بوف حبا « شريفا » ! .. ثم اتهمت هوجو بأن خياناته المتكررة لها مع ممثلات المسرح وفتيات الحوانيت هى المسؤولة عن انصراف قلبها عنه !

وتكررت المواقف الموجعة بين الزوجين حتى غدت الحياة بالنسبة لهما جحيما لا يطاق ! .. أما « الصديق » فقد كتب اليه هوجو خطابا بتاريخ ٦ يوليو سنة ١٨٣٤ يناشده فيه أن يرحل عن باريس ، ابقاء على البقية الباقية من صداقتهما الجريحة !

خلف النوافذ المغلقة



عباقرة الإنسانية

فى حياتهم الخاصة


ليون دوديه
مأساة قلب !
قصة غراميات وفواجع
ڤيكتور هوجو
في حياته الخاصة
La Vie Tragique
de
VICTOR HUGO
Par
LÉON DAUDET

(بقية المنشور على صفحة ١٦٢)

● وأطلع سانت بوف خليلته على الخطاب ، ثم أجاب عليه من فوره بخطاب تظاهر فيه بأن عبارات صديقه قد أصابته بجرح عميق .. ثم قال : « أما بصدد المرأة التى تعنيها ، فانى لم أعد أراها على انفراد ، وحتى فى المرات التى لم تكن أنت حاضرا معنا فيها كان هناك دائما آخرون ، ولم يتجاوز اظهارى لمشاعرى نحوها مجرد الاستفسار منها عن صحتها ! »

لكنه كان كاذبا ! .. ففى غياب هوجو ، وغياب الآخرين ، كانت تحدث أشياء كثيرة .. وصفها الصديق الغادر فى ديوانه الشعرى الذى أصدره فيما بعد ، والذى أطلق عليه « كتاب الحب » !

مغامرة مع فتاة الطريق !

● وصارت تشوب نشاط هوجو الأدبى وتطفىء من شعلة ذهنه المتوقد حقيقة باردة كالثلج : « ان زوجتى لم تعد تحبنى ، وانما تحب أعز صديق لى ! » .. وباتت تعذبه شكوكه الحائرة : اين ترى يلتقى العاشقان ؟ وكيف يتراسلان ؟ وماذا يتبادلان من أقوال ؟ !!

وذات يوم انتهز هوجو فرصة خروج زوجته من البيت ففتش مخدعها تفتيشا دقيقا ، وأخذ يعالج فتح دولابها بمختلف المفاتيح التى فى حوزته ، وهو يأمل أن لا ينفتح ، اشفاقا من النتيجة ! .. لكن الدولاب انفتح ، فوجد فيه صورة لسانت بوف فى شبابه الباكر ، مخبوءة وسط ثياب الزوجة الخائنة ..!

وفى ذلك المساء تأخرت أديل عن موعد العشاء بضع دقائق على خلاف عادتها ، وحين أقبلت كانت بادية الاضطراب ، يوحى مظهر شعرها المشعث بأنها قد أعادت تصفيفه على عجل .. وكانت فى عينيها نظرة باردة متغطرسة ! .. وبعد أن تناولت



الأسرة العشاء فى جو من الصمت الكئيب تناول هوجو قبعته وعصاه وغادر المنزل دون أن يخاطب زوجته بكلمة !٠٠وسار حثيث الخطى لا يلوى على شىء ، حتى بلغ نهر السين ، وكانت مياهه تلمع فى ضياء القمر المكتمل،فعبر القنطرة التى تصل بين دفتيه .. ثم اتجه عبر الشوارع الضيقة نحو حى اللوكسمبرج حيث كان يقطن يوما .. وفى ركن مظلم كان مخمور ماجن يصارع فتاة مهيضة الجناح بلا رحمة ، وهى تقاومه ببسالة وتكيل له الصفعات اليائسة ! .. فأنقذها الشاعر من غاصبها وأسلمه الى شرطى ثم انفرد بها يسألها :

ــ ما اسمك يا فتاة ؟

ــ « فانى فانتان » .. وأنا أقطن على بعد خطوات من هنا .. هل لك أن ترافقنى الى مسكنى ؟

وفى مخدعها المتواضع بدأت « فانى » تنضو عنها ثوبها ببطء مثير ، فلمح هوجو من جسدها الشمعى الفاتن ما خلب لبه :

ــ منذ متى احترفت هذه « المهنة » ؟

ــ منذ دخل حبيبى السجن .. هل سمعت بقصة « جان فالج » ؟

ــ الرجل الذى سرق شمعدانات القسيس ؟

ــ بعينه ! .. وعلى أثر اعتقاله حاولت أن ارتزق من العمل كساقية فى حانة ، لكن أصحابها قسوا على .. فعدت الى الحى اللاتينى .

ثم خلعت جوربيها وتمددت على حشايا أريكتها فى وضع يذكر بلوحة الرسام «تيتيان» الخالدة ، فحذا هوجو حذوها .. وكان شعاع القمر يفيض من النافذة فيغمر المخدع بضيائه المعطر ..

وحين انتزع الشاعر نفسه من المسكن الملوث ـ بعد أن أوحت له قصة حبيب الفتاة السجين بشخصية «جان فالجان» بطل قصته الخالدة «البؤساء» ـ أحس بارتياح عميق ، فسار فى الشوارع الساكنة نحو كاتدرائية «النوتردام» وهو لا يملك نفسه من مقارنة جسد الفتاة المرمرى بتحفة رائعة من تحف فن النحت ! .. ثم أقبل الفجر واعدا بيوم صحو ، فلم يأنس هوجو من نفسه ميلا الى أن يعود الى بيته ليأوى الى فراشه ، فقد أحس بانشراح عجيب بدد كآبته وبلبلة فكره .. وامتعه انه لم يعد يتألم . ان صورة سانت بوف الكريهة قد امحت من خياله !

وجاوز فى سيره منعطفا فطالعته الكاتدرائية الشاهقة وقد انطرحت قبابها على سماء صافية ، ورقد «السين» تحت قدميها شريطا من الفضة الزرقاء يتماوج ويختلج بين ذراعى الضفتين ، كجسد غانية ! .. فحدث هوجو نفسه: «ما أبدع الغابة ولا ريب فى هذه الساعة من البكور !» . وقادته قدماه الى سوق «هال» للأزهار ، حيث كانت حزم الزهر تصل كل لحظة مبللة بالندى فتنسق من فورها فى باقات زرقاء وصفراء ووردية وقرمزية ، يختلط عبيرها بالأريج المقبل من الغابات والحدائق ! .. فابتاع الشاعر احداها من امرأة ثرثارة ونادى عربة استقلها الى حيث ترك الأزهار للمدموازيل «ديبريو» الممثلة الناشئة التى أعجب بها أثناء تمثيلها دورا فى مسرحيته «هرنانى»

وأعادت اليه هذه « اللفتة » مرحه وبهجته ، فاعتزم أن يتناول الغداء يوم الأحد التالى بصحبة فتاة الطريق « فانى فانتان » فى حانة (Point du Jour)

اللقاء التالى ..

● وحين تقابلا كانت الفتاة ما تزال مفعمة النفس عرفانا بجميله ، فألقت ذراعيها حول رقبته فى ألفة تامة . وبعد جولة على شاطىء السين تحت سحب تهدد بالمطر وجدا نفسيهما فى الحانة المتواضعة التى كانت الفتاة تعمل فيها زمنا ما . وفيما كانت صاحبتها « مدام ناردييه » تعد لهما وجبة شهية من البيض « الأومليت » وشرائح لحم العجل والنبيذ والجزر ، **خلا الشاعر الى نفسه قليلا .. فعاودته صور أولاده : « ليوبولدين » ذات الصوت العذب ، والولدين ، ثم الصغيره أديل التى لم تقو بعد على الكلام . ترى هل هى أبنته ، أم أبنة الآخر ؟ .. وغلبه شعور بالمرارة القاسية ، فجعل يسائل نفسه : « ماذا أفعل هنا مع هذه البغى ؟ ولم أهمل عائلتى على هذا النحو ؟ »**

وهنا أقبلت المرأة تدعوهما الى الطعام ، فأكلا وشربا بنهم واستمتاع .. ثم أكملا وليمتهما فى فراش متواضع باحدى غرف الطابق الثانى .. حيث كان عصفوران فى قفص يغردان أغاريدهما الشجية .. وقبيل الغروب عاد هوجو الى بيته وهو يقسم لنفسه أن لا يرى « فانتين » مرة أخرى ، خشية أن يتورط فى حبها !!

رائحة الفضيحة تفوح .. !

● بعد بضعة أيام تلقى هوجو خطابا من مجهول ، يكاشفه فيه بأن زوجته وعشيقها سانت بوف يلتقيان فى فندق معين ، ذكر الواشى اسمه وموقعه ! .. لكن هوجو بادر الى احراق

الخطاب وتعمد أن ينسى عنوان الفندق .. فانه برغم شوقه الى معرفة الحقيقة ، كان يخشاها ويرهبها !

وأمست صورة زوجته وعشيقها المشوه ، وهما يتطارحان الهوى ، تفرض نفسها على خياله فتسبب له حشرجة حادة موجعة ! .. كان يتصورها أحيانا تلين لمغازلة سانت بوف ، وجسدها يختلج بقشعريرة الرغبة .. وأحيانا أخرى يخالها تصد هجمات صديقه « الحيوانية » فى مخدعه الذى يعرفه هوجو جيدا ! .. لكن فرصة اللقاء فى ذلك المسكن لم تتح لهما كثيرا فى الواقع ، بسبب خشيتهما ان يداهمهما فيه الزوج المخدوع .. ثم لفرط غيرة صاحبة البيت من زيارات النساء لسكان بيتها العزاب .. !

وذات صباح مشرق من أيام ذلك الصيف ، جلس هوجو فى حجرة مكتبه يقلب من جديد صفحات ديوان « السلوى » الذى أصدره سانت بوف قبل شهور ، فقرأ فى احدى قصائده هذه الأبيات : .

« الى مدام ف . هـ . »

« كلما حانت الساعة الثالثة أحس بشوق الى أن أمضى »
« لأراك .. وهناك أجدك بمفردك أيتها الأم والزوجة العفيفة ، »
« وقد تفرق أطفالك بعيدا فوق خضرة أرض الحديقة .. »
« وزوجك غائب عنك ، خرج من بيته ليحلم ! .. فلا أكاد »
« أدخل عليك ، أيتها الجميلة ، حتى تدعوينى ـ دون أن »
« تنهضى ـ كى أجلس .. ونأخذ فى الحديث ، فأشرع أنا فى »
« فتح مغاليق قلبى لك .. وأدعوك الى ايناس ليلى الطويل ، »
« وفراغ حياتى الموحشة ، وشبابى الذى التهمت الأيام نصفه »
« .. لكنك تجيبيننى بكلمات الصداقة والود .. دون الحب ! »

وهتف هوجو وهو يطالع القصيدة ملتاعا : « أن الأمر من الوضوح بمكان ! هكذا كانت البداية ، ومن هنا جاءت الكارثة .. لشد ما تكون الشفقة خطرة أحيانا .. ويحى ، أو جرى ذلك كله فى بيتى ؟! لقد سرق اللعين حب زوجتى منى .. وأفلح فى ذلك برغم قبحه وتطفله الخبيث .. يا الهى لكم أنا تعس .. ليتنى أموت ! »

وكان صادقا فى صرخته ! .. انه قد فكر فى البداية أن ينتقم لشرفه من الآثمين ، بالصورة التى ينتقم بها سائر الأزواج والعشاق المخدوعون .. لكنه لم يلبث أن عدل عن هذه الفكرة وراوده خاطر آخر أشد الحاحا : أن يوقع بالآثمين عقابا أكثر تهذيبا : ينتحر هو ! وبذلك يضع بين ذينك الجسدين اللذين ينشد كلاهما صاحبه ، عقبة كأداء : جثته !

لكن هذا الخاطر لم يكد يلوح فى ذهنه حتى نحاه عنه خاطر آخر مضاد ، استقاه من نبع كبريائه الذاتى : انها تكون جريمة منه أن « يغتال » على هذا النحو عبقريته الفذة التى هى هبة ونفحة من السماء !

وحين بلغت به هواجسه هذا الحد قذف هوجو بديوان صديقه الغادر الى الأرض ، بكل قوته .. ثم تمالك حنقه فتناوله وأعاده الى موضعه من الرف ، ونكس زعيم شعراء فرنسا الشبان رأسه وقد طنت فى اذنيه أصداء مزعجة ... وبكى !

تفكير الزوجة فى الفرار .. !

● وفى نفس اليوم همست مدام هوجو لعشيقها وهى تتمرغ فى أحضانه : « لن تلبث الحياة أن تغدو بالنسبة الى مستحيلة ، فى القريب العاجل .. حتى لتوشك الظروف أن تضطرنا للفرار معا ! »

لكن قولها أرسل فى جسد عشيقها قشعريرة باردة ! .. كيف ؟ أو يترك هو باريس وأصدقاءه الأدباء ، وكتبه ومطالعاته ؟ ان مجده الأدبى وخبزه اليومى ليعتمدان على عمله .. واقدامه على هذه الخطوة التى تقترحها عليه صديقته لهو الجنون بعينه ! .. ومن هنا أجابها :

ـ وأطفالك ؟

ـ نستطيع أن نتقاسمهما انا وفيكتور ، فآخذ أنا معى طفلتى أديل ـ وكادت تقول : طفلتنا ! ـ ويأخذ هو الباقين .. ماذا ، هل تخشى المسؤولية ؟

ـ ربما ..!

ـ اذن فأنت تريدنى أن أظل أتعذب !

وهمت بأن تروغ من أحضانه مبتعدة ، لكنه جذبها اليه وهمس لها مغازلا : « أعيدى على مسمعى انى كنزك المعبود ! » .. فأطاعته راضية .. ومرة أخرى اذهله لين عريكتها ، وانقيادها له كالمنومة ! انه ما يزال عاجزا عن اغفال فضل القدر فى غزوه لمعشوقته ، واغراء هذه الزهرة بأن تنضو عنها أكمامها ! .. أى سر نفسانى أو فسيولوجى قد جذب الى فراشه هذه المرأة ذات النزوات الغامضة والعواطف الموزعة ، زوجة صديقه الشاب ، الوسيم ، المشهور : فيكتور هوجو ؟ ! .. ذلك هو اللغز الذى استعصى على فهمه ، والذى لن يفتأ يلح على تفكيره ..!

مذلة الزوج المخدوع ..

● أما هوجو ، فقد فشلت محاولاته المتكررة أن يقطع علاقته بفتاة الطريق « فانى فانتان » ، فخلفه الصراع منهوك النفس والجسم ! ورغم استمراره فى ممارسة عمله الأدبى بالسهولة التى ألفها ، فانه لم يكن يفرغ من محصوله اليومى ـ من الشعر

والنثر - حتى كانت تداهمه أطياف زوجته بين ذراعى عشيقها الآثم ، فتفزعه وتقض مضجعه ! .. ولم يغب عن فطنة أصدقائه ومريديه من الشعراء الناشئين أن يلحظوا على وجهه طابع القلق والسهاد ، فكانوا يتساءلون فى حلقاتهم :

- ماذا دها « هوجو » فى هذه الأيام ؟

- يقولون ان زوجته تنغص حياته ..

- أديل الحسناء ؟ أتراها تخونه ؟ غير معقول !

- يبدو أن أحدهم رآها تدلف الى مسكن سانت بوف تحت جنح الظلام .. !

- هراء ! .. انها لا تفكر فى غير مجد زوجها .

- لقد تغيرت الأحوال منذ كتب « هرنانى » .. وقد سمعت انهما تشاجرا شجارا عنيفا ، وان الطفلة الأخيرة ليست ابنة هوجو !

- تعنى أنها ابنة سانت بوف ؟

- وانها لتشبهه !!

● **وطن طنين هذه الشائعات فى مجتمعات شعراء باريس ، وأنصاف وأرباع الشعراء ، الذين الهبت الغيرة من شهرة هوجو قلوبهم فأطلقوا ألسنتهم ينهشون سيرة زميلهم الناجح المرموق ، مؤلف ((أحدب نوتردام)) ، ويرسمون له الرسوم الهزلية القاسية الساخرة ! ..** بل لقد بلغ الأمر بأحدهم الى أن زاره فى بيته ذات يوم وابتدره قائلا : « لعلك تعرف يا أستاذى العظيم مبلغ اعجابى بك وحبى لك ، ومن أجل هذا أجد من واجبى نحوك أن أطلعك على شائعة خبيثة تسعى فى كل مكان .. يقولون أن صديقك سانت بوف على صلة وثيقة بمدام هوجو !؟

- وأنا بدورى يا سيدى سمعت انك قد اغتصبت جدتك ثم قتلتها !

وفوجيء الزائر بجواب هوجو غير المتوقع ، فاحمر وجهه خجلا وأخذ طريقه الى الباب ، تاركا الشاعر المفجوع يجتر المرارة التى أفعمت قلبه وفاضت ! ان حبه الأول العارم الذى جمل سنوات شبابه الطاهر الباكر ووشاها بأروع الأحاسيس ، قد تلاشى الآن وتبخر ، وخلف مكانه فراغا قاسيا موجعا .. !

وهكذا افاق هوجو فى صبيحة أحد أيام الشتاء وهو يعانى نوبة من نوبات الرغبة المحتدمة والظمأ الموجع الى العناق والقبلات ، بحيث تبخر من رأسه كل تفكير فى الانتحار أو غيره من الخواطر السوداء .. وجعل يحدث نفسه كمن اهتدى الى مخرج سعيد من مأزقه : « فلأبدأ حياتى العاطفية من جديد .. لقد خدعت خديعة محزنة تلك المرة ، لكن هذه الخديعة ينبغى أن لا تتكرر ! »

جولييت .. الضالة المنشودة !

● وفى غمرة هذا القلق واللهفة على الفرار من الحياة التى يحياها ، التقى فيكتور هوجو فى ندوة من ندوات أهل الفن ، يوم ٢ يناير سنة ١٨٨٢ ، بالممثلة الشابة « جولييت درويه » ، التى كانت قد ملت ملذات الجسد العابرة فى أحضان عشاقها العديدين من رجال الفن ، وكان منهم : « براديه » المثال ، والفونس كار ، وسيشان ، والأمير ديميدوف ـ الذى ألف أن يقيد خليلاته من شعرهن الى أعمدة السرير اذا لم يستجبن لنزواته التى توحى بها اليه الخمر ! .. ضاقت جولييت بكل ذلك ، وبحياتها التى تضطرها الى أن تغازل عن غير ميل أو هوى ! .. وتاقت الى أن تهب قلبها وأشواقها الملتهبة لرجل واحد .. !

لكنها لم تكن قد اهتدت بعد الى رجل أحلامها .. حتى

التقت بفيكتور هوجو ، فأحست من فورها أنه ذلك الرجل ! .. كان شابا ، جميلا ، مشهورا ، تعشقه النساء ! .. وكانت هى بدورها رائعة الحسن ، جذابة القسمات ، رشيقة الحركات ، يثير مظهرها غرائز الرجال — حتى لقد اشتهرت فى تلك الفترة بأنها أجمل نساء باريس قاطبة ! ورغم أن ماضيها كان مثقلا بالارتباطات العاطفية والديون المالية فانها كانت المرأة التى تلزم لهوجو فى تلك المرحلة البائسة من حياته .. **كانت لها مائة طريقة وطريقة لاغرائه ومحو الخيالات الفاضحة لزوجته وصديقه النذل من رأسه ! .. فلما التقيا فى تلك الندوة تقابلت عيونهما فى نظرة طويلة كانت البداية لغرام جارف طويل الأمد ما يزال الى اليوم نموذجا نادرا للحب المعمر الذى يدوم !..** وكان هوجو من أولئك الرجال الذى يجردون المرأة من ثيابها — فى خيالهم — بسرعة البرق !.. وكان يملك بالاضافة الى ذلك قوة تصور خارقة ، فأدرك توا من أول نظرة أن مباهج جسد جولييت تفوق أقصى ما كان يتوق اليه فى أحلامه .. وتطايرت من وعيه بالتدريج آثام زوجته ، والتأمت الجراح التى أصابته من صديقه سانت بوف ! .. لكنه لم يلبث أن أحس برهبة من هذه السعادة المذهلة التى غمرته من أول نظرة الى فاتنته ، فود لو يفر منها .. لكنه كان قد سقط فى الفخ ، ولم يعد يملك من أمر نفسه شيئا !

.. وهكذا تركها تقوده ذات ليلة الى مسكنها الأنيق فى « بوليفار سان دونى » ، حيث تفوق ائتلاف روحيهما حتى على ائتلاف جسديهما ، وأنفاسهما ، وهمساتهما المختنقة .. وفى الصباح انتزع الشاعر نفسه من بين ذراعى ملهمته انتزاعا . وحين خرج نهضت هى على عجل لترقبه من نافذتها وهو يختفى



عند منعطف الطريق ، بعد أن أمطرته بسيل من القبلات على أطراف أناملها الدقيقة ، ردها اليها بحرارة وشغف .. ثم ارتدت عن النافذة لترتمى على فراشها المبعثر وتغمض عينيها ، كيما تستعيد فى خيالها رائحة جسد سيدها الجديد وسحر بربريته الغضة ..

الصراع .. بين الزوجة والعشيقة !

● وطمأنتها تجاربها السابقة فى هذا المضمار الى أنها سوف تراه ثانية .. لكنها من فرط نشوتها خشيت أن لا يعود ! .. فهو متزوج ، ومشهور ، ووالد أربعة أطفال ، وله بيت ، وأصدقاء كثيرون ، ومعجبون .. ومعجبات ! .. عشرات من النساء يتنافسن عليه ، ويتأهبن لمنازلتها ومحاولة انتزاعه منها .. فأية أسلحة عندها لهذا الصراع ؟

ونهضت من فراشها واتجهت نحو مرآتها لتمتحن جسمها على صقالها ، بامعان وترو .. كان فى بياض الزنبق ، « خلوا من أدنى عيب » على حد قول (براديه) لها ذات ليلة ! .. وبدأت تمقت عشاقها السابقين . ودت لو تنساهم جميعا ، وتنسى أساليب الاغراء والغواية التى علموها اياها .. لكن صوتا ساخرا همس فى وعيها مذكرا : ان مؤهلاتها تلك المكتسبة سوف تلزمها كى تحتفظ برجلها الجديد ـ الأوحد ! ـ وتصونه من بنات جنسها ؟

واستدارت عن المرآة الى غرفة المائدة ، حيث التهمت بضع شطائر وقدحا من اللبن ، ثم جرعت عدة أقداح من الماء بشراهة ونهم .. وقد أحست كأن جوعها وظمأها لن يطفآن .

● وحين وصل هوجو الى بيته كانت زوجته قد خرجت بأولادها للنزهة ، فرآها بعين خياله الآن - خلال غلالة من الضباب - امرأة معوجة الخلق ، شرسة ، قد خانته وجرحت كبرياءه .. **بينما راحت تطن فى ذهنه أبيات وليدة من الشعر تتغنى بجسد جولييت ، وصوتها وضحكتها ، وهمساتها الرقيقة واستدارة كتفيها ، و ... وساءل نفسه : أيعود اليها ؟ انه لو فعل فسوف يمسى عبدا لعاطفته الجديدة ! .. أم تراه يهجرها هجرا حاسما ؟ لكنه أدرك لتوه أنه لن يستطيع ، وانه انما يخدع نفسه بهذه الأمانى !** .. ومد يده الى جيبه فأخرج منه صورة صغيرة لها تمثلها فى ثوبها المنحسر عن رقبتها ونحرها العاجيين ، أشبه بشعاع من شمس الصباح يتألق على صفحة غدير .. فاهتز كيانه بالشوق المحموم اليها ، بل والغيرة عليها .. وبدأ يعد الدقائق البطيئة وقد صح عزمه على أن يتعشى معها ، بعد أن يترك لزوجته رسالة يخطرها فيها بأنه سيقضى السهرة - الى ساعة متأخرة - مع صديقه « هاريل » مدير المسرح !!

اعترافات امرأة ذات ماض ..

● فى ذلك المساء جلست جولييت الى مائدتها الصغيرة التى أهداها اياها الأمير ديميدوف ، تتناول عشاء مؤلفا من البيض والشطائر والمربى ، وقد استبد بها القلق .. وفجأة سمعت خطوات تصعد السلم ، وطرقا على الباب :

- من هناك ؟

— أنا فيكتور!

وارتمت بين ذراعيه .. فأنتشى بأريجها وأمعن فيها عناقا ولثما .. وبعد دقائق كانا فى مخدعها:

— انك تقبلنى ككلب جائع!

— وهل من قبلاتك المرء يشبع؟

ثم جلس على حافة الفراش وانطلق ينشد شعرا .. ان موهبته الخالقة التى حسبها قد انطفأت خلال أيام تعاسته مع أديل، قد اشتعلت الآن أكثر من أى وقت مضى .. فعاودته رؤاه البهيجة وانفعالاته الفنية كشعاع من الشمس يرتمى على مياه البحر!

وعاش فيكتور هوجو بعيدا عن بيته اثنى عشر يوما! .. ان مباهج الحب قد بددت من وعيه كل ادراك للزمن أو الذكريات، وحصرت العالم فى اعتباره بين حافتى فراش ضيق! .. وبهرته المتع التى أذاقته أياها جولييت، وألوان الغزل البارع وأفانين الهوى وأطواره التى كشفت له أسرارها! .. ولم يكن قد أزعجه — بعد — التفكير فى مصادر اكتسابها لحرفة الهوى .. **لكنها كانت قد اعتزمت من جهتها أن تكاشفه بكل دقائق ماضيها، كى لا يسمعها من غيرها مشوهة، ولتلهب رغبته فيها عن طريق اشعال جذوة الغيرة فى قلبه ودمه!** .. وكانت فنانة فى مطارحة الرجال الهوى، قديرة حتى على أن تضرم فى خديها حمرة الخجل عند اللزوم! .. فجن هوجو بها وطار لبه .. وفى اليوم العاشر جلسا يتناولان العشاء فى حانة بضاحية (كلامار)، وكان الربيع قد بدأ يلوح فى الجو، فلما رفعت خادمة الحانة الحسناء أطباق الطعام من أمامهما، وهى تلتهم هوجو بنظراتها الجائعة، سأل الشاعر فاتنته بصوت قلق: « متى أسمع منك سيرة حياتك

الماضية ؟ » .. وكانت تترقب هذه « الأزمة » ، فأجابته وعلى فمها ابتسامة مشرقة : « فى التو واللحظة ! »

واذ اضطجعا متجاورين على الفراش ، وأطفىء النور .. ابتدرته متسائلة :

ـ من أين تريدنى أن أبدأ ؟

ـ قصى على كيف فقدت أثمن شيء تعتزين به ؟

ـ تعنى « عفتى » ؟

لقد تعمدت أن تشعل غيرته فى البداية بهذا اللفظ الصريح الصارخ ، بعد أن لحظت مبلغ التناقض العجيب بين خجله فى كلامه وجرأته فى أفعاله ! .. وسألها بصوت مرتجف :

ـ من كان ... الأول !

ـ « براديبه » المثال ، وقد كنت أعمل « نموذجا » عنده ..

ـ أولم تخجلى ؟

ـ بلا شك .. لكنى كنت مضطرة الى كسب عيشى ، وكنت أعلم انى جميلة .

ـ وهل حدث ذلك فى أول مرة وقفت فيها نموذجا أمامه ؟

ـ بل فى ثالث مرة .. فانه أراد أن يطيل متعته .. وقد فزع حين تبين أنه الأول !

ـ وهل أوحيت اليه بكثير من التماثيل ؟

ـ بنحو الثلاثين ، فى كل وضع .. فقد استخدمنى نموذجا لبطلات أساطير اليونان ! .. وكان يأتى الى الاستديو أصدقاؤه والراغبون فى شراء تماثيله ، وبعض النساء .. وهكذا التقيت « بالآخرين » .. فانه كان يسمح لزواره وزائراته جميعا برؤيتى وهو يرسمنى .. عارية !

ـ من كان الآخرون ؟

ـ أوه ، دع الحديث عنهم الى فرصة أخرى .. اذا أردت حقا أن تعرف كل شيء .. فانهم لم يلعبوا فى حياتى غير ادوار ضئيلة .

ـ أو لم تشعرك تربيتك الدينية فى الدير بشيء من الحرج كلما منحت نفسك لرجل ؟

ـ بلا شك .. لكنك تعرف المثل القائل : « ان الخطوة الأولى هى الحاسمة » .. وقد أدارت رأسى عبارات الملق والاطراء التى كانت توجه الى فى مآدب « براديبه » .. فانى امرأة من البشر ، أولا وأخيرا ..

ـ ولكن هناك نساء يبقين عفيفات برغم هذا الاعتبار ؟

ـ بالتأكيد .. هناك مثلا زوجتك ...

لاذ هوجو بالصمت برهة ، ثم تكلم ، كما لو كان الكلام عبئا ثقيلا عليه :

ـ « كانت » زوجتى مخلصة لى ، لكنها لم تعد كذلك !

ـ رباه ! ومن الرجل ؟

ـ أعز صديق لى !

ـ تيوفيل جوتييه ؟

ـ كلا ، بل سانت بوف ، الناقد .. تعرفينه ولا شك .

ـ لكنى حسبت ذلك مجرد شائعة كاذبة ! .. اواه ، فيكتور ، فيكتور ، هذا لن يحدث لك معى .. انك قد علمتنى ماهية الحب الحقيقى الصادق ، ولكم هو جميل ! .. انظر ، النار فى المدفأة توشك أن تنطفىء .. ضع فيها كتلة من الفحم وتعال ..

.. وفى تلك الليلة لم تفض جولييت باعترافات أخرى !

اقرأ الجزء الثالث من الكتاب فى « كتابى » القادم

محتويات الكتاب

بريد « كتابى »

ضاق نطاق هذا العدد عن نشر ردود « كتابى » على الرسائل الكريمة والآراء التى تلقاها من قرائه الأعزاء — والتى أشرنا اليها فى مقدمة هذا العدد — وموعدنا بها العدد القادم باذن الله .


لذيذة فى كل وقت!
12
3
6
9
بيبسى كولا
PEPSI-COLA
مشروب الضيافة
بيبسى كولا
عبأه بالشركة الوطنية المصرية لتعبئة الزجاجات ش. م. م



أفلام حسن عامر
تقدم
فيروز
محسن سرحان • زهرة العلى
محمود المليجى • مارى منيب
و إسماعيل يس
صورة الزفاف
أنشودة الحب والسعادة للجميع
حديث العائلات فى كل مكان
اخراج
حسن عامر
توزيع
أفلام الهلال
حوار: جليل البندارى
حاليا بنجاح عظيم بسينما الكوزمو
فى القاهرة

كتابي

الثاني

محتويات الكتاب

طيف الماضى: قصة مصرية للمحرر • الحب الآثم: قصة تمثيلية كبرى لتولستوى • مغامرات "دون كيشوت": لزعيم كتاب أسبانيا (سرفانتس): من كنوز الكتب القديمة • قلب عذراء: من روائع القصص العالمى، لجون جالزورثى • غاريبالدى: قصة حياة وكفاح فى سبيل الحرية: من قصص أنبياء الوطنية • طريق السعادة الزوجية: مرشد المتزوجين والمقبلين على الزواج، للعالم النفسانى والباحث الاجتماعى فريدريك برينك • جريمة شارع مورج: من غوامض القصص البوليسى، لإدجار آلان بو • مأساة قلب: من قصص عباقرة الإنسانية فى حياتهم الخاصة الجمال القاتل، فى قفص الاتهام: من قصص المحاكمات الكبرى.